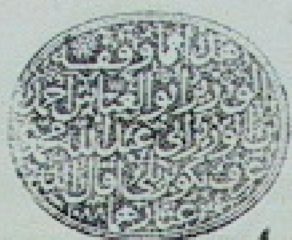
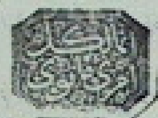
ودفع شبه النصرانية

كتاب الاعلام بما في دين النصارى
من الفساد والاوهام واظهار
محاسن دين الاسلام
للقرطبي





بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي من علينا بتوحيده، وجعلنا من أفضل عبيده، الذي جنبنا الأهواء المذلة، والآراء المضلة، وأرانا الحق إذ أرانا برهانه ودليله، وأرانا الباطل وتفضل علينا بالعدول عن سبيله، نحمده بمحامد التي لا تحصى، ونشكره على آلائه التي لم تزل تترى، ونسأله الصلاة على نخبته من كافة الورى، أنبيائه ورسله أئمة الهدى، وخصوصا المبعوث إلى الثقلين، المفضل على العالمين، المؤيد بالآيات الصادعة، والبراهين القاطعة، موضح الحق بواضحات الدلائل، ومزهق الكفر والباطل، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وعلى جميع النبيين والمرسلين، ورضي الله عن خلفائه الراشدين، وعن صحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد

فإني قد وقفت وفقك الله على كتاب كتب به بعض المنتحلين لدين الملة النصرانية سماه كتاب تثليث الوحدانية، بعث به من طليطلة أعادها الله، إلى مدينة قرطبة حرسها الله، مشعر ضلالة دين المسلمين، نائلا فيه من عصابة الله الموحدين، سائلا عما لا يعنيه، ومتكلما بما لا يدريه، فأمعنت النظر فيه، فإذا بالمتكلم فيه يهرف بما لا يعرف، وينطق بما لا يحقق، تناقض وهو لم يشعر، وعمي من حيث يظن أنه يستبصر، أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا. يلحن إذا كتب، ويعجم متى أعرب

وذي خطل في القول يحسب أنه مصيب فما يلمم به فهو قائله

دل بقوله على ضعف عقله، وبمكاتبته على سوء محاولته، تعاطى رتبة النظار



وسود بأباطيله الطومار، ليستنزل به الأغبياء الأغمار، ويحصل بذلك على ما كله شنار، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون. وليته إذ ادعى النظر سلك طريقه، والتزم شروطه، فاعترف بالبديهيات، ولم ينكر الضروريات التي هي أصول النظريات، ولكن حل من عنقه ربقة العقول، فهو في كل جهالة يجول، وبها يدعو وبها يقول، فليته لو دفن من عواره ما كان مستورا، ولكن كان ذلك عليه في الكتاب مسطورا

وإن لسان المرء ما لم يكن له حصاة على عوراته لدليل

فاستخرت الله تعالى في جوابه، على تخليط معانيه وتقبيح خطابه، بعد أن أقول له اعلم أن البغاث بأرضنا لا تستنسر، والتمييز عندنا بين الفضة والقصة متيسر، وها أنا إن شاء الله أجاوبك على ما كتبت حرفا حرفا، وأبين فساده الذي لا يكاد يخفى، على أنهم لو فتح عليهم باب من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون، كيف لا وقد ركبوا من استحالة الاتحاد والتثليث والحلول، ما يدرك فساده بضرورة العقول، وقد قالوا في الأب والابن والأقانيم، ما تمجه بفطرته الأولى كل ذي فهم مستقيم، ولا يتسع لقبوله لب ذي عقل سليم

ومن كان للعين لسانه فكل جداله زور ونكر

فكل مقاله إفك وزيغ ونص كتابهم شرك وكفر

ومن أعظم ما ظهر عليهم من العناد، فصرفوا لذلك عن التوفيق والرشاد، إنكارهم ما يدل على نبوة نبينا من المعجزات، وأوضح الدلالات، وقد كابروا الضرورات حتى أنكروا ما جاء في كتبهم من الأعلام على نبوته، وإيجاب اتباع شريعته، فلقد كانوا يجدونه مكتوبا عندهم، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وسأذكر إن شاء الله ما وقع في أناجيلهم من وصفه، وصحيح نعته، ولما تبين للعقلاء عنادهم سقط لذلك إرشادهم، ووجب حملهم على السيف وجهادهم، فقد يفعل الله بالسيف والسنان، ما لا يفعل بالبرهان، ومن كلام الحكماء يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، فأعرض العقلاء عنهم واكتفوا من الرد عليهم بحكاية مذهبهم

ووكلوا الناظر فيه لظهور تناقضه وفساد معانيه وقد كنت عزمت علي
الاقتدا بالعقلا في الاعراض حتي اكثر المتكلم من التعرض والاعتراض فتعين
لذلك الجواب وانا اسال الله التوفيق وهو باجابة السايلين حقيق **فصل**
اعلم يا هذا المنتسب لدين المسيح اني اجاوبك ان شا الله بمنطق عربي فصيح
اسلك فيه مسلك الانصاف واترك طريق التعصب والاعتساف علي
ان كلامك لا يستحق الاصغا اليه ولا الجواب لكونك لا تحسن السوال ولا تعرف
ترتيب المقال بل تقول ما لا تفهم وتكتفي بانك تتكلم ولكون كلامك هذا
كثير الغلط ظاهر التناقض والشطط وانت مع ذلك لا تعرف مذاهب
النصاري المتقدمين كانوا بنوع نظر متمسكين وان كانوا عن مذهب الحق
ناكبين حتي انهم لو سمعوا كثيرا مما ذكرته لنكبوا عنه ولا تبرؤوا منه اذ لا يذهب
اكثر ذلك الا من يكابر منهم ولا يروي بحال عنهم علي انهم في اصول عقايدهم
مختلفون وفي ورطة الجهل مرتبكون وستتبين لك ذلك كله ان شا الله تعالي
ولما تبين ذلك منك اعرض المسلمون عن جوابك وترهوا انفسهم عن خطابك
اذ الاعراض عن الجاهلين شرعة رب العالمين علي لسان سيد المرسلين وايضا
فمن لم يعرف شروط النظر ولم يسلك مسالك البحث والعبر فالكلام معه ضرب
وضرب في حديد بارد وعمل ليس له جدوي ولا عايد ولما اعرضوا عنك
لجهالتك تبجحت بذلك عند عصابتك فظننت ان سكوتنا عنك لجهالتك
انما هو رهبة منك حتي لقد بلغنا عنك نكرا وقلت في كتابك هذا فحشا
وهجرا فنحن واياك كما قال القايل

سكت عن السفيه فظن اني عييت وما عييت من الجواب

فعظم هذا الامر علي حين نمي خبره الي مع انه رغب الي في ذلك جماعة
من الاخوان فصار ذلك علي كانه فرض من الاعيان فاغتنمتها فرصة
وسررت بها قصة لعلمي ان النكاية في العدو بالبرهان واللسان اوقع
من النكاية بالسيف والسنان والراجي بذلك الدارين الجمع بين الامرين
واحراز اجر العملين علي اني لا اتعرضهم بقذع السباب ولا اتذل معهم
الى

الى الاقذار وعتاب فانما هو اظهار جهلهم وتناقض مذهبهم وقولهم فاذكر كلام
السايل كما بلغني وابين من خطابه وتناقضه ما شا الله ان يفهمني فان فيه
لفظه والطرسو نقله وحفظه فتارة اساله واخري اجاوبه ليعلم ان الناقد
بصير والباحث خبير وليتبين غيه وجهله للكبير والصغير ثم من بعد الفراغ
من تتبع كلامه اعطف بالمناظرة علي اقسته ورهبانه فاحكي مذاهبهم كما دونوها
في كتبهم وعلي ما تلقفوها من اساقفتهم ثم اسبرها علي محك النظر وابين بعض
ما فيها من الفساد والتناقض وما توفيقي الا بالله وهو حسبي ونعم الوكيل وقد استخرت
الله تعالي في ان اجعل هذا الكتاب غير مقصور علي جواب هذا السايل بل اضمنه زايدا علي
فصولا من عقايدهم وجملا من احكامهم واتكلم معهم فيها حسب ما امكن واعان الله عليه
ويسر ولذلك اشتمل هذا الكتاب علي صدر واربعة ابواب الاول في الكلام علي
الاقانيم الثاني في الاتحاد والحلول الثالث في الكلام علي النبوات واثبات
نبوة نبينا عليه افضل الصلاة والسلام الرابع في جمل من فروع احكامهم
ابين فيها انهم ليس لهم في احكامهم مستند الا محض الهوي والتحكم والعدد
وكل باب من هذه الابواب يتضمن فصولا وانا اسال الله ان يطلق السنتنا
بالحق والحكمة ويحرسها عن الباطل والفتنة انه ذو الفضل والنعمة
والعفو والرحمة **صدر الكتاب** نذكر في هذا الصدر كلام هذا السايل
في خطبة كتابه والجواب عليها ان شا الله تعالي **فصل في حكاية كلام السايل في خطبة كتابه**
قال كتاب تثليث الوحدانية في معرفة الله ثم قال الحمد لله بالغ النعما التي
فطرنا عليها وامرنا بحمده فنحن نحمده ونشكره ونعظمه مثل تعارفنا في الحمد
والشكر والتعظيم لملوكنا واهل الرهبة من ذوي السلطان منا وصاله شاكرين حامدين
معظمين بغير واقفين علي ذاته ولا مدركين لشي منه وانما نقع علي اسما افعاله
في خليقته وتدبيره في ربوبيته **الجواب عن ترجمته** اما قوله تثليث التوحيد
فكلام متناقض لفظا وفاسد معني بيان ذلك ان قوله تثليث الوحدانية
كلام مركب من مضاف ومضاف اليه ولا يفهم المضاف ما لم يفهم المضاف
اليه فاقول لفظ الوحدانية ماخوذة من الوحدة معناها راجع الي نفي التعدد والكثرة

فهي اذا من اسما السلوب فاذا وصفنا بها موجودا فقد نفينا عنه التعدد
والكثرة والتثليث معناه تعدد وكثرة فاذا اضاف هذا القايل التثليث للوحدة
فكانه قال تكثير ما لا يتكثر وتكثير ما لا يتكثر باطل بالضرورة فاول كلمة تكلم بها هذا
السايل مناقضة باطلة بالضرورة واما قوله في معرفة الله فنقول لم تحط بمعناه
ولا فهم مسماه والا فما حد المعرفة وكم اقسامها وهل يصح ان تكون مكتسبة لنا
وهل يجوز عقلا ان تكلفنا بها الانبيا وان جاز ذلك فما طريق تحصيلها ثم تقول
بهذا اللفظ واوهم انه حصل منها على حظ فان كان ذلك كذلك يا هذا على
معرفة الله تعالى ما ضمنته كتابك فابك على ما اصابك واقرع اسفا على قفاك
نابك فان الواقف على معناه المتفهم لفحواه يعلم على القطع والقطع انك لم
تعرف الله تعالى قط لانك لم تذكر فيه دليلا صحيحا نعم ولا قولا فصيحا وان كان
لك دليل اخر على معرفة الله تعالى لم تذكره هنا فهذه ترجمة بلا معنى واسم
مهول بلا مسمى بيت

كلامك يا هذا كفارغ حمص ... خلي من المعنى ولكن تجعجع

ثم نظم هذه الترجمة على ما ابديناه من التناقض ان تعال تكثير ما لا يتكثر في معرفة الله
واي رابط لهذا الكلام وهل هذا الا اضحوكة الخاص والعام وعار لم يصر اليه احد
من عقلا الانام ثم بعد ذلك شرع هذا القايل في الخطابة وصنعة الكتابة
فسحب على سحبان ثوب النسيان وانسى اياس كلا بان وصير فصيح وايل اعيا
من باقل فقال الحمد لله بالغ القوى الذي فطرنا عليها فيا للعجب وضيعة الدين والادب

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الجايع العاري

اما قوله الحمد لله فكلام حق ومقال صدق عند من عرف معناه وفهم فحواه
واما عندك فكلام سمعته وما وعيته وكيف تعيه او تطمع في انك تدريه
وانت بمعزل عن ذلك عري عن تحصيل شرايط البرهان ودليل ذلك ان الحمد لله تتوجه
عليه اسولة وانت لا تهتدي لفهمها فكيف لحلها منها لفظية ومنها معنوية
فاولها ما حد وال ماذا يرجع وما الفرق بينه وبين الشكر وهل هو في هذا الموضع
عام ام لا وهل يصح ان يطلق على غير الله تعالى وان اطلق فهل بالحقيقة ام

بالمجاز وعلى اي وجه يضاف الى الله تعالى اعلى جهة الملك او على جهة الاستحقاق
او غيرهما من انواع الاضافة ولاي شي لو وضع في اوايل الكتب ولا يكتفي عنه
بالبسملة واما قوله بالغ القوى فكلام مختل صدر عمن لم يحصل تنزيل مفهومه
على قانون ان المتكلم به يجعل بالغ موضع مبلغ ثم يذهب بمبلغ الى معنى خالق
والعرب الذين تكلم هذا السايل بكلامهم وتعاطى على مفهوم خطابهم لا يتكلمون
ببالغ في معنى خالق لتباين اللفظين واختلاف المفهومين ومعنى الخلق
المشهور عندهم اختراع ما لم يكن والابلاغ هو ايصال كابن الى غاية ما فان انكر
هذا المتكلم ان يكون اراد هذا فقد شهد على نفسه بالغلط واعترف بان كلامه من
ارذل السقط ثم اضاف بالغ الى القوى والقوى جمع قوة وهي القدرة والشدة
فان كنت تريد هذا فاي فايدة للفظك واي لطيفة لقولك التي فطرنا عليها وفي
الثيران والابل والحمير من هو اشد منك واقوى فقد فضلها عليك حيث
ابلغها من الشدة اكثر مما ابلغك ولقد كان ينبغي لك يا هذا ان تذكر من نعم
عليك نعمة الخاصة بالانسان وهو المعنى الذي تميز عن اصناف الحيوان ثم من عجيب
امر هذا السايل واول دليل على بلادته وجهله ان هذه الخطبة التي صدر بها كتابه على
ما هي عليه من تشبيج النظم وعدم الفصاحة انما نقلها نقلا من رسالة عبد الرحمن
ابن غصن ختن شبيب الذي كان اساقفة النصارى كتبوا بها الى الامام الزاهد ابي مروان
ابن مهرة ونسبوها لعبد الرحمن وكانوا قد اجتمعوا على كتبها بطليطلة اعادها الله
فلما كتبوها بعثوا بها للقاضي ابي مروان بن مهرة فبعد ان بذلوا جهدهم واجهدوا اجتهادهم
كتبوا الرسالة مفتتحها هذه الخطبة في بطاقة صغيرة عدد اسطارها نحو من
ثلاثين لحنوا فيها وصحفوا في تسعة وعشرين موضعا منها ومع ذلك فاخلوا
بالكلام ولم تتخلص لهم من سوالهم مطلب ولا مرام فاجابهم القاضي رحمه الله
واحسن في الجواب واظهر لهم جهلهم وتبلدهم في ذلك الكتاب فلو كان هذا السايل
عارفا بمصالحه مميزا بين محاسنه ومقابحه لاكتفى باقحام اساقفته المتقدمة
وعثرته الجاهلية المصممة ولكان يستر ظاهر خطابهم وركيك كلامهم ولكن اراد الله
تجديد ما قدم لهم من الفضيحة بمقالة صابية صحيحة ثم البسه اذ نقل كتابة كلامهم

لم يفد المعنى ولم يغير اللفظ بل غيره تغييرا يدل على عدم الفهم وقلة الحفظ
فقال الحمد لله بالغ القوي وانما قال احباره في كتابهم المتقدم الذكر الذي نقل
هو منه الحمد لله بالغ القوي وبين مفهوم كلامه وكلامهم ما بين القرن والقدم
وما بين فصاحة العرب ورطانة العجم واما قولك وامرنا بحمده فضول لا تعرف
حقيقته ولا تسلك طريقته حتى تعرف ان كان الله امر ام لا وان كان امر فما
امره والى ماذا يرجع وهل هو قديم ام حادث الى اسولة كثيرة لا تعرف انك
مامور من جهة الله تعالى حتى تعرفها فاعد للمسايل جوابا وللسايل خطابا
واما قولك فنحن نحمده ونشكره ونعظمه بمثل تعارفنا في الحمد والشكر فكلام يدور
على اللسان ولم يستقر لك شي منه في الجنان وكيف يحمد الله من ينتقصه وكيف
يشكره من يكفره وهل الحمد والنقصان والشكر والكفران الا امران متناقضان
بيان ذلك انكم تجعلون لله ما تكرهون لانفسكم وتنتقصون به ابا جنسكم
بانتم تكرهون لرهبانكم واقسّتكم اتخاذ الزوجة والولد لئلا يتلطخ برذيلة
مجرى البول ودم الحيض او يتسبب به نسبة الزوجة والولد ثم انكم بجهالتكم
تزعمون ان اللاهوت تدرع بناسوت المسيح وسكن في ظلمة الرحم مرة ثم خرج على
مجرى البول ودم الحيض وتعلقت به نسبة الولد والزوجة فانتم تجعلون
لله ما تكرهون وتصف السنتكم الكذب لا جرم ان لكم النار وانكم مفرطون ٥
وكيف يعظمه من يعبد غيره ويعظم سوله ويخالفه في امره ويرتكب ما نهاه
وها انتم قد اتخذتم المسيح الها او شطر الاله وعبدتم من دون الله غيره وعظمتم
سواه وخالفتم في ذلك قول المسيح عليه السلام وعصيتم امر خالقه ومرسله
ذي الجلال والاكرام وانتم تقرون في كتابكم عن شعيا عليه السلام انه قال عن الله
مبشرا بالمسيح عليه السلام هذا غلامي المصطفى وحبيبي الذي ارتضت به
نفسي وكذلك تقرون في انجيل مارقش ان المسيح قال للعالم الذي ساله عن اول
العهود ان السيد لا اله الا واحد وذكر كلاما فقال له العالم قلت الحق
يا معلم ان الله واحد ولا اله غيره فالله تعالى يقول عن المسيح هو غلامي وانتم
تقولون هو ولده والمسيح يقول لا اله الا الله وانتم تقولون انه اله اخر

فتعالى

فتعالى الله عما يقولون وسبحانه عما يصفون وسياق الكلام على هذا ان شا الله
فها انتم قد خالفتم امر الله وعظمتم سوى الله وهذا انجيل لوقا يشهد عليكم بخلاف
ما اليه صرتم فان فيه ان المسيح قال لابليس حين رام خديعته قد صار مكتوبا
ان تعبد السيد الاهك وتحمده وحده وانتم تعبدون غير الله وتسجدون لسواه
تحكمون في ذلك باهوايكم وتخالفون قول انبيايكم ومن اضل ممن اتبع هواه
بغير هدى من الله تقول بالعظايم على الله واما قوله بمثل تعارفنا في الحمد
فان كان تعارف موضع معرفة فقد اخل بالمعنى وخالف اللغة ولو كان
يشم رايحة من كلام الفصحا لو نبه نفسه على المقالة بهذه الشنعا ولو نزلنا
على انه اراد ما تعارفه تخاطبوه فيما بينهم في معنى حمد الله لكان كلامه ايضا
متناقضا فاسدا وعن الصواب حايدا فان حمد الله عندهم ذم وشكرهم
كفر كما تقدم ومن كان حمده ذما وشكره له كفرا وكانت معرفته مثل نكره وحمد
فقد حصل من العلم على ضده وخرج من الشكر عن حده واما قولك والتعظيم
لملوكنا واهل الرهبة من ذوي السلطان منا فقول يدل على زهدك في الدنيا
واقتدايك بالمسيح وورعه عيسى وتخشعه المعمد يحيى عظمت الملوك لملكهم
طمعا في نيل سحت ملكهم واعرضت عن القسيسين ونسكهم ولو هديت
السبيل لكان الانبيا والحواريون احق واولى بالثنا والتبجيل لكن استهواك
الطمع واستفزك الجشع فاثرت الدنيا على الاخرة فصفقتك اذا
خاسرة وتجارتك بايرة واما قوله فرضا له شاكرين حامدين معظمين فكلام غير
منتظم ليس له مفهوما ملتبحا لكثرة لحنه يمجه العاقل ببديهة ذهنه اتلفت
معناه رطانة العجم فكانه بقي في نفس قايله مكتتم واما قولك غير واقفين
على ذاته ولا مدركين لشي منه فلعمري لقد صدقت وبما انت عليه من
الجهل بمعبودك نطقت فاين هذا من قولك كتاب تثليث الوحدانية
في معرفة الله فقد جعلت هذا الكتاب بزعمك موصلا الى معرفة الله ثم لم يرجع
النفس حتى شهدت على نفسك بالجهل بالله تعالى فظهر تناقض اعتقادك
على لسانك بكل جاهل مهذار وكاذب كفار وكيف يعرف الله من لم يقف

علي معرفة ذاته • ولا علم شيا من صفاته • وهل ذاته تعالي الا عبارة عن وجوده
فان الموجود ذات الموجود من غير مزيد علي ما يعرف في موضعه بالبرهان
فمن لم يعرف ذاته تعالي لم يعرف وجوده ومن لم يعرف وجوده فما شاك
واما جاهل واما قوله وانما يقع علي اسما افعاله في خليقته وتدبيره في
ربوبيته فكلام لم يورده فصيحا • ولا فهمه صحيحا • دليل انه لم يورده صحيحا انه اراد
مفعول يقع نعرف والا لم يستقم كلامه فكانه قال وانما نعرف اسما افعاله
وان نعرف من يقع واي جامع بينهما عند من عقل او سمع فان مفهوم وقع
وحقيقته سقط الشي من اعلي الي اسفل وليس لهذا المعني في كلامه مدخل
واما انه لم يفهمه صحيحا فيدل عليه انه لا يجيب اذا سيل عنه فاصخ باخذا
سمعك • واستعن طلال وجعك • فاني اسالك واياهم عن حد الاسم
وحقيقته وهل هو المسمي او غيره وان كان غيره فما حد الاسم وما حد المسمي
وما حد التسمية ثم هل ينقسم الاسم بالاضافة الي المسمي ام لا ينقسم فان انقسم
فعلي كم من قسم وانما اوردت عليك هذه الاسولة كيلا له بضاعة • وليكون
ذلك ابلغ في دفعه واقطع لنزاعه • ثم انه اضاف اسما الي افعال الله ولا يشك
عاقل فاهم في ان افعال الله تعالي انما يراد بها مخلوقاته ومخلوقاته وخليقته
واحد في المعني فكانه قال علي ما تقتضيه ظاهر كلامه وانما يقع علي اسما مخلوقاته
فابدل لفظ مخلوقاته بافعاله وهذا كلام قليل الفايدة • عديم العايدة • ثم
اسما افعاله انما هي عبارة عن الالفاظ الدالة علي افعاله وافعاله كما قلنا
مخلوقاته كلفظ السما والارض وغير ذلك فمن عرف الالفاظ الدالة علي هذه
المخلوقات اي شي يحصل له من معرفة الله بسببها واي دلالة واي نسبة
بين معرفة اللفظ الذي يدل علي السما في التخاطب مثلا وبين معرفة الله وهل
قوله هذا الا هذيانا من القول وارتباكا في ورطة الجهل واما قوله وتدبيره في
ربوبيته فالظاهر من لفظ التدبير السابق منه الي الفهم انه عبارة عن التفكر
النفسي والتقدير الذهني والباري سبحانه وتعالي متعال عن التدبير الذي
هو التفكر والتقدير فانه لا يتصور الا في حق من جهل شيا فاراد ان يستعمل

فكره في تحصيل العلم به والجهل علي الله محال فالتدبير بمعني التفكر عليه محال
فان اراد السايل بكلامه غير هذا فلا بد من بيانه • وايضاح برهانه • واما الربوبية
فلفظ مشتق من لفظ الرب والرب المستعمل في كلام العرب له معنيان
مستعملان احدهما السيد والثاني المالك فان اراد به المعني الاول الذي
يرجع الي السودد والشرف فهو خطا من حيث ان سودده واجب له
فلا يحتاج في تحصيله الي سبب من تدبير ولا مقتضي تفكر ومقتضي كلامه
ومفهومه انه دبر في ربوبيته واوجدها عن تدبيره لنفسه وهذا جهل بواح
وكفر صراح • وان اراد به المعني الثاني الذي يرجع الي الملك فلا يستقيم ايضا
علي ظاهر كلامه فانه يكون معني كلامه انه دبر في ملكه واوجده عن التدبير
الذي هو رويه وتفكر وتعالي عن ذلك الخالق القدير • المنزه عن خواطر
النفس وهواجس الضمير ثم لما فرغ هذا السايل من خطبته الغرا البعيدة
الانشا التي من وقف عليها علم انه عن المعارف مصروف • وانه لا يفهم
المعاني بل ولا يحسن كتبه الحروف • شرع في طريقة الجدال • وكيفية
الاستدلال • فكانه في نظم معقولاته الطوسي وفي اداب جدله البروي
ولعمر الله لو كان هذا السايل عاقلا لستر عواره • ولكنه جهل فقال • وحيث
وجب ان يسكن جاله • ولقد كان ينبغي لهذا السايل ان لا يتكلم في
شي من علوم الاعتقاد حتي يحسن شروط النظر • ويحكم ما يحتاج اليه من
المواد والفكر • ولما بادر الي الكلام في ذلك • من غير تحصيل شي مما هنالك •
تشبع عليه كلامه • وصعب عليه مرامه • فربما كان المعني الذي يقصده قريبا
فيبعده • او صحيحا فيبدده • وسيتبين ذلك في كلامه • ولما كان ذلك
رايت اني ان تتبعت كلامه كما تتبعت خطبته خرج الامر عن الاعتدال •
وادي ذلك الي الكسل والملال • وضاع في ضروب الهذيان الزمان • وهو غاية
الخسران • فرايت ان اعرض عن احاد كلماته • واناقشه في معانيها ومفهوماته •
ثم اني ربما لا اتكلم معه حتي احكي مذهبه وابين له ما اراده بكلام حسن وجيز
ليكون ذلك ابلغ في الفهم وامكن في التمييز • والي الله عز وجل ارغب وعليه اتوكل

في ان يشرح صدورنا ويبسر امورنا ويستعملنا فيما يقربنا منه وينفعنا
عنده انه ولي ذلك والقادر عليه تم الصدر والان نشرع في الابواب

الباب الاول في بيان مذاهبهم في الاقانيم
وابطال قولهم وفيه خمسة فصول

الفصل الاول في حكاية كلام السايل والجواب عنه

قال السايل الآن وجب علي ان اسالك في امر التثليث عن خلق الله لجميع ما خلق ان
كان خلقهم بقدرة وعلم واراده ام خلقهم بغير هذا فاذا اضطرتك
المسيلة الى القول بها فاني اسالك ان كانت اسما للذات او اسما لافعاله
فان قلت هي اسما للذات فقد نقضت وجعلتها اسما للذات ووقعت فيما
انكرت من الجسم وان قلت من اسما افعاله التي منها سمي عالما قادرا مريدا فهو التثليث
الذي امرنا بالقول به الجواب عنه سالت يا هذا المقدام بعد احجام واستبهام
هل خلق الله الخلق بقدره وعلم واراده ام بغيرها وهذا السوال كان ينبغي لك
ان لا تسال عنه حتى تفرغ من معرفة المراتب التي قبله وذلك انك لا تصل
الى ما سالت عنه حتى تعرف معنى الخلق وهل العالم مخلوق وان كان
مخلوقا فهل يحتاج الى خالق ام لا فان انت بلغت الى هنا وقطعت هذه المفاوز
التي لا تقطع بالمنى لا تخلص منها بالهوينا ولا تكتفي في تحصيل العلم بذلك
بالتقليد بل بالنظر السديد والبرهان العتيد حينئذ كان ينبغي ان تسال
عما سالت عنه لكنك لجهلك بطريقة النظر قدمت واخرت وفعلت
فعلتك التي فعلت ولو كنت ممن له في النظر نصيب لضربت فيه بسهم
مصيب ولاقتديت بحاكم الازهر واسقفكم الاعظم اغشتين وها هو يقول
في مصحف العالم الكاين في اول ورقة منه ينبغي ان يجعل الكلام في النظر ابوابا
على منازل ودرجات ليكون من اجتمع معاني الدرجة الاولى تكلمنا معه
في الدرجة الثانيه ومن اجتمع معاني الدرجة الثانية تكلمنا معه في الدرجة
الثالثة ثم نمضي كذلك الى اقصى نهايات الكلام فانما يكون فساد
الكلام وتناقضه واشتباهه من قبل النقص في معرفة هذه الدرج لانا متى

ناظرنا في الدرجة الثانية من لم يجتمع معنا في الاولى لم يبلغ الكلام غايته ولم
يقف على نهايته وعلى منواله نسج حفص بن البرقي اقواله ولقد كان لك
فيهما اسوة لو كنت اهلا للقدوة فبينك وبين سوالك هذا ثلاثة ادراج حار
فيها عقول كثير من النظار وفنيت لهم فيها ازمان ونفدت اعمار فكلامك
يا هذا فاسد سمجيج بشهادة قسيسكم اغشتين واما قولك فقد اضطرتك
المسيلة الى القول بها فقول غير صحيح الجهل على قايله يلوح وكيف تضطر المسيلة
مع نظر سقيم اخذت مقدماته بالتحكيم والتسليم وانما كان يلزم ذلك لو ترتبت
في كلامك على شرط السبر والتقسيم ونهجت منهج النظر القويم والا فيم ينكر
على الدهري حيث يقول لا اسلم ان العالم مخلوق وبم ينكر على الفلسفي
حيث يقول اسلم انه مخلوق لكن لا اسلم انه يحتاج الى الخالق يخترعه بعد العدم
وبم ينكر على الطبيعي حيث يقول لا احتاج عالم الطبايع في تكوينه الى خالق ذي
قدرة وعلم وارادة وحياة ثم لاي شي تحكمت وقلت انها ثلاثة ولعلها
اكثر او اقل ولابد لك من معرفة ابطال مذاهب هولاي بالبرهان وحينيذ
تحصل على مرتبة الاتقان وهذا ليس بعشك فاضطجع على نعشك

خل الطريق لمن يبني المنار بها وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر

واما قولك فاني اسالك ان كانت اسما للذات او اسما لافعاله فان قلت
هي اسما للذات فقد نقضت وجعلتها اسما للذات ووقعت فيما انكرت من
الجسم فسوال لا يستحق ان يسمع ولا لصاحبه في العقل مطمع قسمت وسبرت
وبقيت عليك اقسام وما شعرت اولقايل ان يقول ليست هذه الاسما من
اسما الذات ولا من اسما الافعال بل هي قسم اخر وهو اسما الصفات والتقسيم
مهما لم يكن دايرا بين النفي والاثبات فهو معرض للنقوض والافات ثم انظر الى من
العنفا نسج اول كلامه في المسميات ثم اخذ يتكلم في الاسما ومن لم يفرق بين
الاسم والمسمى فهو جاهل اعمى ثم انظر الى هذا السايل ووقاحته فلقد
خرج بجهله عن ابناء جنسه كيف قال فان قلت هي اسما للذات في المقدم وبين
قوله للذات في الثاني وهل هذا الا بمثابة من يقول ان قلت ان هذا

اليوم نهار فقد نقضت وجعلته نهارا فما قولك يا هذا بنتيجة السلم للمتصل
وحدوده وبحد النقيض وشروطه فلو استرزقت الله عقلا لكان الاحري بك
من الكلام في المعتقدات والاولى ثم اعجب من ذلك كله انك لزمت من قال
ان العلم والقدرة والارادة اسما للذات القول بالتجسيم وهذا نتيجة الجهل
الصميم والفهم السقيم وهذا من يلزم من نقيض الثاني او عين المقدم
فو الذي خص الاذكيا بالعقول لقد اربيت في جهلك على كل جهول واتيت
بما ليس بمفهوم ولا معقول • واما قولك وان قلت انها من اسما افعاله
التي منها سمي قادرا عالما مريدا هو التثليث الذي امرنا به فيقتضي ان الاقانيم
من اسما الافعال • وهذا قول لا يقول به المجانين ولا الاطفال • فان معنى تسميته
الله تعالى باسما الافعال انما معناها عند العقلا ان يخلق الله فعلا يسمى
ذلك الفعل باسم فيشتق له من ذلك الفعل اسم مثال ذلك خالق
ورازق محالا ان على الله تعالى باعتبار خلق الخلق ورزق الرزق فان اردت
هذا المعنى كان ذلك محالا على الصفات العلى فان صفاته سبحانه ليست
بمخلوقة على ما يعرف في موضعه وايضا فلو جاز ان يسمى بعلم يخلقه
عالما وبارادة يخلقها مريدا وبقدرة يخلقها قادرا اجاز ان يسمى بحركة يخلقها
متحركا وبصوت يخلقه مصوتا وذلك يجر الى جهالات لا يقول بها عاقل
فان اراد هذا السايل باسما الافعال امرا اخر فهو انما اصطلح مع نفسه
فكان ينبغي ان يفسر ما يقول او لم يتكلم بما اصطلح عليه ارباب العقول ده
واما قولك فهذا هو التثليث الذي امرنا به فنقول فيه كذبت • وعلى الله
ورسله افتريت • فان الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تامر باعتقاد التثليث
لاحد من الانام • بل قالت الانبيا عليهم السلام • ما يعرفه الخاص والعام • امنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلثة • ولقد حصل للعقلا بالتواتر وعلموا بالوراثة • ان الله
تعالى قال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة • ثم قولك هذا تريد به انكم
امنتم باعتقاد الهة ثلثة وانكم قيل لكم اعتقدوا ان الله انه الهة ثلاثة اله
واحده وقولوا به وليس الامر كذلك عند رهبانكم المتقدمين واساقفكم

الماضيين

الماضيين هذا اغشتين يقول بعد ان تكلم في الاقانيم واثبت انها صفات
على ما يقتضيه كلامه وذلك انه قال وهذا قولنا في الاقانيم الثلاثة التي
لا يمكن جحدها منه ولا صفته تغيرها وهذا تصريح منه بانها صفات ثم قال
بعد ذلك فهذا قولنا في التثليث الذي وصفه الانجيل وامرنا بالايمان به
وسياق نص كلامه ولم يقل امرنا بان نعتقد ان الله واحد ثلاثة والثلاثة
لا تكون واحدا كما قد تبين فساده بل مفهوم قوله ان الانجيل وصف
ان الله تعالى موصوف بهذه الصفات وامرنا بالتصديق بذلك ولو التزم
عن السنتكم امر التثليث واعتقدتم ان الله واحد موصوف بصفات
الكمال ونعوت الجلال لو فقتم في هذه المسيلة للصواب • وحصلتم منها على
الحق بلا ارتياب • ولكن من حرم التوفيق • استد به الطريق • ونكل عن
التحقيق • على ان ما ذكرته في امر التثليث لا يستقيم على راي المتقدمين من
احباركم هذا كتاب المسايل السبع والخمسين يقول فيها لا نقول ان التثليث
ممتزج في اقنوم واحد كقول شباليش ولا الاهية منجزلة او متبعضة لذات
كهرطقة اريش بل ان اقنوم الاب غير اقنوم الابن واقنوم الابن غير الروح
لكن التثليث المقدس ذات واحدة فاذا لم تكن ممتزجة وكان كل اقنوم منها
غير الاخر والاقنوم عندكم الشي المستغني بذاته عن اصل جوهره في اقامة
خاصة جوهرية فكيف يتسع عقل لان يقول ان هذه الثلاثة المتغايرة التي
هي على ما ذكر واحد • وهل قايله الا معتوه او معاند

الفصل الثاني

في حكاية كلامه ايضا قال فان قلت لم لا تقولون باسم القادر العالم
المريد اذ قلتم باسم الاب والابن وروح القدس فنبين اب وابن وروح
القدس ثالثا اعلم ان المسيح لما بعث الحواريين الى جميع الاجناس قال لهم
من امن منهم فعمدوه على اسم الاب والابن وروح القدس وانما خاطبنا
بمثل تعاقنا فجعل هذه الاسما كاختلاف قضايا تلك الافعال ثم
واسط ثم اخر فاول القضايا خلق الله الجميع به باسماها ابا واضافها الى القدرة
واضاف قضية وعظ المسيح للناس الى العلم وسماه ابنا لان العلم لا يوقع عليه

حتى تولد كلاما واضاف قضيته بنا الدنيا مكافاة جميع اهلها باعمالهم الى
الاراده وسماها روح القدس الذي هو عالم قادر مريد اسما للواحد الذي لا يتكثر

الجواب عن قوله اعلم يا هذا انك لم تحسن السوال ولا حصلت
منه على صواب مقال بل حصل منه في رجليك عقال قلبت السوال ولم تشعر
وجهلت من حيث ظننت انك تستبصر اردت ان تقول في الاعتراض الذي
وجهته على نفسك لم لا يكتفون باسم القادر العالم المريد ولا يقولون باسم
الاب والابن وروح القدس فقدمت واخرت وبالالفاظ والمعنى اخللت
ثم انتجت النتيجه قبل ذكر المقدمات فصار لذلك كلامك من اركك التركيبات
فعلت فيها مسمين اب وابن وروح القدس ثالثا وهذا كلام مختل ناقص
مشوب بالفساد غير خالص وانما كان صوابه ان تقول فتبين انه اب
وابن ثم قلت ثالثا بالنصب بخطك ضبطته مشعرا بانك اعربته بل بالاتفاق
كتبه لم تشعر بانك قلته واما قولك ان المسيح بعث الحواريين الى جميع الاجناس
بكلام نقلته مدعيا انك رويته ونحن يجب علينا ان نتوقف في اخباركم
ولا نقطع بصدقكم ولا بكذبكم بل نقول ما امرنا به الرسول وبلغنا على السنة النقلة
العدول امنا بالله ورسله بان صدقتم لم نكذبكم وان كذبتم لم نصدقكم ومع
تسليم ذلك جدلا فلا بد ان نباحثكم فيما نقلتم وننقضه فيما حكيتم
فنقول ظاهر قولك هذا يفهم منه ان رسالة عيسى كانت عامة لجميع الاجناس
وليس الامر كما زعمتم وسياق الكلام على هذا في باب النبوات وكذلك
الكلام على المعمودية وما يلزم عليها ياتي في باب الكلام على احكامهم ان شا الله تعالى
واما استدلالك على وجوب اعتقاد الاب والابن واطلاق القول بذلك
بما قاله عيسى للحواريين فلا حجة لك فيه اذ ليس بنص قاطع بل هو مما تقولون
انتم عليه متشابه فانه يحتمل ان يكون مراده به عمدوهم على بركة هذا القول
كما يقول القايل كل على اسم الله وامش على اسم الله اي على بركة اسم الله
ثم لم يعين الاب والابن من هما ولا ما المعنى المراد بهما ولعله اراد بالاب
هنا الملك الذي نفخ في امه مريم الروح اذ نفخه سبب علوق امه وحملها به

واراد

واراد بالابن نفسه اذ خلقه الله من نفخة الملك والنفخة له بمثابة النطفة في حق
غيره ثم لا يبعد ايضا في التاويل ان صح عن عيسى صلى الله عليه وسلم انه كان
يطلق على الله لفظ الاب ان يكون مراده به انه ذو حفظ له وذو رحمه وحنان
عليه وعلى عباده الصالحين فهو لهم بمنزلة الاب الشفيق الرحيم وهم له في القيام
بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار ويحتمل ان يكون تجوز باطلاق هذا اللفظ على
الله تعالى لانه معلمه وهاديه ومرشده كما يقال المعلم ابو المتعلم ومن هذا
قوله تعالى في كتابنا ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل على احد
تاويلاته وعلى هذين التاويلين يصح حمل ما وقع في اناجيلهم من هذا اللفظ
بل هذان التاويلان ظاهران ومسوغان فيها ويشهد لذلك قول
عيسى للحواريين على ما جا في سورة الوصية حيث قال لهم اذا صليتم
فقولوا يا ابانا السماوي تقدس اسمك وقرب ملكك ثم قال بعد كلام
ووصايا فاذا كنتم انتم على شركم تعرفون اعطا الخيرات اولادكم فكيف
ابوكم السماوي وكذلك وقع في انجيل يحيى ان عيسى قال لليهود انا عالم
انكم من نسل ابرهيم ولكن تريدون قتلي لانكم لا تتعلقون بكم وصيتي فانا اعلمكم
بما رايت عند الاب وانتم انما تعملون ما رايتم من ابايكم فاجابوه انما
ابونا ابرهيم فقال لهم ان كنتم بني ابرهيم فاقفوا اثره ولا تريدوا
قتلي على اني رجل وديني الكلم الحق الذي سمعت عن الله ولم يفعل
ابرهيم هذا غير انكم تقفون اثار ابايكم فقالوا له لسنا اولاد زنا انما نحن
بنو الله فقال لهم لو كان الله اباكم لحفظتموني لاني منه ثم يقول على انه عليه
السلام وان كان يطلق هذه الاسما فانما كان يطلقها متمثلا بها وهكذا
اكثر كلامه الذي يكون في انجيلهم ثم قد نهى عن اطلاقها في الانجيل للحواريين
قال في انجيل لوقا للحواريين ما تقولون انتم فاجابه شمعون سطر وقال
له انت المسيح بن الله فنهاهم وكذلك كان يقول اذ كان يخرج الجنون عن
المجانين فكانت تخرج وهي تقول انت ابن الله فكان ينتهرهم ويمنعهم
من هذا القول فهذا يدل دلالة بينة على ان المسيح كان يطلق لفظ الاب

على الله تعالى بالمعنى الذي يطلق على ابراهيم عليه السلام انه اب وذلك
بمعنى المعلم المشفق وكذلك جاء كما نبا ملة ابيكم ابراهيم وبذلك المعنى
يقول اليهود والنصارى في ابراهيم اب وليس على حقيقة الابوة ومع ذلك
فما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
وكذلك في الانجيل في غير ما موضع قال لكم ابوكم وقلت لابي ويلزم على مساق
هذا ان لا يختص المسيح باسم الابن ولا الله باسم الاب وما كنا نطول الانفاس
مع هولا الجهال الارجاس فانه اذا احتمل هذا اللفظ هذه التاويلات كان
من المتشابهات ولا ينبغي ان يصار اليه في الاحتجاجات وخصوصا في الاعتقاد
ثم نقول لا يخلو المستدل بذلك او ما تقاربه على المعنى المتقدم اما ان يريد به
حقيقة الاب والابن او لا يريد ذلك فان اراد الحقيقة كان محالا وباطلا فان حقيقة
الاب عند العقلا حيوان ولد من نطفته حيوانا هو من نوعه وبهذه النسبة
والصفة نفهم حقيقة الابن وهذان الوصفان محالان على القدرة والعلم
فان العلم ليس بحيوان مولود من نطفة حيوان ولا القدرة حيوان يخرج منها
نطفة يتولد منها حيوان وهذا معلوم البطلان بالضرورة وان اراد بذلك
المجاز فلا يصح له حمله على المجاز حتى يجتمع المجاز والحقيقة في امر ما فانك اذا قلت
زيد اسد انما تجوزت بلفظ الاسد واطلقته على زيد لاجل الشجاعة الجامعة
بين الاسد وزيد ولولا ذلك لما صح المجاز فاذا لا بد لهذا المتجوز من جامع بين
الحقيقة والمجاز فما الجامع الذي لاجله تجوز هذا المحتج فان قال الامر الجامع ان
القدرة اصل العلم وقد قال ذلك في داخل كتابه منعنا ذلك ولم نسلمه
وقلنا المفهوم من القدرة والمعقول منها عند العقلا صفة بها يوجد ما لم
يكن موجودا والمعقول من العلم انه صفة كاشفة نفسها ومعلومها
يصدر عنها الاحكام والاتقان وهما في حق الله ازليان عندنا وعندهم واذا كانا
كذلك فلا يتقدم احدهما على الاخر في الوجود واذا لم يصح ذلك فلا يكون احدهما
اصلا للاخر فان اراد هذا القايل التقدم في الذهن فالعلم هو المتقدم في
الذهن فانه لا يصح فعل اختياري من غير عالم فان العلم شرط الايجاد

والشرط

والشرط متقدم في الذهن على المشروط بالضرورة ولذلك نقول علم زيد
فقدر ولا نقول قدر فعلم وتحقق هذا المعنى على القطع عند من عرف
الفرق بين العلم الفعلي والانفعالي ولو عكستم ما ذكرتم فسميتم العلم ابا
والقدرة ابنا لكان احق بذلك واولى ثم نقول لاي شي صرتم الى ان
الجامع بين الحقيقة والمجاز هو الذي ذكرتم وبم تنكرون على من يزعم ان هناك
وجها اخر لم تطلعوا عليه ثم حكمتم بتعيين هذا الوجه الذي ابديتم ام بغير قاطع
فان زعموا انهم قاطعون فما مستند قطعهم فلا بد من ابدايه ولا شك
في انهم لا يجدون ابدا في هذا المعنى نصا قاطعا وان زعموا انهم ليسوا بها
قاطعين فقد اعترفوا بانهم شاكون في اعتقادهم فقد كفونا مونة الكلام معهم
فانهم اسندوا اعتقادهم الى الشك وكفى بذلك زورا وافكا ثم يلزمهم
على تسليم ما ذكروه من الجامع الذي ابدعوه ان يكون الباري تعالى ابا لكل
المخلوقات اذ هو اصل كل المخلوقات اي موجدها ومخترعها واما قولك فجعل
هذه الاسما ثلاثة فيفهم عنه ان هذه الثلاثة الاقانيم التي تقدم ذكرها مجعولة
وان الله تعالى هو الذي جعلها واذا كانت تجعل الله فهي تخلقه وما كان تخلقه
فهو محدث فيلزمك على ظاهر قولك ان هذه الاقانيم محدثة باختراعه تعالى
وانتم تقولون انها ازليات قديمة واما قولك التي هي اسما افعاله فقد
ابطلناه فيما تقدم حيث بينا حقيقة اسما الافعال ومن وقف على ذلك
تبين بطلانه هنالك واما قولك مختلفة الاسما كاختلاف قضايا تلك الافعال
ثم واسط ثم اخر فكلام لا يروقك منظره ولا يفيد فايدة مخبره يشهد على قايله
بالجنون ويضحك من عدم فايدته وركاكته الغافلون اراد هذا الجاهل ان يتكلم
فخرس وكذلك يفعل الله بكل مبطل اذا انكس وانما اراد هذا المبطل ولم يعطه
العبارة لما لم يحصل ان هذه الاقانيم الثلاثة انما سميت ابا وابنا وروح
القدس باعتبار قضايا ثلاث وذلك ان القدرة انما سميت ابا باعتبار انها اصل
الموجودات اذ بها وجدت وانما سمي العلم ابنا باعتبار انه اتحد بالابن الذي هو المسيح
وصدر عنه وانما سميت الارادة روح القدس باعتبار مكافات الخلق في الدار الاخرة

بالنعيم فان زعمت انك لم ترد بهذا فكلامك غير معقول وقولك ليس
بمنقول وهذا الذي في هذا الكلام لم يقل فيما علمت به احد من عقلاء نصارى الاسلام
وكفى بقولك عار مبين مخالفة لاسقفكم اغشتين وما يقول في مصحف
العالم الكاين انما سمي العلم ابنا باضافته الى القدرة اذ القدرة اصله وكما
صار التعارف الاعجمي ان يسمى القدرة التي هي الاصل والدا كذلك صار التعارف
في ذلك اللسان ان يسمي العلم المنسوب اليها ابنا لها فقوله هذا مخالف
لقولك ورايه غير موافق لرايك على انه غلط في قوله ان القدرة اصل العلم
ويتبين غلطه عند من وقف على ما قدمته قبيل لكنه ان كان قد غلط فالامر
عليه اقرب والخلاف معه اهون لانه رجع الخلاف معه الى اطلاق لفظ وليس
وراء ذلك كبير خطب واما قولك ان العلم لا رفع عليه حتى يتولد كلاما بكلام خطيط
ينبي عن جهل وتخبيط فان العلم لا يتولد كلاما اذ لو جاز ذلك لانقلبت
حقيقة العلم ولو جاز انقلاب حقيقة واحدة لجاز انقلاب كل حقيقة فينقلب
القديم حادثا والحادث قديما والجسم عرضا والسواد بياضا الى غير ذلك من
انواع انقلاب الحقايق ثم قولك فاسد وباطل بالضرورة فانا نعلم امورا
من غير كلام موصل الى علمنا بوجود انفسنا وبالامنا ولذاتنا ومحسوساتنا
وبديهياتنا ثم قد صرحت بلفظ التولد وهو باطل فان المتولدات
ممكنات وكل ممكن مقدور بقدرة الله تعالى فكل المتولدات مقدورة بقدرة
الله تعالى واذا ثبت انها حدثت بقدرة الله تعالى فلا يقال انها متولدات
اقول هذا الكلام شجون والعلم فنون على اني اعرف انك لا تفهم ما اقول
وانما اخاطب اهل الفهم والعقول واما قولك الذي هو عالم قادر مريد اسما
للواحد الذي لا يتكثر فقول يدل على تخطيك وسهوك ونقضت به
ما تقدم من قولك حيث جعلت الاقانيم اسماء افعال بزعمك ثم قد صرحت
هاهنا اسما للواحد الذي لا يتكثر ولو حكي مثل هذا الكلام عن المستغرق في
النوم لقيل هذه اضغاث احلام وبعد هذا فلتعلم اني تجاوزت عنك
في هذا الفصل ولم اواخذك بكل ما فيه من خطل القول خشية طول الكلام

وتبدد المطلب وبعد المرام واول ذلك انك لحنت وصحفت في ثمانية
مواضع تتبين للناشيين بل للمرضعين من المراضع

الفصل الثالث في حكاية كلامه ايضا ثم قال فان قلت اذ قلتم
بالتثليث لانها اسما افعال الله فاسما افعاله اكثر من ثلاثة فقولوا بها كقولكم
بالتثليث لانه قوي وعزيز وغالب وسميع وقاهر وبصير وعفو وراضي
ومعاقب وغيرها من اسما افعاله فقولوا بها اجمع كقولكم بالتثليث
قلت لك هذه التي ذكرناها هي اصول جميع التسمية ومنها تنبثق
وفيها تندغم فعزيز وقوي وغالب وقاهر وما شبهها اصلها القدرة
ومنها تنبثق وفيها تندغم وغفور ورحيم وراضي وساخط ومعاقب
اصلها الارادة منها تنبثق وفيها تندغم فان قلت فقديم وحي ليست
منبثقة منها ولا مندغمة فيها فقولوا بالتخميس قلت لك ان قديم
وحي اسما ذات لا اسم افعال وكل اسم للذات انما يودي معنا واحد النفي
ضده فقديم لنفي محدث وحي لنفي ميت ورب لنفي مربوب والاله لنفي
مالوه فكل اسم من هذه القدرة والعلم والارادة التي هي اسما افعال ثلاثة
لذات واحد لا يتكثر وكما انا قد فهمنا ان نفس الانسان لا يقوم لها
فعل الا عن ثلاثة ان نقص منها واحد لم يتم له فعل وان زاد فيها رابع لم تنفق
فلذلك فهما عرجا لنا ان تدبيره ساعن ثلاثة وذلك ان الانسان لا يقوم له
فعل دون الثلاثة وذلك القدرة والعلم والارادة لا رابع لها فان عجزت
منها واحدة لم يتم له بالاثنين فعل لانه ان علم واراد ولم يقدر فقد عجز
وان قدر وعلم ولم يرد فلا يتم له شي الا بالارادة وان قدر ولم يعلم
لم يتم فعل بالجهل فقرب الكتاب معرفة الخالق بخلقه لم تمثل تعارفنا في
انفسنا ان القدرة والعلم والارادة خواص قايمة وهي المتممة للفعل منا
وانها لذات واحد ولذلك التثليث في الله واحد الجواب عما ذكره اعلم
يا هذا انك اعترضت على نفسك بما يدل على كلال ذهنك وعدم حدسك
لانك اخللت بالسوال وتحكمت في الانفصال اما اخلالك بالسوال فاول ذلك

انك لحنت في هذا الفصل في ثمانية عشر موضعا وذلك بين عند من تامل مكتوبك وثانيه انه كان ينبغي لك ان تقدم قبل هذا السوال النظر في حد هذه الاقانيم وحقيقتها ثم في الدليل على وجودها فان النظر في كون الشي واحدا او كثيرا انما يصار اليه بعد معرفة حقيقته ومعرفة وجوده فاذا فرغت من ذلك نظرت فيها هل وجودها زايدا على الذات اعني ذات الفاعل ام هو عين الذات فاذا عرفته نظرت هل وجود كل اقنوم منها هو وجود الاخر ام غيره فاذا عرفت هذه المطالب كلها حينيذ كان يمكنك ان تنظر هل هي واحدة ام كثيرة او هل ترجع الى شي او يرجع اليها شي ولابد لكل ناظر سطر فيما نظرت ان فيه ان تعرف قبله ما ذكرته بالبراهين القاطعة والا فكيف تتكلم في فرع لم يثبت عندك اصله ولو كنت في نظرك من المستفطنين لنظرت على الطريقة التي عملها الغنيين **واما تحكمك في الانفصال** فانما يتبين اذا حكيت كلامك وهفت مرادك انك وجهت على نفسك كان قايلا قال لك لم جعلت الاقانيم ثلاثة واسما الله تعالى اكثر من ذلك فانفصلت عن ذلك وقلت اسما الله تعالى وان كانت كثيرة فانها ترجع الى هذه الثلاثة فقاهر وقوي وغلوب وما اشبهها راجع الى القدرة وغفور ورحيم وما اشبهها راجع الى الارادة هذا مقتضى كلامك بعد التكرار والاكثار وهذا كله منك تحكم بما لم يقم لك عليه دليل ولا يشهد له من كلامك نظر ولا تعليل والا فما الذي يدلك على ان اسما مختلفة المفهومات والحقايق راجعة الى معنى واحد وان جاز ان ترد الاسما المختلفة المفهومات الى معنى واحد بالتحكم جاز ان يقضي بعكس ذلك وهو ان ترد الاسما المترادفة على معنى واحد الى معان مختلفة وذلك مما لا يقوله الغبي والجاهل **ثم** نقول على جهة السوال وبه يظهر تحكمك في الانفصال ثم نتكر على من زعم ان جميع صفات الكمال مثل القدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام والحياة والقدم والبقا وغير ذلك من صفات الكمال والاستغنا هي اقانيم الموجودات واصولها فان الممكنات انما تبدل عدمها بوجودها بايجاد موجد متصف بصفات الكمال ومنزه عن صفات

النقص

النقص والافتقار كان محتاجا الى مزيل للنقص عنه ومن كان محتاجا كان ممكنا وكل ممكن فلا بد ان يستند وجوبه الى سبب واجب الوجود فحصل من هذا ان صفات الكمال والاستغنا كلها لا يصح ايجاد موجد محدث الامن اتصف بمجموعها وان من لم يتصف بها فلا يصح منه ايجاد موجد فاذا هي اصول الموجودات الممكنة فاذا هي اقانيم على قولك وسياق مزيد كلام في الاقانيم **ثم** نقول ان قضيت برجوع هذه الاسما بعضها الى بعض مع تباين مفهوماتها واختلاف معانيها فلم لا تقضي برجوع الارادة الى العلم ورجوع العلم الى التجرد عن المادة كما زعمت الفلاسفة ولم لا تقضي برجوع القدرة الى الوجود كما ذهب اليه طوايف من النصارى المتقدمين فقد كان طوايف منهم لا يعدون القدرة اقنوما وكانوا يردونها الى الوجود وكانوا يردون الارادة للحياة فالاقانيم عندهم الوجود والعلم والحياة وسياتي حكاية مذهبهم ان شا الله تعالى وهذا كله يدل على انكم في عقايدكم متحكمون لا ترجعون فيها الى اصل عليه تعولون **واما سوالك الثاني** الذي وجهت على نفسك فوارد عليك ولازم لك ولم ينفصل عنه على انك احلت به فان الذي يعترض به عليك اكثر من قدم وحي اذ قد يرد عليك الوجود فانه اصل الاقانيم والسمع والبصر فانه لا يصح رجوعهما بحال الى العلم فان العلم لا ينوب عن الادراك فانا بالضرورة نعلم الفرق بين العلم بالصوت وسماع الصوت وبين العلم بالمرئي ورؤية المرئي مثال ذلك انا نعلم معلوما على غاية ما يمكن من العلم ثم اذا رايناه حصل لنا بالضرورة مزيد وضوح ومزية تنبيه على العلم به وكذلك في المسموع وذلك المزيد وتلك المزية اما ان نقول ان الله تعالى مدرك لها او ليس مدركا لها فان لم يدركها فقد فاته بعض المرايا ولم يحصل له ذلك الوضوح فيكون من ادركها وحصلت له اكمل ممن لم يحصل له ذلك فيودي الى ان يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف واتم من الصانع وذلك محال وان كان مدركها فبذلك الادراك يسمى بصيرا سميعا وهو زايد على العلم فان العلم لا يغني عنه كما تقدم ولسنا نشترط فيها بنية مخصوصة ولا جارحة ولا اتصال اشعة بل نتره الله تعالى عن كل ما يوهم النقص

والمقصود في حقه وبهذا كانا ما نشترط في كونه تعالى عالما قلبا ولا دماغا ولا في كونه
قادرا بنية ولا آلة بل السمع والبصر ادراكان اعني صفتين متعلقتين بالمسموعات
والمبصرات على ما يعرف في موضعه فاذا تبين انهما لا يرجعان الى العلم فعدوهما صفتين
زايدين على ما ذكرتم وهذا ما لا محيص عنه ولا جواب عليه واما قولك وكل اسم للذات
انما يؤدي معنى واحدا الى نفي ضده فكلام من لم يحنكه الاعتبار ولا عرف اصطلاح
النظار وذلك انك اطلقت صفات الذات وصفات الافعال على ما لم يطلقه
عليه النظار ولا استعمله في نظره احد من علما الامصار ونحن نذكر اصطلاح النظار
المعتبرين في صحة النظر والافكار في اطلاق نوع الاسما حسبهم على شي من مفهومها
قالوا انما تطلق الاسما بحسب المسميات والمسميات اما ذات او امر زايد على الذات
فالذي يدل من الاسما على الذات هو الذي يقال عليه اسم ذات مثل قولنا انسان
وملك ومن اسمائه تعالى الله والخالق واما الذي يدل على امر زايد على الذات فذلك
الامر الزايد يكون نفي شي عن الذات او ثبوت شي للذات فالذي يدل على نفي شي
عن الذات هو الذي يقال عليه اسم سلب مثال ذلك فقير وسالم ومن اسمائه تعالى
القدوس والسلام فانهما تدل على البراة من العيوب وعلى نفيها واما الذي يدل على ثبوت
شي للذات فذلك الثابت اما ان يقوم بالذات او لا يقوم بها فالذي يقوم
بالذات هو الذي يقال عليه اسم الصفة ومثال ذلك عالم وقادر وسميع وبصير
فان هذه صفات زايدة على الذات واما الزايد على الذات الذي لا يقوم بها فهو الذي
يقال عليه اسم الفعل وقد يقال عليه اسم الاضافة مثل خالق ورازق فتحصل
من التقسيم ان الاسما على اربعة اضرب ذات واسما صفات واسما سلوب واسما
افعال وقد يقال عليها اسما اضافات فهكذا ينبغي ان يفهم اصطلاح المتقدمين
والنظار المعتبرين فان كنت اصطلحت مع نفسك على غير ما تعارفه النظار
فنت على شي ما كان عليه العلما والاخيار فتكلم باصطلاحك مع نفسك
ولا تخاطب به احدا من ابنا جنسك ولا تظن ظان ان هذا القايل اراد باسما الافعال
الاسما التي لا يوجد الفعل الا بها مثل العلم والقدرة والارادة وانه قد جعل من اسما
الافعال ما لا يوجد فعل لسميع وبصير وغيرهما مما ذكر وفيما احسب انه اراد هذا المعنى

ولم

ولم تساعده العبارة معنى وعيي واما قولك حي لنفي ميت ورب لنفي مربوب
والاله لنفي مالوه فكلام مجنون معتوه فانه ان جاز ان يكون حقا من اسما
السلوب والنفي فما المانع ان يكون العلم من اسما السلوب فانه يمكن ان يقال عالم
لنفي جاهل ومريد لنفي كاره وقادر لنفي عاجز وهكذا يجري في جميع الصفات
والاسما التي لها معاكس وذلك يودي الى جهالات وتحير للعقلا وايضا فان
كانت الحياة سلبا فيستحيل ان يكون شرطا للعلم والقدرة والارادة وغيرها
وكونها شرطا لهذه الصفات معلوم بالضرورة والنفي لا شرطا ولا مشروطا في مثل
ما نحن فيه ثم نقول قولك هذا مخالف لما تقوله اقستكم هذا صاحب كتاب الحروف
يقول الباري تعالى لم يزل حيا بروحه وناطقا بكلمته فمتى قلت لم يزل حيا ولم
يزل ناطقا اوجبت في نطقك لحياته ونطقه الازلية وهذا منه تصريح بان الحياة
ليست ترجع الى نفي الموت ثم قال بعد ذلك بكلام ورجعا اعني حياة اقنوم خاص
كامل لم يزل وسياق الكلام معه في هذا الى ان شاء الله تعالى واما قولك رب لنفي مربوب
فقول مختلط عقله مغلوب فان الرب معناه المالك فهو من اسما الاضافة
والافعال واما الاله فهو من الالهية وهي العبادة فهو مالوه اي معبود فهو من اسما
الافعال والاضافة واما قولك وكما قد فهمنا ان نفس الانسان لا يقوم له
فعل الا عن ثلاثة كذلك فهمنا عن خالقنا ان تدبيره مما على ثلاثة فقول يدل
على سوء نظرك وقلة تثبتك وذلك ان مفهوم ما ذكرته في هذا الفصل على قبحه
وسوء ترتيبه هو انك قلت ان الانسان لا يتاتى منه فعل حتى يكون قادرا عالما
مريدا فان نقصه واحدة منها لم يصح ايجاد الفعل منه فكذلك خالقنا سبحانه وتعالى هو
قادر عالم مريد ولو نقصه منها واحدة لم يصح ايجاد فعل كالانسان
فلا حمل على كثرته وهذا الكلام فاسد لانه قياس الغايب على الشاهد وهو قياس
خال عن الجامع وايضا فلو كان هناك جامع لكان باطلا لانه قياس يجري على جزئي
وذلك انما هو صالح للظنيات لا للعقليات ولو جاز قياس الباري سبحانه على خلقه
للزم ان يكون قادرا حتى يكون ذا آلة وعصب ويد الجارحة فان الواحد منا
لا يكون قادرا حتى يكون كذلك وكذلك كان يلزم ان لا يكون عالما حتى يكون

ذا قلب ودماغ الى غير ذلك من المحالات ولزمك على مساق قولك ان يكون
الباري تعالى جسما فانك لم تر موجودا ولا فاعلا لفعل الا قادرا عالما مريدا
لم ير فاعلا ولا موجودا الا جسما وهذه جهالات لازمة على قولك ومنتجة عن
صميم جهلك فلا تسمع بهذا الكلام حتى تسبره على محك النظار الاعلام ولو
تتبعنا خطاك في هذا الفصل لطال الكلام ولكثر عليك التوبيخ والملام لكنا
نكل الناظر فيه الى فساد معانيه

الفصل الرابع في حكاية كلامهم ايضا

قال فان سال سايل من المخالفين فقال ما الدليل على صدق ما يدعون من
تثليث وحدانية الخالق وكيف يمكن ان يكون الثلاثة واحدا والواحد ثلثة معا
ابتداتم به من القول واثباتكم اياه فردا لم يزل علنا لم اما ان يكون الثلاثة واحدا
والواحد ثلاثة فذلك لعمري ما لا يمكن ولكنا نقول ان جوهرا قديما
لم يزل وموجودا بثلاث خواص ازليات جوهريات غير متباينات ولا متفرقات
في الجوهر القديم الازلي الذي لا يتبعض ولا يتجزا وكان فلا هو ثلاثة وجميع
الثلاثة خواص هي بمعنى ما هو ولا هو واحد بمعنى ما هو ثلاثة اعني ليس
هو خاصة واحدة بل ثلاثة خواص فهذا مذهبنا في تثليث وحدانية الخالق ه

والجواب عنه هذا السوال الذي وجهت على نفسك وارد عليك ولازم
لك واما انفصالك عنه فيخرجك عن ملة النصرانية ولا يبقى عليك منها بقية
وذلك ان مرادك من هذا الجواب انك قلت كلاما معناه ان يكون الواحد
ثلاثة والثلاثة واحد غير جايز عقلا ولكن معنى التثليث ان الله تعالى جوهر قديم
لم يزل موصوفا بثلاث خواص ازليات فهو واحد بمجموع الاقانيم وثلاثة بتفرق الاقانيم
وتلك الاقانيم لا تفارق وجوده ولا تباينه لا يمكن ان يحمل كلامك الا على هذا
وان حمل على غيره فهو بعيد وغير مفيد وهذا الذي ذكرته لا نسلمه لك اكثر النصارى
بل يتبرون عنه ولا يرضون بشي منه او النصارى قبلك او اكثرهم متفقون
على ان الاقانيم الثلاثة الهة وانها اله واحد فانت هي خواص وهم يقولون الهة
فاي شي يجمع بين الخاصية والالهية وبينهما ما بين السما والارض والرفع
والخفض وسيتضح ذلك اذا نقلنا مذاهبهم في ذلك ان شا الله تعالى ثم نقول لهم

لاي

لاي شي تحكمتم بتسمية خالقكم جوهرا وفي اي موضع من كتب الانبيا وجدتم
الامر بذلك او على لسان من بلغكم الامر به ولا تجدون لاثبات الامر بذلك سبيلا
غير التحكم ولو كنتم ممن يستحيي من الله لما تحكمتم عليه بان سميتموه بما لم يسم به نفسه
ولو ان واحدا منكم سمي ولدا له بغير امره لانف من ذلك وعظم عليه ولوبخ المسمي لانه
تصرف فيما لا ينبغي له هذا اذا كان الاسم ما يفهم منه المدح فما ظنك
لو سمي بلقب يفهم منه النقص والعيب ولفظ الجوهر في المتعارف عند ارباب
النظر انما يطلقونه على المتحيز وهو الجرم الشاغل قدرا من المساحة ولابد له
من الحركة والسكون وهما دليلا تغيره وحدوثه وربما اطلق لفظ الجوهر بعض
النظار على الموجود لا في موضع ووجوده لا يجوز ايضا اطلاقه على الله تعالى لان الوجود
لا في موضوع وجوده زايد على ماهيته بعد هذا المطلق وذلك هو الممكن لا الواجب
فان اردت به معنى اخر فلا بد من بيانه او لم تتكلم بما تكلم به ارباب النظر
المذللون سبل الغير

الفصل الخامس في بيان اختلافهم في الاقانيم

نبين في هذا الفصل مذاهب اوايلهم ونتكلم معهم فيها ونوضح فسادها
ان شا الله تعالى ونحكي مذاهبهم بالفاظهم كما وجدتها في كتبهم ولم اعول في
ذلك على نقل علمانا عنهم فقط بل تتبعت ما امكنني من كتبهم والله الموفق
قالوا لما افهمتنا الشواهد العقلية ان الخالق لم يزل حيا ولم يزل ناطقا
قلنا فهل يجوز ان يكون هو وحياته ونطقه شخصا واحدا جامعا لاجزا مختلفة
كما يقال في حد الانسان انه حيوان ناطق مايت او انسم اجزا جوهرية مع اعراض
المختلفة فيه اقنوما واحدا شخصا واحدا ولا يسمى كل جزو وكل عرض منها اقنوما
انسيا وذلك ان اسم الاقنوم واجب للشي المستغني بذاته القايم شخصه
لا الذي الاضطرار كالاجزا ولا الذي الاستبدال كالاعراض فان الاجزا والاعراض
لا تقوم مكتفية بذواتها كما ان حر النار الذي هو جز من قوى النار لا يقوم
بذاته اقنوما منفردا دون اصلية النار وضوها وكذلك الاعراض المشتبكة
في الجوهر كالسواد والبياض وما اشبههما لا تقوم اشخاصها مكتفية بذواتها
دون الجوهر اللازم لها فالاقنوم هو المستغني بذاته عن اصل جوهرنيه

كالانسان المستغني بخاصته انسانيته عن الناس والشجرة عن الاشجار
والدينار عن الدنانير فامتناع اجزا الانسان من القيام اشخاصها لاضطرارها وعجزها
عن القيام بذواتها كروحه العاجزة عن القيام بتجريدها انسانا دون جسمه
ونطقه وكذلك نطقه وجسمه لعجز كل واحد منها عن القيام بجرده انسانا لوحده
وذلك لاضطرار كل جز منها الى صاحبه في القيام بانسانيته فاذا تقرر هذا
فحياة الله ونطقه لا تخلوا من ان يكونا جزوين وجوهره كاجزا الانسان
او غير جوهره فان قلنا انها جزان من جوهره الزمناه ما يلزم الانسان من
الاضطرار والتاليف لانا وجدنا اجزا الانسان لاضطرار بعضها الى البعض
تقصر عن احتمال اسما الاقانيم وكما يستحيل على الجوهر الازلي اذ هو متعلي
عن الاجزا والتاليف والتركيب والاعراض فوجب ان يكون خواصه
لغناها وكمالها تسمى اقانيم بخواصها مستحقة ان يوصف منها جوهرية
قديمة كقدمه لا بجزين مركبين ولا عرضين مضطرين لانه لم يزل حيا وناطقا
بكلمته ومن زعم ان الحياة من الله والنطق منه محدثان وصف الله تعالى
في ازليته بالموت والجهل وان قلنا ان حياته ونطقه غير جوهره ازليان
فقد اشركنا مع الله في ازليته غيره فلذلك لسمي كل واحد من الروح والكلمة
جوهره خاصة فوجب ان يكون جوهر الخالق تعالى اقنوما خاصا كاملا
بخاصته لم يزل ونطقه الذي هو كلمته اقنوما خاصا كاملا قايما بخاصته
لم يزل فهذه ثلاثة اقانيم معروفة معانيها لا متفاضلة ولا متركبة
ولا متشابهة جوهر واحد ذات واحدة كتاب صاحب الحروف وهو عندهم
القسيس المعروف ولعمر الله التحسين مذهبهم وتزيين مطلبهم
ولكن لا يستوي الظل والعود اعوج ولا يصلح المذهب وقايله امرج وهل
يصلح العطار ما افسد الدهر وهم مع ذلك فيما ذكرناه من الاقانيم مختلفون
وبالحيرة عمهون بيانه اصحاب كتاب المسايل يقول هذه الثلاثة الاقانيم هي
متوحدة لاجل الاب متساوية لاجل الابن منتظمة لاجل الروح فنومن
ان الاب اب لاجل انه ذو ابن والابن ابن لانه ذو اب وروح القدس

منبثق

منبثق لانه من الاب والابن فالاب اصل الالهية لانه كان لا تخلو قط
ان يكون الها كذلك لم نخل قط ان نكون ابا الذي الابن منه مولود والذي
روح القدس منه ليس مولودا لانه ليس ابنا ولا غير مولود لانه ليس
مخلوقا لانه ليس من شي بل اله منبثق من الاب والابن الاله واقنوم
الاب غير اقنوم الابن واقنوم الابن غير اقنوم الروح القدس لكن التثليث
المقدس ذات واحد لاهية واحدة وهذا تصريح بان الاقانيم الهة وان
كل واحد منها غير الاخر وقد ذهب سبالينس الى ان الثلاثة الاقانيم
ممتزجة في اقنوم واحد وهو عند كثير منهم مكفرا وكالكفر وقد ذهب
اريش الى ان الالهية الاقانيم منخولة ومتبعضة الذوات وهو عندهم
مفتر خارجي قال صاحب كتاب المبال السنا نومن ان في التثليث شيا
مخلوقا او خادما كالذي انشاه ديونيسيس او غير معتدل كقول اونوميس
او ناقص الامتنان كقول اوبعش او مقدما او موخرا او صغيرا كقول
اريش ولا اذا جه كقول مالطه وبريكيان ولا محصورا بالجسدية
كقول اري ومرشيش او محجوبا بعضه عن بعض كقول اونان ولا مربيا من
المخلوقات كقول مرساط ولا متفرق الارادة والعوايد كقول مرجيون
ولا منقلبا من ذات التثليث الى طبيعة المخلوقات كقول افلاطون وبركيا
ولا منفردا في رتبته مشتركا في اخرى كقول اوريان ولا ممتزجا كقول
سبالينس بل كله كامل لانه كله واحد ومن واحد لا منفرد كزعم سبلباس
واذا وقفت على هذه الاقاويل الضعيفة والارا السخيفة لم تشك
في تخبطهم في عقايدهم وحيرتهم في مقاصدهم قالوا في الله باراييهم
واتبعوا فيها ظاهر اهوايهم فهم في ريبهم يترددون ولجهالهم مقلدون
وبضلالهم مقتدون ولما راينا هذه المذاهب الركيكة التي لا يستحق
ان تحكي بل يضحك من ذهاب عقول اربابها ويبكي اعرضت عنها اعراض
المطلع على عورة امام من يخاف جوره فعزمت على نقل مذهب كبيرهم اغشتين
فان مذهبه في الاقانيم تقارب في الصفات مذهب المسلمين وذلك انه

قال بعد مقدمة كلام يرجع حاصله الى ما نذكره لما اقر علما المجوس بالقوة
الماسكة لكل شي واراد بعضهم ان ينزلوا جوهرا غير حي ولا مستغني
بنفسه وجب علينا ان نحتج عليهم بما يضطرهم الى الاقرار بان تلك القدرة
ذات علم وارادة قال وقد رد علينا بعض المقالة برقيرش فقال لا نقول
انه شي فيكون قد سمينا بالاشيا التي لا تسلم من عيب ولكنا نقول انه
لكل شي عقب ولا نقول شي ثم قال الستم تقرون ان الذي قدر هو الذي
علم وان الذي علم هو الذي اراد فهو واحد في جميع المعاني وانما القدرة
والعلم والارادة اسما صارت فيما بين الخلق والمخلوق وليست
لا خالقة ولا مخلوقة لانه لو لم يكن الشي المقدور لم يسم ذا قدرة ولو لم يكن الشي
المعلوم لم يسم ذا علم ولذلك القول في الارادة فهذه اسما انما هي اعراض
واسما فيما بينه وبين الخلق مثل قولنا ذو رحمة وذو عقاب وذو حكم
فلو لم يكن الخلق المرحوم لم يلزم اسم الرحمة وكذلك غيرها قال [illegible]
في جوابه عن قوله لا نقول انه لكل شي عقب وما لم يكن له عقب فليس
بشي لان عقب شي لا شي واذا كان انما ننفي عنه اسم شي لان الاشيا
كلها اليه مثل ذلك يجب عليه في قوله انه او قوله كان مع انا لا نعرف شيا
نقول فيه انه الا بعد معرفتنا اياه شيا وحسبنا في هذا قولنا شي ليس
كشي من جميع الاشيا قال واما قوله ان القدرة والعلم انما هي اعراض
لزمته فيما بينه وبين الخلق وانها مثل الرحمة والحلم فانا نحتج عليه في ذلك
بان نقول لست تنكر انه كان قبل الاشيا ودون الاشيا بلا ابتدا فهل
تقدر ان تجحد انه كان ابدا قادرا فاذا اقررت انه لم يزل قادرا فقد اقررت
ان القدرة صفة ازلية فان قلت انه لا يجوز ان يسمى قادرا قبل ان يكون الشي
المقدور عليه وانما يسمى قادرا بعد كون الشي المقدور عليه قلنا افكان يقدر
على ان يقدر ام لا فلا بد لك من ان تقول كان يقدر فيلزمك وصفه بالقدرة
على كل حال وكذلك قولنا في العلم والارادة وقولك يرحم ويعفو ويحلم
ليس مثل قولنا يقدر ويعلم ويريد لانك لا تقول كان ابدا يرحم وكان ابدا

يخلق

يخلق ولا بد من ان تقول كان ابدا يقدر وكان ابدا يعلم وكان ابدا يريد
ثم قال بعد كلامه مع الفلاسفة فنحن لما لم نصفه بالعلم والارادة لم نصفه
مدبرا ولا حيا ثم قال ان قلنا عرفناه بوحدانيته وعلمناه بذاته من غير نظر منا
الى فعله الدال على قدرته وعلمه وارادته فقد كذبنا لانه لا يقدر احد ان يقول
انه وقع على معرفته الا بالنظر اليه من خلقه والفكر فيه من حكمه ومعرفته
بنفسه وما هذا الاقرار بالثلاثة الاقانيم التي ذكرنا الا انا لما وجدنا الخلق الذي
لم يقدر ان يكون بنفسه وجب الاقرار بالشي الذي قدر ان يكون وهي
القدرة التي سماها علما المجوس الهيولى ثم لما نظرنا الى تدبير الخلق وجب
الاقرار بالعلم والارادة لان التدبير لا يكون الا من يعلم ويدبر فقلنا انها اسم
لاله واحد ونعت لمدبر فرد ولا تجد هي غيره ولا تجد هو غيرها فهذا قولنا
في التثليث الذي وصفه الانجيل وامر بالايمان به وسماه باللسان العجمي
الاب والابن والروح القدس فهذا كلام هذا القس والنصارى
معترفون بانه اعرفهم بدينهم واعلمهم بشرعهم وتقدمهم بنص على الاقانيم الثلاثة
انها صفات ونعوت للواحد الفرد ولا يقال فيها انها هو ولا هي غيره وهو
لعمري من المسددين في هذا النظر اذ قد سلك مناهج البحث والعبر
ولقد قارب الحنيفية فتباعد عن الملة النصرانية الا انا ننازعه في امرين
احدهما في تسمية هذه الصفات الاب والابن على ما تقرر وهذا نزاع لفظي
ليس بكبير ولا له خطر خطير والنزاع الثاني في انه قصر الاقانيم على هذه
الثلاثة ولم يعد الحياة فيها كما فعل غيره منهم وكذلك الوجود الموصوف
فهذه الصفات لم يعدها اخوتها وقد صرح بانها صفات ولا بد للصفات
من موصوف بها بالضرورة وسنعطف عليه بالرد ونتكلم مع غيره ان شا الله
ومع هذا فقد سلك هذا الرجل مسلك ارباب العقول وتبرا من جهالة
كل جهول واذا كان ذلك فسبيلنا ان نتكلم مع الذي صدرنا هذا
الفصل بذكر كلامه فانه كثير الفساد منضرب عن الرشاد ونتضمن الرد
عليه الرد على غيره ممن يقول مثل قوله او ما يقاربه مستعينين بالله متوكلين عليه

الجواب عما ذكره المصدر كلامه اعلم ايها ان طرق كلا بنا انما يمكننا ان
ننافس هذا القايل كما نافسنا السايل فان كلامه كثير الغلط ظاهر
التكلف والشطط لكنا تركنا مناقشته اللفظية وصرفنا المناقشة للمباحث
المعنوية كراهية الاكثار وميلا للايجاز والاختصار وايضا فان نفس الله
في العمر وصرف عنا عوايق الدهر فسنرد عليه في كتاب مفرد ان شا الله تعالى
ابين فيه غلطاته واوضح جهالاته وسقطاته بحول الله وقوته فنقول له
لا يشك عاقل سليم الفطرة ان خالق العالم موجود ليس بمعدوم وقد
اعترفتم بانه حي عالم ومن لم يعترف بذلك اقيمت عليه البراهين القاطعة
فاذا تقرر ذلك فلنا المفهوم انه حي هو غير مفهوم انه عالم او غيره فان
كان عينه فقولكم حي عالم كقولكم حي حي او عالم عالم والفرق بينهما معلوم
ضرورة ولو كان عينه لاختلطت الحقايق فثبت انهما متغايران متعددان
فاذا ثبت ذلك فاما ان يرجعا الي الخالق سبحانه في قولكم انه حي عالم
او لا يرجعان فان لم يرجعا لم يصح الاخبار عنه بهما ولم يكونا وصفين
فثبت انهما يرجعان اليه واذا ثبت ذلك فاما ان يكونا من اوصافه تعالى
النفسية اعني الذاتية فان كان من اوصافه النفسية ادي ذلك
الي ان يكون ذاته وماهيته متركبة متبعضة وذلك محال علي ما قد رسم فيما
تقدم من كلامكم وايضا لو عقل كون العلم والحياة من الاوصاف
النفسية في محل لعقل ذلك في كل محل ويلزم من ذلك كون العلم
والحياة من صفات انفسنا وذلك معلوم البطلان بالضرورة وايضا
فلو جاز ذلك للزم ان يكون العلم والحياة قايمين بانفسهما اعني موصوفين
لان حد القايم بنفسه قايم بنفسه والمعقول من العلم والحياة انهما
صفتان لا موصوفان فاذا تقرر ذلك وثبت لزم منه انهما زايدان علي
النفس فاذا ثبت ذلك فاما ان يقوما به او لا يقوما به فان لم يقوما به لم
يتصف بهما ولو جاز ان يتصف بما لا يقوم به لجاز ذلك في حقنا فكان
يلزم عليه ان يقوم علم زيد يتصف به عمرو وذلك محال ضرورة فدل ذلك

عليه

علي انهما قايمان به فاذا قاما به وبهما وجودان زايدان علي الذات حصل
من ذلك كله ان ذاته واحدة لا تركيب فيها ولا تعدد وان صفاته الزايدة
هي المتعددة وهذا لا احالة فيه بل هو الحق الذي لا غبار عليه ولا بد من
الرجوع لكل ناظر وان تخبط اليه فهذا ينبغي ان يفهم صفات الباري تعالى
وبعد الانتها الي هذا المحل ينظر هل اوصافه ازلية او ليست بازلية والحق
انها ازلية ولا يجوز ان يكون شي منها حادثا اذ لو كان شي من صفاته
حادثا للزم عليه ان يكون محلا للحوادث ويلزم علي ذلك حدوثه تعالى والله
تعالى قديم لا ابتدا لوجوده جل جلاله فاذا تمهد هذا الاصل فنقول بعده
للمتكلم معه الاقانيم عندكم لا تخلو من ان ترجع الي الصفات النفسية
او الي الصفات المعنوية اعني الزايدة علي النفس ولا واسطة بين القسمين
فان رددتموها الي القسم الاول لزمكم ما تقدم من المحالات حذو النعل بالنعل
وان رددتموها الي القسم الاخر فلاي معنى قلتم في حد الاقنوم انه الشي
المستغني بذاته عن اصل جوهره في اقامة خاصة جوهريته وهذا المفهوم ما
هذا الا انه صفة نفس لان المستغني بذاته عن اصل جوهره هو الذي نعبر عنه
بالقايم بنفسه ويعبر عنه غيرنا من النظار بالموجود الا في موضوع وايضا
ان كان اراد هذا القايل ان الاقنوم هو الصفة الزايدة علي الذات فيلزمه
ان يجعل الاعراض اقانيم فانها زايدة علي الذات ومن عجب لعمري انه لزم من قال
ان العلم والحياة غير الجوهر الاشراك بالله واي اشراك يلزم من قال ان
صفات المعاني زايدة علي ذلك الموصوف بها وكيف يجمل ان يقول
عاقل ان الصفة الزايدة علي الجوهر انها عين الجوهر وهل قايل هذا الا جاهل او متجاهل
فتحصل من هذا كله ان الاقانيم لا يصح عندهم ان يقال علي الصفات
النفسية ولا علي الصفات
المعنوية ولا العقل هناك امر متوسط بينهما فقولهم في الاقانيم غير معقول
فكانه قول مجنون مخبول ثم نقول لهذا القايل لاي شي لم يجعل
القدرة من الاقانيم كما ذهب اليه متقدمكم الاقدم واسقفكم الازعم غشتين
فتكون الاقانيم اربعة فان قال ان القدرة ترجع الي الوجود كما صرح بذلك

بعضهم فنقول لمن يقول ذلك ولم ذلك وهلا رجع العلم والحياة الي الوجود
وما الفصل بينهما لولا محض التحكم وكذلك القول في الارادة سوا فان قال
الارادة ترجع الي الحياة قيل له ان صح ذلك فليرجع اليها العلم وان جاز شي
من ذلك فليرجع كل واحد من هذه الصفات الي الاخرى ويرجع الكل
الي الوجود والوجود هو نفس الذات ويرجع الاقانيم الثلاثة الي واحد
وهو محال علي ما تقدم لكم وعليكم ويكون هذا ايضا قولا بامتزاج الثلاثة
الاقانيم في اقنوم واحد كقول الخارجي الجاحد شباليشو وانتم لا ترضون بشي
من قوله ولا مذهبه ثم نقول لاي شي تحكمتم بان الاقانيم ثلاثة وهلا اضفتم
اليها القدرة والعلم والسمع والبصر كما قد تقدم الكلام عليه اولعلها اثنان وعدم
انتصارهم يدل علي ضعف ابصارهم ولا حجة لهم في هذه المواطن كلها اكثر من
التحكم فينبغي اذا ان نتكلم معهم علي جهة المناقضة والتهكم ونعاتبهم في ذلك
ان يرجعوا الي الاستقرا والتمثيل وهما في المعتقدات طريق الخطا والتضليل
ثم نقول هذه الاقانيم الثلاثة قد علمتم ان كل واحد منها مستغن بذاته عن اصل
جوهره واذا كان ذلك فانما يكون كل واحد منها الها او جز اله او يكون
مجموعها الها واحدا فاذا كان جزء اله لزم عليه ان يكون الاله مركبا متبعضا
ويلزمكم علي ذلك ابطال التثليث الذي تقولون به ويلزمكم علي تلك الامتزاج
الذي ذهب اليه شباليشو وان كان كل منكم الها بانفراده لزمكم علي ذلك امور كثيرة
شنيعة باطلة منها ان يكون كل واحد من هذه الاقانيم حيا عالما مريدا قادرا
موصوفا بصفات الكمال المتعال عن صفات النقص وان التزم ذلك ملتزم لزم
عليه ان تقوم الصفة بالصفة وان جاز ذلك جاز ان تقوم العلم والقدرة بالارادة
والارادة والقدرة بالعلم والقدرة والعلم بالحركة والحركة والقدرة بالكون الي غير ذلك
من انواع الجهالات التي لا يبديها عاقل ولا يرضي سماعها فاضل وان جاز قيام الصفة
بالصفة وتلك الصفة بصفة وتسلسل وما يتسلسل لم يحصل ولزم عليه ان تكون
الاقانيم لا نهاية لها اذ العلم تقوم به حياة وتلك الحياة حية بحياة اخرى ومنها ان
تكون القدرة قادرة بقدرة والعلم عالم بعلم والحياة حية بحياة الي غير ذلك من الصفات

وهذا

وهذا غير معقول فان العلم والقدرة وساير صفات المعاني انما توجب احكامها
للمحال التي تقوم بها لا لانفسها والعلم لا يكون عالما ولا قادرا وكذلك القدرة
لا تكون عالمة ولا قادرة وكذلك سايرها وانما العالم والقادر والمريد والحي هو
الذات التي تقوم به هذه الصفات وهذا معلوم من غير اسهاب ولا اطناب
ومنها ان يكون الاله صفة لموصوف فان المفهوم المعقول من هذه الاقانيم
انها صفات لا موصوفات علي ما تقدم الي امور كثيرة يطول الكلام بذكرها
ثم نرجع الي بقية التقسيم فنقول وان لم تكن هذه الاقانيم حية ولا عالمة ولا قادرة
فلا تكون آلهة وقد اطبق النصارى علي انها آلهة ويلزمهم ان لم تكن الاقانيم موصوفة
بهذه الصفات وصفها باضدادها او بالانفكاك عنها فانها ان لم توصف
بحياة وصفت بالانفكاك عنها والمنفك عن الحياة ميت فيلزم عليه ان يقولوا
بالهة اموات وكذلك يلزم في ساير الصفات وقد كلم المصنف بكلام من هذا
الالزام وصعب عليه الالزام فتكلم بما لا يعقل فليته سكت ولم يقول وجعه
الخبط والتاوه فقال هذا ما لا يجوز لنا به التفوه ومن اراد ان يقضي العجب العجاب
فليقف علي ذلك الكتاب وتلخيص ما ذكره في الانفصال ان قال ان قلنا ان الاب
ليس بحي كذبنا وان قلنا هو الحياة ابطلنا فاذا كان ليس حيا وليس بحياة
وجب ان يكون حيا بلا حياة وكذلك قال في العلم ومن افضى به الي هذا الهذيان
يخشي نزاعه تعين تركه وانقطاعه وحسبك في شر سماعه وذلك كله يدل
علي انهم ليسوا من العقلا ولا معدودين من جملة الفضلا بل قد انخرطوا في سلك
الحمقى الجهلة الاغبيا فهم قد جعلوا الاههم هواهم فاضلهم ذلك واراداهم فهم
كما قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم افرايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليهم
وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
وما حكاه صاحب كتاب المجل فكلام يدل علي ان القوم ليس فيهم مسيحي ولا عاقل
كابروا الضرورات وجحدوا المعقولات فتارة يتناقضون واخرى يتوقحون افترا
علي الله واستهانة بحرم الله وحسبك دليلا علي ذلك اختلافهم في البديهيات فهنالك
وقد تركنا الناظر فيه لظهور تناقضه وفساد معانيه فان غاية الناظر في كلامه ان

يلزمه من المحال والتناقض مثل ما صرح بالتزامه ومن انكر الضرورات وارتكب
المحالات فمداراة المرضى والمجانين اولى به واليق من الاشتغال بالمعقولات

الباب الثاني في بيان مذاهبهم في الاتحاد والحلول وابطال قولهم فيه

ستة فصول الاول في حكاية كلام هذا السايل قال السايل ثم نبدا
بالقول في الاتحاد فان قلت [illegible] اسما افعال الخواص
قايمة والذات واحدة لا تنقسم ولا تتبعض فلما خصصتموه دون الاب وروح القدس
ولم تسموه المسيح ابا ولما سميتموه ابا وروح القدس اعلم انها لما تفرقت القضايا
بالافعال اختلفت اسماها كما قدمنا فاضيفت قضية خلق الخليقة بدءا وسميت
ابا واضيفت قضية الموعظة الى العلم والمتولد كلاما وسمي ابنا وانفردت
قضية الوعظ باللحمة دون غيرها لان المسيح انما اتخذ في الدنيا للموعظة لا لخلق الخليقة
لان الله لو اتخذ جسما للتخلق به الخلق بدءا لسمي الجسم ابا واضيفت اللحمة الى الاب
ولكنه انما اتخذ لموعظة الخلق والوعظ مضاف الى العلم المتولد كلاما فسمي ابنا
فلذلك قال الانجيل التحمت الكلمة وسكنت فيها فافرد الكلمة بالالتحام لانها الواعظة
بالامر والنهي دون القدرة والارادة فهذا مختصر شرح الاتحاد الجواب عن كلامه
يا عجبا من بلادة صاحب هذا السوال كيف لم يحسن اذ تبجح عليه المقال وكثر
عليه اللحن والاختلال حتى اخل بمفهومه وعدل عن السوال فصار كلامه لذلك
كانه كلام مجنون مخبول لا يهتدي ولم يثبت فيما يقول وذلك انه وجه على نفسه
في كلامه هذه الاسولة لينفصل بزعمه عن واحد منها وتغافل عن سايرها جهلا
بورودها وحيدا عن جوابها احد الاسولة انه اراد ان يقول قد علمتم ان التثليث
قد رددتموه الى ثلاث خواص لواحد لا يتبعض فلم بعضتم ما لا يتبعض وثانيها
لم اتحد الابن بالمسيح دون الاب وروح القدس وثالثها لم سميتم المسيح ابنا ورابعها
لم سميتم الله تعالى ابا وخامسها لم سميتم ارادة الله روح القدس على ان ظاهر
كلامه يدل على ان السوالين الاخيرين انما هما راجعان الى المسيح الا ترى انه اعاد الضمير
اعني ضمير سميتموه عليه لكنه لم يرد هذا ويدل عليه انه لم يسم احد منهم المسيح
ابا ولا روح القدس وانما سموه ابنا فتارة يقولون عليه ابن الله وتارة ابن الانسان

واما روح القدس فقد تقدم في اصطلاح هذا السايل انه اراد به الارادة وفي
اصطلاح غيره انه اراد به الحياة ولم يقل قط احد منهم ان المسيح اتحدت به ارادة الله
وحياته فلم وجه على نفسه هذه الاسولة التي لم يشعر بوجه لزومها ولم ينفصل
عن شي منها الا بعد ذلك بزعمه ينفصل بكلام لا يلتئم ولا يتصل فاسهب
في التكرار والترداد فصار كلامه لذلك ابرد من حديث معاد ثم قال في الجواب
ما كان قد فرغ منه ولقد كان يستغني عنه قد قدمنا ان الاقانيم الثلاثة انما
سميت بالابن والاب وروح القدس لاختلاف القضايا الثلاث فاضيف
الخلق الى القدرة وسمي ابا واضيف الموعظة الى العلم وسمي ابنا وهذا الكلام مكرر مستغنى
عنه في جواب ما سيل عنه هو قوله انفردت قضية الوعظ باللحمة دون غيرها
لان المسيح انما اتخذ في الدنيا للموعظة وسكت فيها لا لخلق الخليقة وكذلك
قال الانجيل التحمت الكلمة وسكنت فيها هذا مقتضى كلامه في الانفصال وبعد
تلفيق مبدد الكلام وتهذيب منسج المقال ومع هذا فكلام هذا السايل لا يقبل
التلفيق من صانع فان الفتق اتسع على الراقع وبعد تقديرها نقول قد تقدم
جوابك عن اكثر هذا الفصل فيما تقدم حيث تكلمنا في الاقانيم وعلى اسما الافعال
وعلى التثليث وعلى القضايا الثلاث بما اغنى عن اعادته فمن اراد ان يتحقق
فساد هذا الكلام فليعد نظره فيما تقدم وانما الكلام معك على قولك انما
اتحدت بالمسيح الكلمة التي هي العلم لان المسيح اتخذ للموعظة كيف يتمكن عاقل من
ان يقول هذا الذي ذكرته وعيسى عليه السلام قد اتخذه الله لابرا الاكمه والابرص واحيا
الموتى وخلق الطير من الطين وهذه الامور كلها لا تقع الا بالقدرة والارادة فقولوا
انما اتحدتا ولا فرق بينهما وبين العلم لولا محض التحصيل والتحكم لا سيما وقد جا
في بعض كتبكم ان عيسى عليه السلام قال قدرته قدرتي ومشيته مشيتي او قولوا
انه عليه السلام كان يفعل هذه الامور الخارقة للعادة بغير قدرة فيلزمكم ان
يفعلها بغير علم ثم يلزمك على مساق كلامك ان يكون كل من اتخذ للموعظة من
الانبيا والعلما ان تتحد بهم الكلمة الابن واما قولك لان الله لو اتخذ جسما للتخلق
بالخلق لسمي ذلك الجسم ابا فهو الزام ما لا يلزم فان الله قد اتخذ الارض والماء

والهوا والنار للخلق بها المخلوقات ولا يلزم من ذلك ان يكون ابا ولا ان
يسمى ابا وهي اجسام واما قولك فلذلك قال الانجيل التحمت الكلمة وسكنت
فينا فقد خالفت التنزيل وحرفت التاويل فويلا عليك سترت على مكرك ولم
تلبس على نفسك وخصمك ولاي شي لم تذكر الكلام من اوله وتسوقه على منازله
انظن ان المسلمين ليسوا بكتبكم عارفين ولا لقوة بغيكم وتلبيسكم متنبهين تالله
لقد فيهم من يعرف فيها الحق الذي لا تعرفون ويتحقق منها ما انتم فيه تشكون
ويعلم منها ما انتم به جاهلون ومن هذا الكلام الذي حكيته عن الانجيل وسلكت
به مسلك التجهيل هو في انجيل يحيى مبتدأ المصور بزعمكم بصورة عتاب
يقول عن عيسى عليه السلام من تقبله منهم ومن باسمه اعطاهم سلطانا ليكونوا
اولاد الله وهم الذين لم يتولدوا من دم ولا شهوة لحوم ولا شهوة رجل ولكن تولدوا من الله
الفرد المحشور رضوانا وصدقا هذا مساق كلامه وهذا الكلام لا يستدل به على ما ذكرت
ولا على غيره حتى يعلم ان عيسى عليه السلام هو الذي قاله وليس هو في الانجيل
مرفوعا الى عيسى ولا مسندا اليه ولا مخبرا به عن الله تعالى وغايته ان صح ان يكون موقوفا
على يحيى ومن قوله وحاشاه عن قول مثله ثم لو سلمنا ذلك فليس بمعصوم
فان العصمة انما ثبتت للانبيا او لمن اخبر الانبيا عنهم انهم معصومون وهذا ليس
بنبي ولا بلغ عن الانبيا بطريق قاطع انه معصوم وسياتي الكلام على هذا
في باب النبوات ان شا الله تعالى وبتقدير انه معصوم فكتابكم قابل للتحريف
والتغيير فانه لم يكمل فيه شروط التواتر فانه راجع الى اخبار لا تفيد علما على
ما نبينه وعلى التقريب ان اناجيلكم انما هي اربعة عن اربعة كل واحد منهم
لا يفيد العلم خبره فانه خبر واحد ومع ذلك فلو انهم تواردوا على نقل خبر
واحد لكان نقلهم لا يفيد اليقين فان الخبر الذي يحصل به العلم واليقين
هو المتواتر وحقيقة الخبر المفيد العلم بالمخبر عنه الذي تحيل العادة على اهله
الغلط والتواطو على الكذب على ما ياتي ان شا الله تعالى وعلى تسليم
انه لا يقبل التغيير ولا التحريف فهذا الكلام ليس بنص قاطع بل هو محتمل
للتاويل وتاويله معضود بسياق اللفظ وذلك ان مساق هذا الكلام

يقتضي ان من امن بعيسى عليه السلام فانه تولد من الله والتحمت الكلمة
به وسكنت الكلمة فيه ولذلك قال ولكن تولدوا من الله فالتحمت الكلمة وسكنت
فينا فان كنت تريد ان تستدل بهذا اللفظ على ان الكلمة اتحدت بالمسيح
خاصة فليس لك فيه دليل بل يدل ظاهره على ان كل من امن به التحمت
الكلمة وسكنت فيه وهذا شي لا تقولون به ولا يذهب اليه احد منكم فهلا
عليكم تفهمتم كتابه وتدبرتم خطابه ورددتم اخر الكلام على اوله حتى تعرفوا نصه
من متاوله على انه لو كان نصا قاطعا لا يحتمل التاويل لما كان ينبغي للعاقل
ان يقول بمقتضاه فان الاتحاد محال عقلا على ما ياتي ان شا الله تعالى
اذا تكلمنا على حقيقة الاتحاد والحلول واما قولك فافرد الكلمة بالالتحام لانها
الواعظة بالامر والنهي فنقول لم يقله الانجيل ولا دل عليه ظاهر ولا تاويل
وغاية ما في الانجيل ان الكلمة التحمت وليس فيه لانها الواعظة فمن عرفك
ان الكلمة التحمت بهذه العلة بل لعلها التحمت لعلة اخرى لم تعلمها انت
ولا غيرك او لعلها التحمت لا لعلة بل لغرض ما وانما نزلنا في هذا المحل على
تسليم الالتحام وان كان باطلا بالبرهان ليتبين ان هذا المذهب هذيان
واما قولك لانه الواعظة بالامر والنهي فنقول من لا يعرف فرق ما بين الامر والنهي
والوعظ ولا حصل من الشرع ولا من العقل على حظ فان الوعظ مخالف للامر
والنهي بحقيقته ومقصوده اذ قد يعظ الواعظ من غير امر ولا نهي وينهى
ويامر فلا يعظ امران مفترقان غير متلازمين على ما يعرف في موضعه
واما قولك فهذا اخصر شرح الاتحاد بالمسيح موضح للصادق اليق اذ الخبر ان
اليه اقرب وبه اليق لانك اوهمت انك شرحت واوضحت واختصرت
واوجزت بل اخللت وطولت وبغايته ما اتيت وكيف يصح لك هذه الدعوى
وقد قلت كلاما لا فايدة فيه ولا جدوى دليل ذلك انك اعترضت على نفسك
باعتراضات كثيرة ثم انك حدت عن الجواب ولم تات بفصل خطاب بل
اتيت بكلام يشهد عليك عند العقلا بالبلاء وهو قلة التحصيل وعدم الاجادة
وقد كان ينبغي لك ان تبين حقيقة الاتحاد والحلول وتبين فرق ما بين مذهب

الروم فيه وبين ما به نقول وبين الفرق بينه وبين الاختلاط والامتزاج
ولبعد ذلك نستدل على صحته ووقوعه وعلى اختصاص عيسى عليه السلام
به دون غيره من الانبيا فلو فعلت ذلك حينيذ كان ينبغي لك ان تدعي
انك شرحت واوضحت واما الان فقد جهلت وافتضحت

الفصل الثاني وحكاية كلامه ايضا قال فان سال سايل عن معنى الاتحاد
قلنا نقول بذلك تقليد الانجيل والنبيين ورسول رب العالمين فيما
نقلوا من ذلك واعلمونا به عن الله عز وجل وفيما نص لنا منهم بتصديق
الاخبار الذي لا كذب فيها فان قلت وكيف يجوز ان يتوحد القديم بالحادث
والخالق بالمخلوق قلنا على تقليد الكتاب وعلى الجائز في العقول وذلك
انا لا نقول ان القديم في الجوهر صار حديثا ولا ان الحديث في الجوهر صار
قديما وكما نقول صار المحدث الاها ولا نقول صار الاله حديثا كما نقول
صارت الفحمة نارا ولا نقول صارت النار فحمة فان قلت فما علة هذا الاتحاد
قيل لك الارادة وسوالك عن هذا كمن يسال فيقال لم خلق الله العالم
فمن الجواب ان يقال لارادة ذلك فان قلت افهذا الاتحاد قديم او حديث
قيل لك قديم وحديث فان قلت كيف يكون قديما وحديثا قيل
لك قديم بالقوة حديث بالفعل وكل عنده حاضر لانه تبارك وتعالى
لا تاخذه الازمان ولا تعد الاشيا بالاعداد وكل عنده مقيم حاضر

الجواب عنه
هذا الكلام تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع سال فيه قايله عن حقيقة
الاتحاد ومعناه فاجاب بالدليل عليه وما جرى مجراه ومن حق الانفصال
ان يكون مطابقا للسوال فكان يلزمك لما سلت عن معنى الاتحاد
ان تجيب بحده وحقيقته ثم بعد ذلك تستدل على صحة وجوده ان صح ذلك
ولكن الاستدلال هنالك اما قولك في جواب من سالك عن الاتحاد وحقيقته
نقول بذلك تقليد الانجيل والنبيين ورسل رب العالمين فكلام غير متسق
لا يصدر مثله عن عقل رصين لتعلم بان هذا ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
صادقون مصدقون والصادق لا يخبر بصحة ما يعلم بالعقول فساده واستحالته

فان

فان الصادق لا يناقض قوله دليل العقل ولا يعارضه بل يصدقه
ويشهد بصحته فلو فرضنا شخصا جابا بامر معجز فما ري وادعى ان الله ارسله
لنا ليخبرنا ان الثلاثة واحد من حيث هي ثلاثة وان الواحد ثلاثة من حيث
انه واحد وفهم ذلك منه بنص لا يقبل التاويل لبادر العقلا الى تكذيبه
لعلموا ان ما ظهر على يده المعجزة انما هي حيلة ومخرقة لان المعجزة انما
هي دليل الصدق ولا ينقلب دليل الصدق دليل الكذب وكذلك لو قال
ان الضدين مجتمعان بعد مراعاة شروط التضاد وكذلك لو اخبر ان
الله يقلب جوهرا عرضا ولونا طعما الى غير ذلك من انواع المحالات
ومن هذا القبيل هو ما ادعيتم من الاتحاد وسنبين ان شا الله تعالى
وبعد هذا لو فرضنا نبيا علمنا صدقه على القطع تكلم بشي من هذا فيكون
ذلك الكلام لا يدل على ذلك المعنى دلالة قاطعة بل دلالة محتملة او ظاهرة
فيتعين ان نتاول ان وجدنا وجها للتاويل او نتوقف عن تاويله ان
لم نجد له محملا في التاويل مع ان العقل يعلم استحالة الظاهر ونكل معرفة
باطنه الى الله تعالى فان الشرايع وان لم تات بما يخالف العقول فقد
تاتي بما يقصر العقول عن دركه وفرق بين تعلمه العقلا بين العلم بالاستحالة
وعدم العلم بالاستحالة فان عدم العلم بالاستحالة لا يلزم منه نفي الجواز ولا
اثباته ولا نفي الوجوب ولا اثباته وهذا امر لا خفا به عند العقلا واما قولك
وعلى الجائز في العقول فينبغي لنا ان نسالك هنا اسولة تتبين انك بما
ادعيت جهول فنقول لك ما حد العقل وما حد الجائز العقلي وما حقيقته
وكم اقسامه وما حد الواجب العقلي وكم اقسامه وما حد المحال العقلي
وكم اقسامه فاذا فرغت من جواب هذه المسايل سالناك هل احكام العقل
تنحصر في هذه الثلاث ام تزيد عليها ام تنقص عنها ولعمري ما ينبغي ان
مدعي لا يعرفها واعلم على القطع والبيان انك لا تعرفها ولا قرات على من يعرفها
والا فالجواب وان لم تجب والا فيظهر انك من دينك على شك وارتياب
ثم نقول كيف تجاسر عاقل ان يقول ان علم الله تعالى الذي هو صفته

ولازم له وقديم ازلي حل في جسد انسان حادث بعد ان لم يكن حالا فيه
ومع انه حل فيه فهو لم يفارق الله تعالى ولولا ان الله سلبكم عقولكم وابتلاكم
بظلمة التقليد الذي افضى بكم الى مكابرة المعقول وانكار البداية لما وجد
مثل هذا المذهب مستقرا في قلب مجنون فيجري في قلب عاقل ولكن لله تعالى
سرا في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد. واما قولك انا لا نقول
ان القديم في الجوهر صار حادثا ولا الحادث في الجوهر صار قديما ولكنا نقول
صار الحادث الها فهذا القول منك يدل على انك تقول بحلول الحادث
في الجوهر واتحاده به ولم يقل بهذا قط احد من المخلوقات وهذا اشنع واقبح
وامحل من اتحاد القديم بالحادث وحلوله فيه وهذا الذي ذكرت انه يلزمك
يدل عليه قولك ولان الحادث في الجوهر صار قديما فنفيت عن الحادث
القدم واثبت عليه الحلول في الجوهر وهذا بين بنفسه من كلامك ثم هذا الذي
قررت منه يلزمك وذلك انا نقول هذا القديم الحال لا يخلو ان يكون حالا في
ناسوت المسيح قبل خلق المسيح او لم يكن فان كان حالا فيه قبل خلقه كان محالا
وباطلا بالضرورة فانه قبل خلقه معدوم والموجود لا يحل في المعدوم
وان كان حلوله في ناسوته بعد خلقه فقبل خلقه لم يكن حالا فقد حدث له حلول
وقد صار حالا بعد ان لم يكن حالا ويلزم على هذا ان تقوم الحوادث بالقدم
وهو محال فانه يودي الى حدوثه على ما يعرفه ارباب النظر. واما قولك
صار الحادث الها فكلام تشمئز منه النفوس وتشهد لقايله بالويل والعكوس
وكيف لا يستحي العاقل من مثل هذا الكلام الذي هو عار على الايام وكيف
تتصور الالهية لمحدث مخلوق يحزن تارة ويفرح اخرى ويجوع تارة ويشبع اخرى
ويبول ويتغوط ويظفر به اعداؤه ويعذبونه بالضرب والاهانة والسول
والصلب والقتل بزعمكم وهو مع ذلك يقول اعبدوا الله ربي وربكم ويقول
لكم اذا صليتم فقولوا يا ابانا السماوي تقدس اسمك وقرب ملكك وتقول
ان الله وحده ولا اله الا هو ويقول لابليس انا امرت ان نعبد السيد الهك
وحده ويقول حين قرب رفعه واعلم الله به سيلقى ابن الانسان ما كتب له يعني
نفسه

نفسه ثم تقدم وسجد على الارض ودعا ان يزاح عنه ما هو فيه وقال يا ابتاه
ان كانت هذه الكاس لا تقدر تجاوزني حتى اشربها فلتكن ارادتك ومن اطلع
على اناجيلكم علم القطع ان عيسى عليه السلام بريء مما تدعونه به وتنسبونه
اليه وستلقونه بين يدي الله تعالى في الوقت الذي يقول الله له يا عيسى
ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيتبرأ من
ذلك القول ويقول سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان
كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام
الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على
كل شي شهيد وقد جانا من دلت المعجزة على صدقه ان الله تعالى اذا حشر
الخلايق في صعيد واحد يعني يوم القيمة فيقال للنصارى ما كنتم تعبدون
فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد
ثم يقال لهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا
فالله الله ادرك بقية نفسك قبل حلول رمسك واستعمل سديد عقلك
ولا تعول على تقليد فاسد نقلك واتبع الدين القويم دين الاب ابراهيم
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
المشركين فالله يعلم اني انظر اليك والى كافة خلق الله بعين الرحمة واساله
هداية من ضل من هذه الامة وانا اسف على الاباطيل التي تنتحلون فانا لله وانا اليه
راجعون وسياتي ان شاء الله تعالى في النبوات كلام على حقايق الملل وتبيين
الهداة والضالين من ذوي النحل ولا حول ولا قوة الا بالله واما قولك كما نقول
صارت الفحمة نارا ولا نقول صارت النار فحمة فتمثيل ليس بمستقيم ولا
جار على منهج قويم وليس هذا مساويا لقولك صار الحادث الها فان الشي
الذي به صار الحادث الها عندكم هو قديم فكيف تشبهه بالنارية الطارية وهي
حادثة وان ساويت بينها لزمك ان يكون الحال في الناسوت حادثا او
النارية قديمة فترتفع الفحمية وهو محال بالضرورة واما قولك فان قلت

فاعلة بهذا الاتحاد قيل لك الارادة فهذا قول فاسد فان الارادة انما يصح
تعلقها بالجايزات ولا يصح تعلقها بالمحالات والاتحاد محال فلا تعلق به
الارادة علي ما نقرره ان شا الله تعالى اذا نقلنا مذاهب اقسامكم في هذا المعني
وكلنا معهم عليها واما قولك في جواب من سالك عن الاتحاد هل هو حادث
ام قديم حيث قلت انه قديم وحادث قلت لم يقل به مومن ولا ناسك
فان الجمع بين القدم والحدوث مما يعلم فساده بضرورة العقل فان معني
القديم الذي لا اول لوجوده والحادث هو الذي لوجوده اول والجمع بين نفي
الاولية واثبات الاولية محال واما قولك قديم بالقوة حادث بالفعل
فكلام ليس له اصل اذ لا يعقل العقلا في القدم قوة ولا فعلا فان القدم من
اسما السلوب والقوة والفعل انما يتواردان عند القايلين بها علي الصفات
الوجوديات وعلي عدمها مع امكان وجودها ثم انا نسالك عن حد القوة
وحقيقتها وما الفرق بينها وبين الامكان وهل هي موجوده وعن حد الفعل
وما حقيقته فانك تكلمت بما سمعته وما حصلته وما وعيته واما قولك
وكل عنده حاضر مقيم فكلام حق ومقال صدق ان كنت اردت بحاضر انه
معلوم وقد اخطات باد خالك مقيم في هذا المعني فان المقيم انما هو ماخوذ
من اقام بالموضع اذا ثبت فيه فان اردت هذا المعني لزمك ان يكون
المعدومات الممكنة موجودة عنده في حال عدمها وذلك محال وان اردت
غيره فكان ينبغي لك ان تبين مرادك فانك لم تتكلم به علي مقتضي كلام
القوم الذي تعاطيت التكلم بينهم ثم قولك لانه تعالى لا تاخذه الازمان
ذكرته موهما انك تستدل به علي ان الله تعالى عالم بجميع الامور محيط بالكل ولا
يدل ذلك علي ما اردته والا فكونه قابلا للزمان او غير قابل الزمان لا مناسبة بينه
وبين كونه عالما بجميع المعلومات او ببعضها ولا بد ان نسال عن الزمان
ما هو وهل هو موجود او معدوم فان كان موجودا فهل هو جوهر او عرض
وان كان جوهرا او عرضا فهل هو في زمان او ليس في زمان فان لم يكن في
زمان فلتستغن الموجودات كلها عن زمان ويلزم عليها اثبات موجودات

ليس

ليس بزمانية غير الباري تعالى وذلك محال علي ما تقرر وان كان في زمان
فهل ذلك الزمان في زمان ويتسلسل فلا بد لك من علم هذه المسايل
ان اردت ان تلحق بالصنف العاقل ومن اراد ان يتعلم فليرحل علي الراس
والقدم واما قولك ولا يعد الاشيا بالاعداد فنفهم منه ان المعلومات
لا تتعدد عنده واذا لم تتعدد المعلومات عنده لا تتميز جزئياتها واذا كان
ذلك فانما يعلم الامور علي وجه كلي وهو ما يقوله الفلاسفة واهل الشرايع
كلهم مطبقون علي ان الله تعالى يعلم جزئيات الامور وان دقت علي
التفصيل ومن لم يقل بهذا الحكم عليه في كل ملة بالتكفير والتضليل
وانت يا هذا في اكثر كلامك بين امرين اما ان تنكر الضروريات او تكفر
بالشرعيات فنسال الله ان ينور بصايرنا ويسدد احوالنا وامورنا
وان لا يجعل علينا وبالا اعمالنا واقوالنا انه سميع الدعا قريب مجيب

الفصل الثالث في حكاية كلام السايل قال ثم نقول لمن ناظرني من
المسلمين ان كتابكم يقول ان موسى سمع الله وكلمه تكليما فكيف كان ذلك
وانتم قد اعجزتم جميع الحاسات عن ادراكه في الدنيا والاخرة لانه لا مقطور
ولا مشبه بشي مما يتصور في الاوهام فان قلتم انه كلمه بذاته فقد اوجبتم
له جارحة النطق ووقعتم فيما انكرتم من الجسم وان قلتم ان الله خلق له
كلاما فقد اثبتم كلاما مخلوقا قايما يخلقه جوهرا في نفسه اذ لم يكن عرضا قال
لموسى انا الله لا اله الا انا فاعبدني واثبتم ان الكلام واسطة بين
الله وبين موسى وان موسى اقر لها بالربوبية لقوله رب ارني انظر
اليك وقول الصدا الذي هو المتكلم له لا اله الا انا فاعبدني فان قلت
ان الصدا لم يقل له انا الله ولكنه في مسامع موسى انا الله قلت لك
ان الصدا هو القايل في مسامع موسى وهو المحرك له وعليه رد واياه جواب
والدليل انه كان في غفلة عما كان يريد الله من ارساله الى فرعون حتى
خلق له نارا ابصرها فنزع اليها فلما اتاها اتح الله له فيها صدا قال له انا الله
لا اله الا انا فاعبدني الان تقولوا ان موسى كان يعرف ما كان يريد الله

من ارساله الي فرعون دون النار و الكلام فسكون حجر النار والكلام لا معني
لها وخبرهما لم يفد شيا و هذا من القول شنيع الكذب واذا لم يكن بد
من ان موسي لم يدرك المرسل له الا بواسطة احدثه يسمي باسمه فالواسطة
هو العامل في موسي وعنه يحمل الرسالة حتي ياتي فرعون بمصر و يقول ان الله
تراي لي بطور سينا و بعثني اليك لترسل معي بني اسرايل ولا تعذبهم
فحدد للموضع الذي اقبل منه من عند الله وكان الله بمصر و في كل مكان ولا
كان يعجز موسي عن معرفة الامر و النهي الا بكلام محدود من جسم مفطور
خلق الله نارا ابصرها فنزع اليها ثم اجج له فيها صيدا اسمعه منها قام عنده
مقام خالق فسماه الها **الجواب** عنه اما قولك ثم يقول لمن ناظر في
من المسلمين فليعلم بان هذا انك غلطت في نفسك وغفلت عن حسك
حيث ظننت انك ممن يستحق مناظرة احد من المسلمين للذي امروا
به من الاعراض عن الجاهلين وكيف وانت لا يمكنك النطق بكلام فصيح
ولا تقدر علي نظر صحيح واي لك بمناظرتهم ولم تسلك شيا من طريقتهم
وكيف يمكنك النظر معهم وانت لم تعرف طريقه ولا التزمت شروطه
فوحق دين الاسلام لقد وددت ان تكون من عقلا الانام لتعرف قدرك
ما يلقي عليك وما يكتب به من الحكم اليك فلعل مقلب القلوب يستنقذك
من عباده المصلوب ويبدلك بها اخلاص العبادة لعلام الغيوب
ولولا رجا ذلك لما كان ينبغي لي ان اعطي الحكمة غير اهلها كما لا ينبغي ان
امنعها من هو اهلها واما قولك ان كتابكم يقول ان موسي سمع الله وكلمه
تكليما كيف يسوغ لك ان تحتج بما انت منكر لا صله ولا تعترف بانه كلام الله
فكيف يسوغ لك ان تحتج بما وانت منكر لتصديق من جا به فلا يحل لك
ان تحتج لنفسك ولا لغيرك بما تعتقد انه كذب واما نحن فيمكننا ان نحتج
عليكم وعلي اليهود بالتوراة والانجيل لانا نعتقد ان الله تعالي انزل التوراة
علي موسي والانجيل علي عيسي وهما قبل ان يغيرا ويبدلا وينسخا بغيرها
واما اليوم بعد ان ثبت عندنا ما ذكرته فلا نحتج بشي منها علي جهة

انتزاع

من الاسولة [illegible]

انتزاع الاحكام فان الله قد اخرجنا بالنور من الظلام وهدانا لما اختلفتم فيه
من الحق بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وسنبين ان شا الله ما يدل علي
صدقه من المعجزات واوضح الدلالات ثم نقول ان الله كلم موسي بكلامه الذي
هو صفته وسمعه موسي بالادراك الذي خلقه الله له وقولك كيف
ظلم وحيف اذ سوالك بكيف في هذا المحل دليل علي انك جاهل بمطلوب
فينبغي لك ان تعلم ان صيغ المطالب كثيرة وهي مع كثرتها لا يتوجه شي
منها علي الله تعالي ولا علي صفاته وذلك ان من صيغ المطالب ما واي
ولم وهل وكيف ومتي واين وغيرها مما في معناها ولا يتوجه علي الله تعالي
شي منها لاستحالة معانيها علي الله تعالي فلا يسال عنه بما ولا باي
اذ لا جنس له ولا فصل ولا بلم اذ لا علة له ولا اصل ولا بمتي اذ هو مقدر
الزمان ولا باين اذ هو خالق المكان ولا بهل اذ لا شك في وجوده وهو خالقنا ولا
بكيف اذ لا يناسب وجوده ولا صفاته شيا من احوالنا واوصافنا وجوده
اثباته واثباته ذاته وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه لا يتوجه عليه لمخلوق
حق ولا يعجزه خلق ليس كمثله شي وهو السميع البصير ثم نقول ومما يبين
لك انه لا يصح السوال بكيف هنا ان المطلب بكيف انما هو سوال عن حال
موجود يناسب حال السايل فكيف فاذا قلت كيف زيد انما معناه
علي اي حال هو من الاحوال التي تناسب احوالنا افي حال صحة او في حال
مرض او في حال علم او في حال جهل الي غير ذلك من الاحوال المناسبة
لاحوالنا فاذا قلت كيف سمع موسي كلام الله فكانك قلت علي اي حالة
سمع موسي كلام الله من الاحوال التي نكون عليها حين يسمع بعضنا من بعض
ونحن والعقلا الذين يعرفون ما يجب لله وما يجوز وما يستحيل في حقه يعلمون
بالبراهين القاطعة انه يستحيل ان يسمع موسي كلام الله علي شي من الاحوال
التي يسمع عليها بعضنا من بعض علي ما نبينه ان شا الله تعالي فعلي هذا
اذا سال سايل كما سالت انت فلنا له السوال عن الله تعالي وصفاته بكيف ظلم
وحيف فان الظلم وضع الشي في غير موضعه وقد سالت بكيف في موضع لا مدخل

لها فيه فتادب مع الله قبل حلول عقاب الله فان من لم يستعمل مع الله الادب
فقد استحق التعب وحرم الرب ولا تستنكر هذا الكلام فتلحق بالبهايم والهوام
فانه لو سالك عنين لم يذق طعم لذة الجماع وقال لك كيف ادركت ان لذة
الجماع لكان الجواب يصعب عليك ولم يمكنك تفهيمه اذ لم يذق لذة الجماع
وكذلك كل من لم يسمع كلام الله كما سمعه موسى عليه السلام فهو كالعنين
بالاضافة الى ادراك الكلام القديم اذ لم يسمعه ولا اتصف بالادراك الذي
اتصف به موسى عليه السلام كما لا يقال كيف يرى الله الخلق كذلك لا يقال
كيف تراه الخلق وكما لا يقال كيف يسمع الله كلام الخلق كذلك لا يقال كيف
يسمع كلامه احد من الخلق فان الكيفية محال على الله تعالى وعلى صفاته من جميع
الوجوه ولولا خوف الاكثار وانا وضعنا هذا الكتاب على الاختصار لملات
صدرك من عظمة الله ان كنت عاقلا حتى يتبين لكم انكم لم تعرفوا الله حق
معرفته ولا قدرتموه حق قدره واما قولك فان قلتم انه كلمه بذاته فقد اوجبتم
له جارحة النطق ووقعتم فيما انكرتموه من التجسيم فلا يلزم من هذا كله شي
وانما كان يلزمنا هذا لو قلنا ان الله تعالى كلمه بصوت وحروف تخرج من
لهوات وتقطعه لسان ونحن لا نقول بشي من ذلك بل نقول ان الله تعالى
متكلم بكلام هو وصف قايم بذات الله ليس بحرف ولا صوت وهذا
معقول مفهوم فانا نحس من انفسنا كلاما قايما بذواتنا نتحدث به
مع انفسنا ليس بحرف ولا صوت وهذا مما يجده الانسان من نفسه بالضرورة
ويكون الحرف والصوت دالين على ذلك المعنى الذي في النفس وهذا لا استحالة
في اثبات كلام يناسبه في بعض الوجوه لله تعالى لكن على القدر الذي يجوز في
حقه تعالى وانما ذكرنا لك كلام انفسنا مثالا لذلك على جهة التانيس
كما انا نقول حقيقة العلم واحدة في القديم والحادث وتعني انكشاف
المعلوم لا ان العلم القديم يشبه الحادث فافهم وهذا كله يتبين في موضعه
ويعرف بدليله فعلى هذا الاصل الذي قررناه نقول الكلام الذي سمعه موسى
هو كلام الله القديم القايم بذات الله الذي ليس بحرف ولا صوت فان قلتم

كيف

كيف يسمع ما ليس بحرف ولا صوت قلنا الجواب عنه قد تقدم اذ لا يصح
السوال عنه بكيف لاستحالة شرط السوال بها ثم نقول سلمنا جدلا انه يصح
السوال ثم يكون الجواب عنه ان نقول يسمع ما ليس بحرف ولا صوت
كما يعلم موجود ليس بجوهر ولا عرض وكما يرى الله الخلق وليس بذي حدقة
ولا عين وكما يسمع اصواتهم وليس بذي صماخ ولا اذن وكما يعلم وليس
وليس بذي قلب ولا دماغ وكما يراه المومنون في الدار الاخرة كرامة لهم وليس
بذي جسم ولا الوان فكما يصح هذه الامور كلها وان كانت مستبعدة بالاضافة
الى اوهامنا في حق الله تعالى فكذلك يصح هذه الامور ان يسمع موسى ما ليس
بحرف ولا صوت ثم نقول الذي لا يبقى معه حسيكة في النفس ولا استبعاد
في الوهم ان الله تعالى خلق لموسى ادراكا لكلامه القديم وصل به الى تحصيل مفهوم
كلام الله ومراده منه يسمى ذلك الادراك سماعا وعبر عنه يسمع كما انا نجوز ان يكرم
الله من شاء من خلقه بان يطلعهم على ما في نفوس بعض الناس من غير تعبير
عنه بصوت ولا حرف وذلك كما في بعض كتبكم ان عيسى عليه السلام اعلم
بعض الحواريين بما في نفسه ولو عبر عن ذلك بان يقال سمع عيسى كلام
ذلك الرجل لكان صدقا او حقا وهذا كله جايز عقلا لا استحالة فيه فان قيل
كيف ينبغي لك ان تقول ان الله متكلم بكلام ليس بحرف ولا صوت وقد
جا في التوراة ان الله تكلم بالصوت لادم وحوا وذلك انهما لما طفقا يلفقان
ورق التين ليستترا بها فسمعا صوت الله الرب يمشي في الفردوس
الى ان قال فدعا الرب ادم وقال اين انت يا ادم فقال ادم سمعت صوتك
في الفردوس فخرجت اي عار فاستترت واستحييت وهذا يدل على ان الله
تعالى صوتا وهو خلاف ما ذكرت فيلزمك على هذا تكذيب التوراة او تقول
بمقتضاها فترجع عما قلته انت فاقول ما امرنا به نبينا عليه الصلاة والسلام عند
ما تحدثونا به نبي امنا بالله وكتبه ورسله وبعد ذلك نقول في التوراة
مثل ما نقول في الانجيل او قريبا منه تجدونه عهدا وفيه نظر ثم ان سلمنا
صحتها فليس في هذا الذي ذكرته ما يدل على ان الله تعالى متكلم بحرف ولا صوت

وانما الظاهر منه ان ادم سمع حس مشي الله في الفردوس الا ترى قوله
فسمعا صوت الرب يتمشى في الفردوس هذا هو الظاهر من هذا اللفظ وانتم
لا تقولون به ولا نحن وان كانت اليهود او اكثرها قد قالت بمقتضى ظاهره
فجسمت وانتم ان قلتم بظاهره لزمكم ما لزمهم فاذا هذا اللفظ متاول عندكم
وعندنا اعني انه من المتشابهات التي يعلمها الراسخون في العلم فلما لم يستقم حمله
على ظاهره فاولتموه انتم وصرفتموه عن ظاهره وقلتم ان هذا ايراد بكلام الله تعالى
الذي هو حرف وصوت عندكم وهو فعل من افعال الله تعالى عندكم ولا نحو من هذا
صار اغشتين واذا تاولتم هذا اللفظ واخرجتموه عن ظاهره فنحن نخرجه عن
ظاهره بتاويل اخر احسن من تاويلكم لا يلزم عليه شي من المحالات التي
تلزمكم وسنبينها ان شا الله ولنا في ذلك تاويلان احدهما ان الله تعالى
خلق صوتا في بعض طرق الفردوس يشبه صوت الماشي وهو الذي يسميه
العرب الهمس والخشخشة فلما سمع ادم ذلك الصوت تنبه لمخاطبة الله تعالى
وحضوره معه ثم اضاف الصوت الى الله تعالى لانه هو الذي نبه ادم عند محاضرة
الله وكانه كان في غفلة لشدة حزنه وعظيم ما حل به وهذا كما يعتري الواحد منا
اذا كان ملهوفا بامر ما بل فانه يشتغل بنفسه بل ويغفل عن حسه ثم قد
يتنبه عند سماع صوت شي اخر او حس انسان فيرجع عند ذلك لنفسه
ويتنبه لمن معه وعلى هذا التاويل يكون في يتمشى ضمير يعود الى الصوت
وكانه قال يمشي الصوت في الفردوس لا على الله تعالى اذ يستحيل على الله تعالى
ظاهر المشي ومفهومه السابق منه وهذا تاويل حسن سايغ عند المنصف
والتاويل الثاني ان الصوت يراد به الكلام القايم بذاته وان كان ليس
بصوت فيجوز ان يسميه صوتا لانه يمكن ان يدل عليه بالصوت كما نقول ان
موسى عليه السلام سمع كلام الله القايم بذاته بمعنى ادركه وفهمه بادراك خص به
موسى ثم عبر به موسى بصوت مقطع اذ ليس في قوتنا ادراك ما ليس
بصوت ولا حرف ويقرب من ذلك نحن نقول في القران العظيم وهذا النوع
من التاويل نوع جايز جار في الكلام فان تسمية الشي بما يدل عليه كما تقول سمعته

٤

علم فلان وانما سمعت كلامه الذي دل على علمه والكلام ليس هو العلم
وعلى هذا التاويل يكون في الفردوس متعلقا بسمعا لا بيتمشى ويكون
معنى يتمشى يبلغ والبلوغ عبارة عن الادراك الذي به ادرك كلام الله
موسى يعني سمعه وكذلك قوله سمعت صوتك في الفردوس اي وانا
في الفردوس ولو كنت تعرف لسان القوم الذين ترجمت التوراة والانجيل
بلغتهم لذكرت لك من هذا امثلة كثيرة وفي القليل غنية للبصير عن الكثير
فهكذا ينبغي لك ولكل عاقل ان يفهم تاويل الصوت الذي وقع في
التوراة ولعمري لا يبعد ان يتاول تاويلات اخر جارية على السن القوم
والمنهج المستقيم وفيما ذكرناه مقنع للعاقل فقد بقيت الله ما ذكرته ولا تعتقد
في الله انه متكلم بصوت محدث فان ذلك محال ونحن نبين استحالته مستعينين
بالله ومتوكلين عليه فنقول من المقرر الثابت عند المتشرعين كلهم ان الله
متكلم ومن لم يعول في ذلك على ما اخبرت به الرسل صلى الله عليهم ولا وافق
على الشرايع اقيمت عليه القواطع التي لا يردها الا معاند وليس هذا موضع
ذكرها فاذا تقرر ذلك فنقول اما ان يكون متكلما بصوت او بغير صوت
فان كان متكلما بصوت فذلك الصوت اما ان يكون قايما به او قايما
بغيره او لا قايما به ولا قايما بغيره محال ان يكون قايما به فان الصوت
لا يكون مفيدا حتى يتقطع بالحروف وتلك التقطيعات لا بد ان يكون
حادثة فيلزم عليه ان يكون محلا للحوادث واذا كان محلا للحوادث لم
يخل عنها واذا لم يخل عنها كان حادثا مثلها على ما تحقق في موضعه وذلك
كله محال على الله تعالى واذا قام بغيره فذلك الغير يكون المتكلم به وسوا كان
المحل جمادا او حيوانا ان قلنا انه يجوز قيامه بجسم جماد وان جاز ان يقوم
الصوت بمحل ويكون الباري تعالى متكلما به جاز ان يقوم صفة بمحل ويوجب
حكمها لمحل اخر فيلزم على ذلك ان يقوم حركة بجسم يكون جسم اخر متحركا بها
ويقوم بمحل لون ويكون محل اخر متصفا به وذلك كله محال بالضرورة ويلزم
عليه ان يكون الباري تعالى متكلما بما يقوم بنا من كلامنا الى غير ذلك من المحالات

وباطل ان يقال لا يقوم به ولا بغيره ولانه يكون قايما بنفسه ويخرج عن
كونه صفة زايدة على النفس واذا بطلت هذه الثلثة اقسام استحال
ان يكون صوتا واذا استحال ان يكون صوتا وجب ان يكون ليس بحرف
ولا صوت وهو ما قدمنا ذكره ومن اراد مزيدا على هذا فليرحل ويرشد للحق
بعد ان يبحث ويسال واذا ثبتت هذه القاعدة الوثيقة العظيمة الانيقة
التي لا يعرف قدرها ولا يعظم خطرها الا من نور الله بنور اليقين بصيرته
واصلح بجزيل التوفيق سريرته بطل ما اصلتموه ولم يلزم شي مما التزمتموه
ولا لزم لكم شي مما اردتموه فان جملة ما تريد بقولك في هذا الفصل ان الله تعالى
متكلم بصوت وان موسى سمع ذلك الصوت وهو يقول له انا الله لا اله
الا انا فاعبدني وذلك الصوت غير الله ومع ذلك مخاطبته موسى
بقوله رب ارني انظر اليك وقد اعترف له موسى بالربوبية فكذلك
المسيح في قوله ان الله صادق اذ قد اتخذ واسطة بينه وبين خلقه كما اتخذ
جسم النار والكلام واسطة بينه وبين موسى فينبغي لنا ان نعترف
بربوبيته كما اعترف موسى بربوبية الصوت وهذا الهذيان كله الذي
ذكرته ولبست ما انتحلته الذي والله لا شرع يعضده ولا عقل يقبله
ويهويه مبني على ان الله تعالى متكلم بصوت وقد ابطلناه فبطل كل ذلك
ومع ذلك فلنتكلم على اجزا كلامك بعد ان بينا جملة مقصودك ومرامك
حتى يتبين انكم لستم على شي مما ينتحله العقلا بل تتبرا منه الفضلا
فنقول اما قولك وان قلتم ان الله خلق له كلاما فقد اثبتم كلاما مخلوقا
قايما بخلقه جوهرا ام كيف فنقول بعد ان ابطلنا الصوت الذي ترومون
البنا عليه نسلمه لكم جدلا ونبين بعد ذلك انه لا يلزم شي مما ذكرته اذ يلزم
من تقدير صوت لله تعالى عن ذلك مخلوق ان يكون الصوت قايما
بنفسه جوهرا فان الصوت انما حقيقته انه صفة الموصوف وعرض
في محل والعرض لا ينقلب جوهرا فان قلت فيلزمك ان يكون عرضا فيا لك
العجب وما الذي يلزم منه ان كان عرضا فان قلت يلزم منه ان يكون

العرض هو الذي قال لموسى انا الله لا اله الا انا فاعبدني والصوت
لا يتكلم وانما يتكلم به قلنا لك جوابك ان الصوت لا يتكلم عن نفسه
وانما يتكلم به كما قلت انت ثم يلزمك انت ان جعلته جوهرا غير الله تعالى
ان يكون هو الذي قال عن نفسه انا الله لا اله الا انا فلما اعترف موسى
بالربوبية لله وله سجد لله واذا انتهى انسان الى هذه المخازي فقد كفر
بموسى وباله موسى نعوذ بالله من انتظار تعود في الدنيا الى الفضيحة
والعار وفي الاخرة الى الخلود في عذاب النار وعلى هذا الكفر الصراح يدل
قولك ان موسى اقر لها بالربوبية يريد للواسطة واذا اقر لها بالربوبية
ولم يعرف قط من موسى عليه السلام انه اقر بالربوبية لالهين فقد
اعترف بربوبية الواسطة وانكر ربوبية الله تعالى ولذلك يفعل الله
بكل مسرف مرتاب اعاذنا الله من الاختلال المفضي بصاحبه الى الضلال
ثم هذه المخازي يلزم منها قلب الحقايق فان الصوت لا يقوم بنفسه
ولا بخلقه والقايل بذلك تشهد العقلا بحمقه فان حقيقة صفة الموصوف
تستدعي وجودها محلا كما في ساير الصفات اذ لا يعقل قيام صفة بنفسها
بل بغيرها وهذا ضروري والحمد لله واما قولك فان الصدا لم يقل له انا
الله ولكنه كان في مسامع موسى انا الله قلنا لك ان الصدا هو العامل
في مسامع موسى وهو المحرك له وعليه رد واياه جاوب فيلزمك على
هذا الانفصال ان يكون موسى رسول الصدا لا رسول الله وعليه
يدل كلامك وعنه تحمل الرسالة لا عن الله واذا كان ذلك فقد كذبتم موسى
عليه السلام على ما يلزمكم حيث قال لفرعون انا رسول الله فانه كان بزعمك
رسول الصدا لقول انا الله ويعترف له موسى بالربوبية ويامر موسى
بتبليغ رسالته فقولوا ان الصدا اله واضيفوه الى الهتكم المتقدمة
فيكون عددهم خمسة وذلك ان الاقانيم الثلثة عندكم الهة وعيسى اله
رابع والصدا اله خامس ومنكم طايفة تدعي ان مريم اله فيكون الالهة عند
هذه الطايفة ستة واذا انتهى عقل انسان لا يقول هذه المخازي بلسانه

ولا يشعر بها سقطت مكالمته ووجبت مجانبته ولا معنى لتطويل الكلام
معمن يرتكب ذلك الهذيان فقد تم للشيطان فيهم عمله وانجح معهم سعيه واملة
ومع هذا انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون
وينبغي ان نتعدى اكثر كلامه في هذه المسايل بما هو ظاهر الفساد ولعلنا نصل
الى ما هو المهم والمراد من نقل مذاهب المتقدمين اعني المطارنة والقسيسين
اذ كلامهم يمكن ان يعقل اعني سفههم وتحصل ولابد مع ذلك من نقل كلام هذا
المسايل ليعلم الناظر فيه انه ليس تحته طايل وان المتكلم به ليس بعاقل

الفصل الرابع من حكاية كلامه قال فان لم يكن بد من الصدا فقد قال
انا الله فاسالك ان كنت تصدق الصدا ام تكذب فاذ لم يكن بد من تصديقه
في قوله بالربوبية اذ قال انا الله لا اله الا انا فاعبدني فقد الكم وكذلك
صدق المسيح في قوله انا الله وصدقه الحواريون ومن اتبعه من غيرهم في قوله
بالربوبية كتصديق موسى الكلام والايمان له برسالته الى اهل مصر وقد اوجبتم
ان جسم المسيح وكلامه لما خاطب بالربوبية مثل جسم النار والكلام اذ خاطب
موسى بالربوبية فان قلت ان موسى لم يعبد النار والكلام كما تعبد النصارى
المسيح قيل لك ان الكلام قال له اعبدني وسجد له موسى وقال تبت اليك
وانا اول المومنين فان قلت المسلم عند الاضطرار ان النار والصدا واسطة
ولكنها خلاف المسيح وكلامه لان النار ليس من طبعها الكلام واما المسيح فانه كان
انسانا معروفا بالكلام فلا الله فيه قلنا لك اذ قد اوجبتم ان الخليقة لا تدرك
الخالق الا بجسم مخلوق يتخذه ويحله واسطا بينه وبين من خاطب من الانبيا
ويصير الواسط لهم الها فقد جا معتمد اهل الاقرار بواسط مخلوق بالربوبية
للمسيح ووضعتم فيما انكرتم وليس ينفعكم لجاوكم الى القول بان النار اية
والمسيح ليس اية وانما اوجبتم علينا الشرك في قولنا بواسط فاذا العقل
والحق لا يعيب الواسطة فكلا الواسطين بين الله والمخلوق وان ذهبتم
الى ان النار صادقة لا يتخوف عليها الكذب وان المسيح يتخوف منه الكذب
فان موسى انما عرف النار والكلام وانما قطع الشك باليقين باية العصي

واليد

واليد التي ادخل في جيبه وكذلك قطع المومنون بربوبية المسيح شكهم
باقرار الموتى عند احيايه لهم بربوبيته وان ذهبتم الى ان خلق النار في
ذاتها اشرف فان كل مخلوق في الدنيا هو منافع لولد ادم مسخرة لهم وكفى
بعهدكم في توراتكم ان الله امر الملايكة بالسجود لادم وان ابليس مسخوط عليه
في الابد لابايه عن السجود له وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من
طين فان قلتم كذبتم على المسيح لانه لم يدع ما قلتم شيا فقد انما انكرتم
علينا القول بما وجدناه في كتابنا نحن لا نعدل بمثل هذا في الابد واضطررنا
من كتابكم الى القول بمثله فلما ثبت قلتم كذبتم على المسيح فلا تكذبونا
على القول بمثل قولكم في واسطة موسى وعبادته لها وانتم لما اوجبتم ان
الامة تحاسب بعملها يوم القيامة ان يحاسب بها يخاطبها ويكافيها باعمالها
ثم يقول في توراتكم وجا ربك والملك صفا صفا فما تنكرون ان المسيح الذي كان
واسطا للوعظ ان يكون هو المقبل مع الملايكة كما قدمه في الانجيل
حيث قال يقبل ابن الانسان اعني الحجاب المتخذ من نسل ادم في
مجلس عظمته ويقدم جميع الامم بين يديه ويميزهم كما يميز الراعي الغنم من
المعز فيجعل المومنين عن يمينه والمجرمين عن شماله ثم يحاسبهم ويامر
كل طايفة بمثل ما قدموا في دنياهم واذا اوجبتم ان الله لا منظور ولا
مدرك بحاسة فقد اوجب ان المحاسب المسموع مدرك بالحواس مع اقراركم
ان ربكم قال ترون ربكم ولا تضامون في رويته كالقمر ليلة البدر ولم
تنكرون ان يكون المسيح الذي كان واسطا للوعظ ان يكون هو المقبل
مع الملايكة كما قال عنه قراتكم هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام
والملايكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور **الجواب عما ذكره** اعلم
يا هذا المتكلف في يقينه المتعسف في تاويل دينه انك قلت في هذا الفصل
من الباطل والكفر ما لا حجة له ولا اصل خالفت فيه دين النصارى المتقدمين
ولم تعرج على مذاهب القسيسين بل رغبت عن طلة ايمتك المطارين
فوجب على اهل ملتك ان يعدوك في الخارجين ومن الجهال المبتدعين

كم

وذلك انك زعمت ان الذي قال لموسى انا الله لا اله الا انا فاعبدني
انما كان الصدا ولم يكن الله تعالى وزعمت ان موسى اعترف للصدا بالربوبية
وانه هو الذي كلم موسى واياه جاوب وعنه تحمل الرسالة حتى اتى فرعون وان
ذلك الصدا قام عند موسى مقام خالق فسماه الاها وزعمت ان موسى
سجد لذلك الصدا وانه هو الذي سال موسى رويته وكذلك زعمت
ان موسى قال للصدا تبت اليك وانا اول المومنين فاذا كان هذا كله للصدا
فلا حاجة لموسى ولا لاحد الى الله فانه لم يقل لا اله الا انا وانما قالها الصدا والصدا
صادق بزعمك فقد بطلت الاهية الله تعالى وثبتت الاهية الصدا واذا كان كذلك
فلم لا تعبدون هذا الصدا الذي عبده موسى وسجد له وتاب له بعد ان اعترف
بربوبيته وما بال حبقوق النبي لم يعبد هذا الصدا كما عبده موسى ولم يذكره
ولم يعترف بربوبيته وكذلك ما بال حزقيل لم يعبد هذا الصدا كما عبده موسى
ولم يذكره ولم يعترف بربوبيته وكذلك اشعيا ويحيى وعيسى وغيرهم من الانبيا
والحواريون ما بالهم ما عبدوا ما عبد موسى وسجد له واعترف بربوبيته وانه لا رب
سواه فهولا الانبيا والاوليا اما ان يكونوا علموا انه لا اله الا الصدا كما قال الصدا
بزعمك او جهلوا ذلك فان كانوا علموا فلاي شي لم يعترفوا بذلك وسكتوا عنه
اذ لم يصح قط عن واحد منهم انه قال لا اله لكم الا الصدا فيلزمك ان يكون سكوتهم
عن ذلك اما عن جحد او تلبيس فان كانوا علموا الحق فجحدوه فذلك كفر منهم
وهم صلى الله عليهم مبرون عن ذلك ومنزهون ولو كان ذلك لاستحال ان يظهر
عليهم من الايات شي مما ظهر وان كان سكوتهم عن تلبيس فان جاز عليهم
التلبيس في مثل هذا جاز عليهم التلبيس في كل ما اخبروا به من الشرايع والشرايع
والاحكام محتقرة بالاضافة الى معرفة الربوبية وان كانوا جهلوا ذلك فكيف
علمت انت يا احمق ما جهله الانبيا والاوليا وان كانوا قد تكلموا بذلك وقالوا
به ففي اي سفر من اسفار التوراة هو ان موسى اخبر ان لا اله له ولا لكم الا الصدا
وان الصدا ارسله الى فرعون وانه الهه فان كان ما يدعيه حقا فات بالتوراة فاتلها
ان كنت من الصادقين وفي اي كتاب من كتب الانبيا جا مثل ذلك افي كتاب

حبقوق او في كتاب حزقيل او في كتاب اشعيا او في كتاب دانيال او في
انجيل لوقا او في انجيل متى او في انجيل مرقس او في انجيل يحيى او في مصحف
الانجيل الاعلان وفي اي كتاب من رسايل الحواريين وجد مثل ذلك وهل
وقع شي منه هنالك وهذه الكتب التي ترجعون اليها وتعولون عليها واذا
لم يوجد فيها شي مما ذكرت علم من حالك انك على الله ورسله كذبت
وافتريت ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس
في جهنم مثوى للمتكبرين بل قد تواردت الرسل على الاخبار بالقواطع التي
لا تجهل ان الله اله واحد وانه ليس له في الالاهية شريك ولا معاند واذا
ثبت بهذا انك كفرت وان الله ربك سلبت وعلى رسله كذبت وانك
من جميع الملل خرجت تعين على اليهود والنصارى ان يتشوروا في امرك
ويايتمروا في حرقك او نحرك ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من الله من واق
ثم نقول هذا الصدا الذي وصفت وهو اله عندك كما زعمت اهو الله
رب العالمين وخالق السموات والارضين ام اله غيره فان كان هو الله فلم
سميته الصدا ولم جعلته واسطا بين نفسه وخلقه وهل هذا الا محالات
فانه لا تتصور في العقل واسطة الا بين اثنين ويكون الواسط ثالثا ثم يلزمك
على هذا ان تجعل ذات الباري الرب تعالى صوتا حادثا فان ذلك الصدا
عندكم حادث وهذا كله محال بضرورة العقل وان قلت انه غيره فيلزم ان
ذلك الصدا هو المتكلم عن نفسه والمخبر بحقيقته فاذا سمعه موسى يقول انا
الله لا اله الا انا فاما ان يخبر عن نفسه او عن رب العالمين فان اخبر عن نفسه
فهو كاذب فان الرب تعالى اله اخر وان اخبر عن الرب فلاي شي قلت انه اله
وان موسى اعترف له بالربوبية وسجد له بل الاله الحق رب العالمين
والصدا ليس باله ولا رب فقولك اعترف موسى بربوبيته وعبده
باطل بالضرورة ثم نقول هب ان ذلك الصدا هو المتكلم عن الله وانه اله فهل
يقدر الله تعالى على ان يتكلم ويخبر عن ارادته بغير ذلك الصدا فان قلتم لا فذلك
تعجيز الله تعالى وهو القادر على كل شي ويلزم عليه ايضا ان يكون محتاجا لذلك

الصدا المحدث وكل من كان محتاجا فهو ناقص معيب وليس الغني والله
هو الغني عن كل الموجودات وليس شي من الموجودات عنه غني وان كان
قادرا على ان يسمع كلامه بغير واسطة فلعل موسى سمعه بغير واسطة واذا
جاز ان يسقط الواسطة انهدم كلما رمت بناه على انا كما هدمناه اولا في
اوحى لحظة بايسر نفحة وانما اردنا ان نبين لك ولكل من وقف على كلامك
بعض باطل زعمك وانت لم تشعر بشي من ذلك ولولا خشية التطويل
لاوردت عليك من النقوض واللوازم ما يتعجب منه كل نبيل ثم نقول
بل هب انا نسلم جدلا ان الله تعالى تكلم مع موسى بواسطة الصدا افلم قلت
ان عيسى مثل الصدا اعني انه واسطة كما ان ذلك الصدا واسطة وما الذي
دلك على ذلك ولاي شي سويت بينهما والفرق بينهما ظاهر وذلك ان
الصدا الذي زعمت ان موسى سمعه انما سمعه موسى بعد ان احتجب له
بالنار كما زعمت والنار جماد واذا قام بالجماد صوت يفهم منه انا الله لا اله الا انا
فيمكن ان يعقل هنا خاطر منك ان المتكلم بذلك الصوت هو غير الجماد
لاستحالة الالهية على الجماد واما حيوان يمكن ان يتوهم فيه انه آلة كما توهمتم
انتم في ذلك فلا يصح ذلك فيه لانه اذا قال لا اله الا انا فعن نفسه يخبر واليه
يرجع حكم خبره بخلاف الجماد فكيف تساوي الواسطتين على الاخر وليس
في معناه ولو اردنا تطويل الكلام لذكرنا فروقا اخر تمنع مقايسة النار بالبشر
واما قولك ان عيسى عليه السلام قال انا الله وان الحواريين صدقوه
في ذلك فكذب صراح وافك براح فانه لم يرو عنه عليه السلام ذلك القول
بوجه صحيح ولا بنص صريح بل الذي صح عنه ونقل بالتواتر عنه انه كان يقول
اعبدوا الله الذي لا اله الا هو وانا جيلكم تشهد بذلك عليكم ثم نقول
لو ثبت ان عيسى قال ذلك اللفظ بعينه لكان يسوغ حمله على محمل قويم
في المعقول غير مخالف للمنقول وهو ان عيسى عليه السلام كان محبا لله تعالى
مشهورا في محبته ومن عادة المشغوف بشي المشتهر به ان يستحضر ذلك
الشي المشتهر فيه في قلبه ويجعله نصب عينه حتى لا يلاحظ شيا سواه بل ربما

سقي ذلك به الى ان يذهل عن نفسه ويغيب عن حسه فيفي شغل تلك الحالة
نطق المشتهر الشي الذي شغف به هو هو حتى يقول انا من اهوى ومن اهوى انا
وكذلك قال الاخر . فكل شي راه ظنه قدحا . وكل شخص راه ظنه الساقيا
ولذلك قال عيسى عليه السلام لما انكشف له من سلطان الحقيقة امر ما غاب عن نفسه
وفني عن حسه ما شاهد من جمال الربوبية والحضرة الالهية فغفل عن كل ما سوى الله تعالى
فقال انا الله وهذه امور عجيبة واذواق غريبة لا يدركها الا من اختاره الله من خلقه
واصطفاه لحضرته فليس بعشك فادرج واما قولك لما قدا وجبتم ان الخليقة
لا تدرك الخالق الاعظم الا بمخلوق تتخذه وتجعله واسطة بينه وبين من يخاطب
من الانبياء فقول باطل علينا فاسد لدينا فانا قد احلنا تلك الواسطة فيما
تقدم بوجوه متعدده وقد حكمنا بتكفير من اثبت واسطة على نحو ما زعمت
ولا اعلم ان احدا من المسلمين قال شيا من ذلك بل ولا من اهل الملل غيرك
ثم نقول هذا الواسط الذي زعمت لا يخلو ان يدرك الله تعالى اعني يعرفه
ويسمع كلامه او لا يدركه فان قلتم لا يدركه فقد شهدتم على انفسكم ان
الواسط ليس بآلة اذ الآلة لا بد ان تكون دراكا ويلزمكم على ذلك ان يكون
عيسى لا يعرف الله تعالى ولا سمع كلامه وهو محال وان قلتم انه يدرك الله
تعالى فهل يدركه بواسطة او بغير واسطة فان ادركه بواسطة اخرى فالكلام
في تلك الواسطة كالكلام في الاولى فيلزم التسلسل وان ادركه بغير واسطة
فيجوز لنا ان ندركه بغير واسطة وفي هذا ابطال ما ذكرت من اثبات الواسطة
الذي ذكرت ان المسلم قد اضطر اليه واما قولك انما اوجبتم علينا الشرك
في قولنا بواسط فان الحق والعقل لا يغب الواسط فلتعلم انا لم نوجب
عليك الشرك من حيث الواسط فقط بل من حيث اثبت واسطا الها وذلك
انك زعمت ان الصدا قال لموسى مخبرا عن نفسه انا الله لا اله الا انا فاعبدني
واعترف له موسى بالربوبية وتحمل عنه الرسالة وعبده وسجد له فهذا
اثبات اله غير الله وقلتم ذلك في المسيح انه قال انا الله واعترف الحواريون له
بالربوبية فهذان الاهان ثم ان الاقانيم ثلاثة آلهة فصارت الهتكم خمسة

فيا ليت شعري هذه الالهة الخمسة هل اشتركوا في ايجاد الموجودات واختراع
الكائنات او انفرد بها احدهم فان كان قد انفرد بها احدهم فهو الاله الحق
الواحد الفرد وان كانوا قد اشتركوا وتعاونوا على خلق الخلق وسائر المخلوقات
فلا معنى للشرك الا اذا ويلزم على تقدير اجتماعهم وتوافقهم على الخلق ان
يكون كل واحد منهم مضطرا الى مساعدة الاخر وكل مضطر ناقص والناقص
ليس باله وان قدرنا اختلافهم في الخلق بحيث يريد احدهم ان يخلق ويريد
الاخر ان لا يخلق فيؤدي ذلك الى ان لا يخلق احدهم شيا ولا يوجد الخلق وقد
وجد الخلق فدل ذلك على ان الها واحدا لا شريك له ولا اله غيره وهو الله تعالى
ثم نقول عباد الاصنام والاوثان اشبه حالة منكم لانهم في عبادتهم انما كانوا
يعبدون اصنامهم ليقربوهم الى الله تعالى زلفى وانتم انما تعبدون هذه
الالهة لانها ارباب من دون الله فتتقربون منها وهذه جهالات بينة
وضلالات ظاهرة عميت عنها بصايركم فانطوت عليها قلوبكم واعجب
من ذلك كله قولك الحق والعقل لا يعيب الواسطة اما من قال هذا فقد خرج
عن غريزة العقل فتاه في مفازة الجهل فان العقل الصريح يشهد بضرورة
بابطال الواسطة واما الحق فهذه كتب الانبيا بين ايدينا وايديكم ففي اي
كتاب منها ان الالهة خمسة بل يدل كلها على ان الها واحدا ولا له ولد ولا والد وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا
وستقدم فتعلم وانت قد اضطربت في هذا الفصل ولم يثبت لك
فيه فرع ولا اصل والتكبر مع من لا يعقل عمل من لا يحصل واما قولك
وانتم لما اوجبتم ان الامة تحاسب بعملها يوم القيامة ان محاسبها
يخاطبها ويكافيها باعمالها فقد كان ينبغي لك ان لا تحتج بشي لم يثبت
عندك اصله ولا تصدق نقله ثم لا حجة لك فيما ذكرته وذلك ان
محاسبة الله تعالى للعباد في الدار الاخرة مما يجب الايمان بها ومما قد تواردت
الشرايع عليها اما بالتصريح او بالايما والتلويح وذلك يكون ولا بد ولاجل مجازاة
العباد باعمالهم في الدار الاخرة خلق الله الخلق وبسط الرزق وارسل الرسل

وانزل

وانزل الكتب افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ومحاسبة
الله الخلق تكون على وجوه جايزة في العقل واردة في النقل لا نحتاج الى شي
ما تخيلته منها ان العبد يوقف في محل الفصل والقضا فيعطى كتابا احصيت
عليه فيه اعماله ويقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
فاذا وقف عليه علم ان المكتوب فيه هو اعماله فان كان سعيدا قال هاوم
اقروا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية
قطوفها دانية فعند ذلك يقال لهم كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في
الايام الخالية وان كان شقيا فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر
ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه
فعند ذلك يقال للملايكة خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا فاسلكوه فهذا وجه من وجوه المحاسبة لا نحتاج معه
الى اثبات واسطة ويمكن ان يكون هنالك وجوه ممكنة في المحاسبة ليس هذا
موضع ذكرها ولا انت اهل لفهمها لا نحتاج شي منها الى ما رمت من الواسطة
فكاني والله بك ان مت على ما انت عليه توخذ بناصيتك وقدمك
وتحيط بك ملايكة ربك ملايكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يومرون فتنادي فتقول يا عيسى يا سيدي يا الاهي يا ولد الله فيقول
لك كذبت ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ولست باله ولم اقل لك كذلك
ولا اعلمتك ذلك وانما ابلغتك ان الله لا اله الا هو وحده لا شريك له
فكيف ترى تحيرك بين يديه وحيرتك اذا طلبت في نفسك جوابا ترده
عليه فذلك المقام لا ينفعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل الا ما قدمت
يداك من حسن ايمان وعمل صالح وسعادة قضت لك بها سابقة الازل فان
الملايكة والنبيين لا يشفعون الا لمن ارتضى رب العالمين فالله الله انظر في
خلاص نفسك لتجتني ثمار غرسك واما قولك نقول قرانكم وجاربك
والملك صفا صفا فلست لها فما شانك واياها انت لا تعرف لسان من
خوطب بها ولا تعرف مضمنها فكيف يمكنك الاستدلال بها والنطق في حولها

وانت عري عن الشرط الذي يعرف به معناها ويفهم فحواها وليس مفهومها عند
من خوطب بها من العرب الفصحا البلغا علي شي مما ذكرت ولا يقرب مما توهمت
بل معناها عندهم لا تخالفه العقول ولا يخرج عن اسلوب لسان العرب المنقول
وانا اكره ان اشافهك به لانك فاقد شرطه فان كنت ممن ينور الله بصيرته
ويحسن سريرته شرعت في ان تتعلم ويجب علينا ان نفهمك حتي ان شا الله
تفهم واما قولك في الانجيل تقعد ابن الانسان في مجلس عظمته ويقدم جميع
الامم بين يديه ويميزهم كما يميز الراعي الغنم فنقول امنا بالله وكتبه ورسله ومع
ذلك نعلم علي القطع والثبات ان كل امة تدعي يوم القيامة بامامها وينادي
بمعبودها وانبيايها فيتبع كل من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع كل من كان يعبد
الطواغيت الطواغيت واذا كان كذلك فلا بد لعيسي ان يجمع اهل من اتبع
شرعه فحينيذ يميزهم كما يميز الراعي الغنم فمن امن به واتبعه علي النحو الذي رسم له فهو
من الفايزين ومن اعتقد فيه انه اله او ابن اله فالنار مثواه بعد ان تبرا عيسي
من دعواه واما قولك واذا اوجبتم ان الله لا منظور ولا مدرك بالحواس فقد
وجب ان المخاطب المسموع مدرك بالحواس فهذا لا يلزم منه شي مما ذكرت فانا اذا
قلنا ان الله ليس مدركا بالحواس فانا نريد ان الله ليس مدركا بالحواس كما
ندرك الاجسام والالوان فيكون محاطا به فيكون ذا حدود واقطار وذلك محال واذا
قلنا ان الله تعالي واذا قلنا ان الله تعالي يري في الدار الاخرة انما نريد به ان الله تعالي
يخلق لنا ادراكا اخر لا يناسب حالة حال ادراك الاجسام والالوان فان
الادراكات مختلفة باختلاف متعلقاتها وذلك ادراك خاص الحكيم نفسه لم نذق
منه ذوقا في هذه الدار فانه انما يكرم الله به اصفياه واولياه يوم القيامة واذا
انعم الله علي وليه بذلك الادراك المعبر عنه بالروية خلق له من اللذة ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر فان انكرت ان تري ما ليس
بجسم ولا الوان فلتنكر ان يعلم موجود ليس بجسم ولا عرض وان زعمت
ان الروية غير جايزة عقلا فقد جهلت موسي حيث سال الله ما يستحيل عليه فكيف
جهل موسي من وصف الله ما عليه ما علم جاهل مثلك واما استشهادك

بحديث

بحديث نبينا صلي الله عليه وسلم علي روية ذي الجلال والاكرام كانت ممنوعة منه
لا عواصك عنه وهو من عمدتنا علي اثبات روية الله في الدار الاخرة لكونها عين
محقة ودليل صدقه ثم انك نقلت ذلك الحديث فاجحفت وبالمعني اخللت
وانما صوابه انكم ترون ربكم ولا تضامون في رويته الا كما تضامون في روية القمر ليلة
البدر وهذا الاحتجاج لك فيه فانا نقول ان الله هو المري لا نعيو بالابصار في الدار
الاخرة علي ما تقدم وانتم تقولون ان المري الواسطة وهذا الحديث يعرف معانيه
اهله وهم الذين يصدقون برسالة من هو قوله فلا تطمع في معرفته فانك
لست اهلا لدرايته واما قولك لم تنكرون ان يكون المسيح هو المتبل مع الملايكة
كما قال عنه قرانكم هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام فكيف لا تنكرون
ذلك ولم يدل علي وقوعه دليل عقلي ولا صحيح نقلي وليس معني الاتيان في هذه الاية
الا كالمجي في الاية المتقدمة وكلاهما ليس المراد به المجي الذي هو نقل الاقدام بل المجي
والاتيان لهما معان اخر تعرفها العرب المومنون وهذه الاية فيها محذوف يفسره
اية اخري هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتي امر ربك فقد ذكر في هذه الاية
ما حذف هنالك وعلي هذا هو المعروف في لسان العرب من حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه وكذلك الكلام في الاية الاولي وهذا لا يخفا عند البصير بلسان
العرب فانها تستعمل الحذف والاضمار والمجاز والاختصار ثم ما لك ولكتابنا
واي شي نشد ضالتك دعها فان معها حذاها وسقاها ترد الما وتاكل الشجر حتي يلقاها
ربها الق السلاح فلست من اكفانا واقعد مكانك في الحضيض الاسفل
ثم نقول من عجيب امر هذا السايل انه لا يصلح ان ينسب لمقلد ولا لناقل وذلك
ان هذا المذهب الذي ابدي من اتحاد الله واسطة صوت الصد انما حمله عليه
تقليده لكتاب اغشتين وذلك انه اشار في مصحف العالم الكابن الي نحو ما ذكره
هذا السايل ولعله وقف عليه ولم يفهمه فهما صحيحا ولا عبره فصيحا بل زاد عليه
كلاما فاحشا قبيحا واني ان شا الله اذا ذكر كلام اغشتين في الفصل الذي بعد هذا
وابين فيه انه ليس كما فهمه هذا السايل ثم اعطف علي اغشتين بتبيين فساد
مذهبه واوضح انه غير مصيب في مطلبه واعين ان اغشتين مخالف لغيره من

القسيسين **الفصل الخامس في حكاية كلام المتقدمين في الاتحاد وبيان**
اختلافهم فيه لتعلم ايها الناظر في هذا الباب ان النصارى قد كثر اختلافهم وعظم
خبطهم وارتباكهم فلا يستقرون فيه على قدم ولا يمشون منه على طريق امم
فقيل منهم من نفى الاتحاد والحلول ولم يقل بشيء من ذلك وهم طايفة متقدمة
يعرفون بالاروسية وما يكاد مذهبهم يخالف مذهب المسلمين الا في انكارهم نبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم وجمهورهم يخالف على القول به واثباته ثم المثبتون له منهم
من قال فيه كيف ولا يسال عنه بحرف ومنهم من يشرع في بيان كيفيته وتفسير
لا يقال عنه
ماهيته فصارت اليعقوبية والنسطورية الى ان الكلمة خالطت جسد المسيح
ومازجته كما يمازج الخمر اللبن والى نحو هذا ذهب الروم وزادوا عليهم فقالوا اختلطت
الكلمة بالمسيح فصارت شيا واحدا ولقد حكي من كلام اليعقوبية ما يدل على تواقحهم
وجراتهم على الله تعالى وذلك انهم قالوا ان الله نزل فدخل في بطن مريم فاتخذ من لحمها
جسدا فصار الله مع الجسد نفسا واحدة وربما اطلق بعضهم القول بان الله تعالى
اتخذ ذلك اللحم والدم مرادة في نفسه فصار ذلك اللحم الله واما النسطورية فقالوا
ليست تلك النفس هي الله وانما هي ابنه وذلك هو البهتان الذي يعلم
بطلانه بالضرورة كل انسان وصار معظم اليعاقبة الى ان الكلمة انقلبت لحما ودما
وصارت طايفة من النصارى ولعلهم والله اعلم الذين يقال لهم الملكية الى ان الكلمة
حلت جسد المسيح كما يحل العرض محله وصار اخلاط من النصارى الى ان المراد بالاتحاد
ظهور اللاهوت على الناسوت وربما عبروا عن ذلك بالفيض ثم اختلفوا في تمثيل
ذلك على ثلاثة اوجه منهم من قال مثاله ما ينطبع في الاجسام الصقيلة من الاشباح
التي تقابلها ومنهم من قال مثاله الطابع المنقوش اذا اتصل بالشمع او ما يضاهيه
فيظهر نقش الطابع عليه وان لم يحله شيء من الطابع ومنهم من قال معنى ظهور
اللاهوت على المسيح كمعنى استواء الاله على العرش عند الاسلاميين مع مصيرهم
الى استحالة المماسة والمحاذاة وربما يعبرون عن الاتحاد بالتدرع كانهم اخذوا ذلك
من لفظ الدرع يشيرون الى ان اللاهوت اتخذ ناسوت المسيح درعا فهذه مذاهب
المشهورين من طوايفهم واما اختلاف احادهم فلا يكاد ينضبط ولا يرتبط ومن

اراد الوقوف على شيء من ذلك فليطالع كتاب المسايل لهم فيه يرى تحيرهم
وخبطهم وتفردهم وبعد هذا ان شاء الله تعالى بابا نذكر فيه كلام القسيسين فان مذهبه في
الاتحاد مخالف لمذهب من تقدم ذكره من الفرق والقسيسين **الجواب عن كلامهم**
اما من حكي عنه نفي الاتحاد فقد قال بالحق واتى بالمراد واما من اثبته وقال ان الاتحاد
لا يسال عنه ولا كيف فنقول له معنى الاتحاد لا يخلو ان يعرفه او لا يعرفه فان
لم يعرفه فقد اعترف بجهله وناقض متقدم قوله فانه اعترف بالاتحاد وادعى
ثبوته للمسيح وحده ثم لما طولب بتبيينه قال لا اعرفه وهذا تناقض وقول باطل
بالضرورة واما من قال اعرفه الا انه يقصر عن ادراك حقيقته عقلي ولا اقدر على
العبارة عنه وهذا كما قلتم في جوابكم عن كيفية سماع موسى كلام الله حيث
قلتم انه ... عنه بكيف قاله ظلم وحيف فنقول اما قولك اعرفه الا انه يقصر
عقلي عن ادراك حقيقته فناقض ايضا لان كل معروف فلا بد ان يرتسم في
العقل ويحصل فيه على الوجه الذي يكون معروفا منه فاما على الجملة واما على
التفصيل وما لم يرتسم في العقل لا جملة ولا تفصيلا فليس بمعلوم وانت
اذا ادعيت انك عالم بالاتحاد فلا بد ان يكون علمك به اما على الجملة او على
التفصيل وكيف ما كان فلا بد لك من ان تعبر عن معلومك على اي وجه كان
والا فانت جاهل بالاتحاد ومن جهله كافر عندكم واما تشبيهك هذا بكيفية
سماع موسى فليس بصحيح لانا مهما قيل لنا كيف سمع موسى كلام الله انما نسيل
عن شيء لم نعلمه علم ذوق وعن تفصيل ما لم نعلمه تفصيلا بل علمناه على الجملة
ولذلك اجبنا بقولنا ان الله تعالى خلق له ادراكا سمع به كلام الله الذي هو صفته
الذي ليس بحرف ولا صوت ففهمنا الادراك على الجملة ولم نفهمه على التفصيل
وانت لم تعرف الاتحاد جملة ولا تفصيلا بل جهلت وادعيت انك علمت
هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين **واما** من قال ان الكلمة خالطت جسم المسيح
ومازجته ممازجة الخمر اللبن فكلام فاسد قايله للعقل فاقد وذلك ان المفهوم
من المخالطة والممازجة لا يتصور الا في الجواهر المتحيزات وذلك ان المخالطة انما يعبر
بها عن تجاور الجواهر واجتماعها بحيث يكون كل واحد من الجواهر المتمازجة يحفظ

حيزه ويشغله ويمنع منه غيره ولذلك اذا افرغت اناما على اناء لبن مثلا وتمازجا
كثر اللبن وصار لا يسعه بعد الممازجة ما كان يسعه قبل الممازجة والعلم ليس
بجوهر فاستحال عليه الاختلاط والامتزاج بالضرورة فان ارادوا بالامتزاج
والاختلاط امر اخر فلابد من بيانه وافادة تصوره ولا يتكلم على الشي ردا او قبولا
الا بعد كونه معقولا ولو سلمنا الممازجة جدلا للزم عليها انواع من المحالات
منها قيام الصفة بنفسها وانتقالها وبقاء جوهر الله تعالى عريا عنها على قولهم
والعري عن العلم جاهل والجهل على الله محال ويلزم على ذلك ان لا يكون العلم
ازليا بل حادثا مخلوقا لان حاله تغيرت وذلك بعد ان لم يكن مختلطا ممتزجا
صار ممتزجا مختلطا وهذان امران حادثان ولا يخلو عن احدهما وما لا يخلو عن الحوادث
حادث على ما عرف في موضعه وهذه امور باطلة فالمفضي اليها باطل وهو الاختلاط
واما من قال بالحلول فليس له محصول ولا معقول لان حقيقة الحلول انما هي
ان يحصل جسم او متحيز في شي او على شي فيسمى الحاصل حالا والحاصل فيه
يسمى محلا ويسمى النسبة بينهما حلولا وهو الذي يسميه النحوي مصدرا هذا هو المفهوم
من حقيقة الحلول وقد توسع فيه فيقال حل العرض في محله ومعناه صار العرض
متصفا به وصار العرض قايما فيه وموجودا فيه فان اردتم حقيقة الحلول كان
محالا فان العلم ليس بجسم ولا جوهر على ما مر وان اردتم الثاني فهو محال ايضا
لانه يلزم عليه مفارقة العلم الجوهر وبقاوه جاهلا وتقوم عرض واحد بمحلين
في زمان واحد ويلزم عليه ايضا انتقال الصفة من محل الى محل وحدوثها
الى انواع من المحالات لا ينوبها عاقل ومتحملها احمق جاهل وقد صرحوا بانهم
ارادوا بالحلول حلول الجوهر في العرض وقد صرحنا نحن بما يلزمهم من المحالات
على ذلك وبيناه والحمد لله ثم نقول لهم بعد ذلك في قولهم بالاختلاط
وانهما صارا شيا واحدا لا يخلو عن اختلاط اما ان يبقى العلم موجودا
بحاله والجوهر موجودا بحاله او ينعدم احدهما او ينعدما معا محال ان يبقيا
موجودين بحالهما مع فرض الاختلاط وكونهما شيا واحدا فان الواحد لا يعود
اثنين الا باضافة غيره اليه واذا اضيف غيره اليه ارتفعت الواحدة بالضرورة

على ما تقدم في التثليث وكذلك الاثنان لا يعودان واحدا الا اذا انعدم احدهما
فترتفع الاثنينية بالضرورة ومحال ان ينعدما فانه يودي الى عدم القديم
والى عدم ما هو موجود في حالة وجوده فلم يبق الا ان ينعدم احدهما دون
الاخر وذلك محال فان الموجود لا يخالط المعدوم ولا يمازجه بل يبقى الواحد
واحدا واذا بطلت هذه الاقسام المنحصرة بطل الامتزاج والاختلاط ومصير
الاثنين واحدا على ما قالوه واما من قال ان الكلمة انقلبت لحما ودما فلقد ركب
حماقة والتزم ما يلزمه عليه جواز عكس مذهبه وهو ان ينقلب اللحم والدم
علما والقديم حادثا والحادث قديما الى غير ذلك من المحالات التي لا تصدر
عمن شدا طرفا من المعقولات ولولا الحمق والتقليدات لما وجد مثل هذا
المواقع في كلام احد من المخلوقات واما من قال ان الاتحاد هو ظهور وفيض
ومثله بانطباع الصورة في المراة فهذا المثال انما كان يصح لو كان العلم
صورة محسوسة بالبصر وكون جسد المسيح صقيلا ينطبع فيه صور المقابلات
له وكل ذلك معدوم في مسلتنا بالضرورة فتخيله فاسد وباطل بالضرورة
فكما لا تتمثل ذات الحياة ولا ذوات الارادات في المراة كذلك لا تتمثل الكلمة في
جسد المسيح ثم ان جاز انطباع علم الله في جسد بشري فلينطبع في كلماته
يشبهه في الجسد وسياتي لهذا مزيد بيان وفيما تقدم ما يبين فساده واستحالته
واما التمثيل بنقش الخاتم في الشمع فيلزم عليه امران احدهما ان الثاني من
النقش في الخاتم يعود منحصرا في الشمع لا تتصور الا في الاجسام وان جاز
في غير الاجسام فيلزم ان يكون كل واحد منهما اعني اللاهوت والناسوت
يوثر في الاخر ويحل فيه فيكون الناسوت حل في اللاهوت وذلك محال عند
كل فريق والامر الثاني ان النقش في الخاتم لو صنع مقلوب الكلمات ثم
تنطبع مستقيمة في الشمع ولو صنعت في الخاتم مستقيمة لانطبعت
في الشمع منعكسة فيلزم على مساق هذا المثال ان تنطبع الكلمة في الناسوت
اما بالاستقامة او بالعكس فان انطبعت فيه بالاستقامة فاقنوم الكلمة
في الناسوت على حقيقتها في اللاهوت بل هي منعكسة فلا تبقى حقيقة

فان الجوهر بالانعكاس وان
انطبعت فيه بالانعكاس فاقنوم الكلمة

العلم علي ماكانت بل هي ليس بعلم وهذا كله مما يلزم علي ارايهم الفاسدة
وتحكماتهم البارده واما من ليس منهم فان مثل قولهم في الاتحاد بقولنا في
استوايه تعالي علي العرش وذلك مما لا نقال عنه اتحاد ولا حلول ولا فيض ولا
انطباع لانا نريد بقولنا هو علي العرش مستو او استوي علي العرش ان العرش
تحت قبضته ومسخر بقدرته والاستوا عليه انما هو بمعني الاستيلا علي ما تعرفه
العرب من كلامها فانها تقول قد استوي بشر علي العراق من غير سيف ودم
فان ارادوا هذا المعني فهو حق وصحيح لكنه لا يصح في حق عيسي وحده فان
الله تعالي مستولي علي عيسي وعلي غيره واما من اطلق منهم لفظ التدرع فيستحيل
علي الحقيقه والتوسع وذلك ان هذا اللفظ لشعر بان اللاهوت اتخذ الناسوت
درعا او كالدرع وهذا كله مستحيل علي الاله تبارك وتعالي وعلي علمه وعلي كلما
تقدم من المحالات علي هذا المذهب يلزم وعلي الجمله فهولا القوم اغبيا جاهلون
وعن التوفيق معزولون وهم عن المعقولات معرضون وهم مستهزون
لا يستحيون من خالقهم ولا يتادبون مع مالكهم ورازقهم فسبحان الله عما تقول
الجاهلون وعما ينسبه اليه المبطلون بل هو الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولولا ضرورة الحال ورجا قمع اهل الضلال
لما استجزت حكاية مثل هذا المقال فانا استغفر الله ذا العظمة والجلال انه
ذو العفو والافضال ولا بد مع ما تقدم ان نطالبهم اجمعين بصحة الدليل الذي
حملهم علي ذلك القول الغث المهين حتي نبين تحكماتهم ويظهر لكل احد
ترهاتهم فاقول لجميعهم ما الذي دلكم علي القول بالاتحاد والتورط في الضلال
والالحاد فستعلم انهم قد اختلفت مسالكهم في ذلك فمنهم من قال
انما قلنا بذلك تقليدا للانجيل وحذرا من المخالفه والتبديل كما قال هذا
السايل ومنهم من قال انما قلنا بالاتحاد لان عيسي ظهرت علي يديه افعال
لا ينبغي الا للاله من احيا الموتي وابرا الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين
وهذه افعال لا يقدر عليها الا الاله وهو قد قدر عليها فهو اذا الاله ومنهم من
قال انما صرنا الي ذلك لكون عيسي لم يخلق من الما الدافق الكاين عن ابوة

ولا

ولا خرج من شهوة ادميه بل خلق الله ناسوته من غير اب ليكون واسطا
بينه وبين خلقه وليستخرج لكلمته وربما قال بعضهم السم تقرون في كتابكم
انما المسيح عيسي بن مريم رسول الله وكلمته القاها الي مريم وروح منه وهذا
عين ما انكرتم علينا من الاتحاد فان عيسي رسول الله وكلمته فناسوته رسول
الله ولاهوته كلمة الله علي ما اخبركم به كتابكم فنقول لمن قال بذلك تقليدا
للانجيل جوابك قد تبين فيما تقدم اذ قد تقدم ان فهم الاتحاد منه بالمسيح باطل
وان المصاير الي الاتحاد بعد الوقوف علي ما تقدم معاند جاهل واما من
استدل منهم علي ذلك بما ظهر علي يدي المسيح من خوارق العادات فنقول له لاي
شي قلت انها تدل علي الالاهيه ولم تقل انها تدل علي ما كان يستدل هو بها من
رسالته فقد حكي في الانجيل ان عيسي لما دعا الله ليحيي له العازر ومعه جماعة
من الخلق فقال رب اعلم انك تعطيني كل شي ولكن اقول من اجل الجماعه
الواقفه ليومنوا بي وليصدقوا انك ارسلتني فهو قد استدل باحيا الموتي
علي رسالته وانتم تستدلون بذلك علي الالاهيه فيلزمكم من هذا الاستدلال
العدول عن شرع عيسي المنقول ومصادمة المعقول ثم نقول لهم كيف ينبغي لكم
ان تقولوا بهذه الافعال العجيبه تدل علي انه لاهوت وانتم تقرون في كتبكم ان
عيسي اذا اراد شيا مما ذكر تضرع الي الله ورغب اليه بخضوع وتذلل حتي
يقضي الله حاجته وهذا موجود في كتبكم كثير فيها وكفي دليلا علي نفي ما تنسبونه
اليه قوله حين صلبه بزعمكم الهي الهي لم اسلمتني وقوله قبل ذلك يا ابتاه
ان كانت هذه الكاس لا تقدر تجاوزني حتي اشربها فلتكن ارادتك وهذا كله في
سجوده وفي هذه المواطن قال يا ابتاه ان كان ممكنا فليذهب عني هذه الكاس
وفي انجيل يحيي قال في هذا المقام سبلق ان الان ماكتب له ثم قال بعد
ذلك يا ابتاه انك قادر علي جميع الاشيا فرج عني هذه الكاس فهذا كله
يدل دلالة لا شك فيها انه انما كان يفعل ما يفعل باذن الله اذا اراده الله واقدره
عليه وانه انما كان يتفق له ذلك بعد ان يتضرع ويرغب الي الله تعالي وربما كان
يسال امورا لا يعطيها الله لما سبق في علم الله انها لا تكون منها ما تقدم

حيث سال الله ان يدفع عنه امر الصلب والقتل فلم يجب لذلك على زعمكم
ومنها ان اليهود كانت تطالبه بمثل بعض معجزات موسى بن عمران
فلا يجيبهم لشي وسياتي لهذا مزيد في باب النبوات واعجب من ذلك
كله ان في انجيل يحيى ان عيسى قال لليهود لست افعل من ذاتي شيا لكني
احكم بما اسمع لاني لست انفذ ارادتي بل الارادة الذي بعثني الى ما في كتبكم من هذا
الذي قد عميتم عنه ولم تسمعوا لحو فامنه فتارة يغنيهم على وجه الاستدلال
واخرى بصريح المقال وتاره يسال فيعطي ويجاب واخرى يسال فلا يرد عليه
جواب وحينا يتبرا من شيته واخرى يعترف بذلته وعبوديته ثم هولا القوم
مع ذلك يقولون هو الهنا ومحيينا وخالقنا فهولا بكم كالانعام وصم كالاصنام
فما لهولا القوم لا يكادون يفقهون حديثا ثم نقول ان كان احيا الموتى يدل
على الالهيه فلاي شي لا يقولون ان اليسع والياس كانا الهين وانه حل
وان
بناسوتهما اللاهوت وشانهما في احيا الموتى لا يقدر احد على دفعه ولم لا تعتقد
النبي حزقيل اذ فر قومه وهم الوف حذر الموت فاماتهم الله ثم جاهم نبيهم
فقال لهم لتحيوا باذن الله فحيوا ورجعوا الى قومهم سحنة الموت على وجوههم
حتى ماتوا باجالهم وهذا معروف عندهم ومالا مدفع فيه وان انكرتم وجود شي
من ذلك نزلنا معكم الى ما في الكتب المتقدمة من بعض الانبيا وكتبهم وهذا لازم
لهولا القوم لا ينفك عنه احد منهم ابدا ثم من عجيب امر هولا القوم انهم يزعمون
ان عيسى عليه السلام ايد نفرا من الحواريين باحيا الموتى وجعلهم رسلا الى الاجناس
فاحيوا الموتى بزعمهم فما الذي اوجب ان يكون المسيح في حال الالهية قد ايد بذلك
بشرا وجعله رسولا الى الاجناس كما زعموا وما الذي منع ان يكون الله عز وجل
يويد بذلك بشرا ويجعله رسولا الى الناس فان كان المسيح من اجل ان احياه
ميتا هو الله فكل من احيا ميتا من الحواريين يوجبهم هو الله ثم كل خارق للعادة
يجعلونه دليلا على الالهيه فانهم يعارضون بمثل ذلك في حق غيره من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام ويدعي الالهيه فلا يجدون فصلا بينهم وبين من يعارضهم
واما من يستدل على ذلك بانه خلق من غير اب فيلزمه ان يعترف لادم بالالهيه

فانه

فانه لم يخلق من نطفة اب انما خلق من تربة ارض ثم نفخ فيه من روحه كما فعل
بعيسى عليه السلام خلقه من نفخة الملك فعلقت مريم فنشا منها وفيها فتربه
بمنزلة اللحمة ونفخه بمثابة نفخة هذا مما لا مخلص منه ولا خروج عنه ثم اكرمه الله بانواع من
الكرامات لم يكرم بها غيره منها انه اسجد له ملايكته واعلمهم بما يعلمهم حتى
جعله رسولا اليهم وكفى بهذا شرفا الى ما هنالك من خصايصه وفضايله بل لو
امكن لاحد ان يقول ان بشرا يتصور ان يكون الها لكونه من غير اب لكان
ادم اولى بذلك من حيث انه لم تشتمل عليه وضار الرحم فقد شارك المسيح
في كونه من كونه من غير اب وزاد عليه انه من غير ام لم يتكون في ظلم الرحم ولم
يتلطخ بدم الطمث ولا خرج من مجرى البول هذا مع الاعتراف بان ذلك
كذلك ولم يختلف في ذلك احد اعني في ان ادم مخلوق من غير ابوين وقد
خالفتكم اليهود لعنهم الله في كون الهكم المسيح من غير اب واطلقت القول على
مريم البتول المبراة عند الله مما قالوا بما قد علمتم فلعنهم الله وغضب عليهم
فلقد كذبوا وانما اسمعتكم هذا لتعلموا انا نعرف حماقات اليهود لعنهم الله
في عيسى وامه عليهما السلام وانا ننزههما عما قال فيهما المبغضون لهما
لا الغالون فيهما فما احل بكم لو شا الله توفيقكم ان لو قلتم فيهما الحق الذي ينبغي لهما
ان الله جعل عيسى وامه اية للناس عبدا ورسولا وصديقة مباركة ثم نقول
للمستدل بما تقدم يلزمك على استدلالك ان تكون حوا ام البشر الها فانها لم تخلق
من ابوين ولا من نطفة وانما خلقها الله من ضلع من اضلاع ادم لم تتكون في ظلمات
الرحم ولا نشات بين الاقذار والاوضار وخلقها من ضلع ادم كخلقه من تراب
ولا فرق وانما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون واما استدلالهم بما في
كتابنا من قوله تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه فلا حجة لهم في ذلك لوجوه احدها انهم لا يصدقون بكتابنا ولا يستدلون
به على شي والثاني انهم ان استدلوا على غرضهم بشطر هذه الاية فان صدرها
يرد عليهم استدلالهم وكذلك الايات التي بعدها قال الله تعالى في كتابه العزيز
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد مخاطبا لهم وردا عليهم

يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا
تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا الزام بعينهم يقول لهم حين صار اقنوم العلم لعيسى كيف
ما صار هل بقي الرب تعالى كما كان قبل ذلك او اختلفت حاله فان كان بقي كما كان
قبل فلم يصر لعيسى منه شي وايضا فلو صار اليه بعض اقانيمه لبقي ناقص
الاقانيم فتبطل الالهية فان حقيقته عندهم واحد ثلاثة اقانيم واما ان
اختلفت حاله فيلزم عليه ان يتغير من العلم الى الجهل ومن القدم للحدوث
وهذا كله على الله محال ومرتكبه في بحبوحة الضلال الزام اخر نقول لهم حين صار
اقنوم العلم لعيسى فهل بقي الباري تعالى عالما بذلك الاقنوم او غير عالم باطل
ان يقال بقي غير عالم لاستحالة الجهل عليه وباطل ان يقال بقي عالما بذلك
الاقنوم اذ لو كان ذلك للزم منه ان لا يصير الى عيسى ويلزم منه ايضا
ان يكون علم واحد بمحلين ولو صح ذلك لصح ان يكون الواحد منا موصوفا
بنصف علم وذلك محال فان العلم الواحد لا يتبعض ولا ينقسم اذ العلم
الواحد انما يعقل في محل واحد بمعلوم واحد في زمان واحد فيما يقبل الزمان
والتعدد وباطل ايضا ان يقال انه يكون عالما بعلم اخر فانه يودي الى حدث
الاقانيم بل الى حدثه وذلك كله محال الزام اخر يظهر تناقضهم وذلك انه
قد تقدم من مذهبهم انهم قالوا في الاقانيم انها غير متباينة ولا متفرقة ثم
انهم قالوا ههنا ان اقنوم الابن اتحد بناسوت المسيح دون اقنوم الاب
وروح القدس فمفهوم هذا ان الابن اتحد بناسوته وبقي الجوهر وروح القدس
لم يتحد به هذا التصريح بالمباينة والمفارقة فان بعض هذه الثلاثة وجب له امر دون

صاحبه فلو لم يباينها ولم يكن غيرهما ما وجب له من الحكم ما لم يجب لهما ولا
تناقض اظهر من هذا وقد كنا اظهرنا اضطرابهم في هذا في باب الاقانيم
ثم نقول تحقيقا لالزام الجميع هذه الاقانيم اما ان تكون مباينة للجوهر مفارقة او لا
تكون كذلك فان كانت مباينة لزم ان يكون زايدا عليه ولزمكم ايضا اخراجها
عن كونها اقانيم ويلزمكم رفع التوحيد الى محالات كثيرة عندكم وان كانت
غير مباينة لم يصح اتحاد بعضها دون بعض بل لو اتحد بعضها لاتحد جميعها
فيلزم على هذا اتحاد العلم والقدرة والارادة والوجود وهذا بين لا خفا به الزام
اخر نقول لهم لاي شي قلتم ان الذي اتحد بناسوت المسيح انما هو الابن فقط
ولاي شي لم تقولوا انه اتحد به الاب وروح القدس ولو قلتم ذلك لكان احرى
على ما اصلتم من الاقانيم لا متباينة ولا مفترقة فان قالوا انما قلنا باتحاد الابن
لان عيسى انما ارسله الله ليعلم الناس شريعتهم ويخبرهم بالمغيبات عنهم
ويعظهم وذلك كله انما يصح بالعلم فنقول لهم هذا الذي ذكرتم مسلم لكم جدلا لكن
لم قلتم انه انما اتخذه الله لهذا فقط بل اتخذه لهذا ولامور اخر منها ليعبده
ومنها ليبري مرضى كانوا قد اعيوا الاطبا واراد الله شفاهم على يده ومنها انه
اراد احيا موتى على يديه فيحصل من هذا امران احدهما ان هذه معجزات
تدل على صدقه والثاني ان من ابراه افاق من مرضه وجذامه وجنونه وبرصه
فانتفع بذلك وكذلك حصل للميت الذي حيي وزايدا على ذلك ان الميت
امن به فادخله الله الجنة بايمانه برسوله وهذه الامور كلها لا يمكن انكار ان يكون
كل واحد منها مقصودا لله تعالى واذا امكن ان يكون كل واحد منها مقصودا فلم
اقتصرتم على مقصود واحد مع امكان هذه المقاصد واذا تقرر ذلك حصل منه
ان الله تعالى اتخذه لما لا يصح الا بالعلم والقدرة والارادة والحياة فقولوا ان هذه
الاقانيم اتحدت به وهذا لازم لا محيص عنه ولا جواب عليه ثم يلزم على هذا ان
يكون كل شي ارسله الله تعالى يتحد به العلم فان هذا الذي استدللتم به في حق
عيسى موجود في حق غيره من الرسل اذ كل واحد منهم انما ارسل معرفا بشرع
الله ومبلغا رسالاته ومخبرا بوعد الله ووعيده فيلزم على هذا ان يتحد العلم

بكل رسول الزام اخر قد تقرر ان عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه
والابرص ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طايرا باذن الله فاذا قلنا هذا
فاما ان يكون عيسى هو الذي يفعل ذلك او غيره فان كان غيره فليس
ذلك الا الله تعالى وغاية عيسى ان يكون عبدا يرغب الى الله تعالى في قضا حاجته
ثم ان الله تعالى يفعل ما يشا عند تحديه بالنبوة تصديقا له في دعواه وعيسى
ينتظر الى ذلك ويتعجب عنده لكن من فعل الله ولطيف صنعه وهكذا كان حال
موسى عند ما امره الله تعالى بالعصى فقال له القها فالقاها فاذا هي حية تسعى فلما
راها على حال لم يعرفه منها هاله ذلك وولى مدبرا خايفا وذلك لما شاهد من قدرة الله
فلما فزع منها قال الله له خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واذا قلنا
ان عيسى هو الله يفعل ذلك فاما ان يفعله بقدرة وعلم وارادة او لا يحتاج
الى شي من ذلك باطل ان يقال انه لا يحتاج الى شي من ذلك لان الفعل الاختيار
لا بد له من هذه الامور بالضرورة على ما يعرف في موضعه فلم يبق الا ان يفعل
ذلك بقدرة وعلم وارادة وهذه الصفات هنا شروط الفعل ولا بد ان يكون
منسوبة له ويكون هو موصوفا بها فان لم يكن هو موصوفا بها ولا تنسب اليه
فلا ينسب الفعل اليه وقد سلتم الفعل اليه فدل ذلك على انه موصوف بها
وينسب اليه كلها واذا ثبت ذلك فليس من يسلب عنه القدرة والارادة
ويقول هما صفتان لله وليستا بصفتين لعيسى فاسوا حالا ممن يسلب
العلم ويقول هو علم الله تعالى وليس له علم عيسى مع انه صفة عيسى فيلزم من
هذا البحث ان هذا الفعل المنسوب الى عيسى موجود عن علم وقدرة وارادة ٥
وان هذه الثلاثة انما تنسب لواحد فاما لله واما لعيسى ولا يجوز عقلا ان ينسب
بعضها لله وبعضها لعيسى فان هذه الثلاثة منوط بعضها ببعض في المحل
او الجوهر الذي يجب لاحد هذه يجب للباقي وهذا مما لا خفا به عند العاقل الموضوع
الزام اخر قد تقرر عند هولا القوم ان علم الله اتحد بعيسى ولا خلاف بين
جمهورهم في هذا المعنى وان اختلفت عباراتهم عنه فعيسى عالم والله تعالى عالم
بعلم واحد فقد اتحد اقنوم العلم وتعدد المحل فاذا ثبت ذلك لزم ان يكون عيسى

عالما بكل معلومات الله ويكون الله تعالى عالما بكل معلومات عيسى فانهما عالمان
بعلم واحد فاذا علم الله نفسه خالق المخلوقات ينبغي لعيسى ان يعلم
نفسه خالق المخلوقات كذلك لان علمهما واحد وكذلك اذا علم الله نفسه قديما باقيا
موصوفا بصفات الكمال ينبغي لعيسى ان يعلم نفسه كذلك واذا علم نفسه
متغوطا وبايلا ومصفوعا ومتوجعا بالشوك ومصلوبا في خشبة ومسمرة يداه
ورجلاه فيها فينبغي لله تعالى ان يعلم نفسه كذلك تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا وهذا الكلام لازم على هذا المذهب السخيف الفاسد الضعيف
الزام اخر اتفق النصارى القايلون بالاتحاد على ان عيسى لاهوت وناسوت
فبما هو لاهوت يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص والمرضى وغير ذلك وبما هو ناسوت
يجوع ويعطش ويبول ويتغوط ويفرح ويالم ويحزن ويلتذ ثم انهم
يعبدون ناسوته ويجعلونه الها فهم بين امرين اما ان جسده المتغوط
البايل اله او هو شطر اله فان قالوا ان جسده اله فكفى شناعة وهجانة اله
بايل متغوط مصلوب وان قالوا انه الاه بما حل فيه من الاله فكان ينبغي لهم
ان يقولوا انه نصف اله ولا يعبدون جسمه ولا يسجدون لجثة
وان قالوا يا الهنا المسيح قالوا امكان يا الهنا يا نصف الهنا او يا ثلث الهنا
فانه اتحد به احد الاقانيم الثلاثة والواحد من الثلاثة ثلث وهذا كله جهالات
وتواقحات منهم الزام اخر وذلك انهم اتفقوا على ان المسيح صلب وقتل بالنحو
ورفع فوق الخشبة بعد ان اهين وصفع ووضع على الشوك وسمرت يداه ٥
ورجلاه في الخشبة وقد جا كل هذا في اناجيلهم كما زعموا افنقول لهم الوقت
الذي اهين فيه وصفع ورفع على الخشبة وسمرت يداه هل كان متحدا به اللاهوت
او زال عنه فان كان متحدا به اللاهوت في تلك المواطن فقد ادرك لاهوته
من المذلة والاهانة والنحو والموت ما ادرك ناسوته لا سيما وقد التزمتم
فيما تقدم ان اقنوم العلم متى فيلزمكم على هذا ان تعبدوا الاها ذليلا مهانا
يبخر ويموت وكفى بهذا خزيا وفضيحة وان قلتم انه فارقه فاذا جاز ان يفارقه
في موطن جاز ان يفارقه في كل موطن وهذا ما يابونه ويلزم عليه ان فارقه

في كل موطن ان يكون جاهلا وان لا يكون آلها فبعيد ودون ما لبس باله وقد خرجنا
مع هولاء الجهال بمخالفتهم المستهترين بادبانهم الي حد الاكثار وفارقنا شرط
الاختصار وانما اطنبنا في هذا الفصل وان كان لا متمسك لصاحبه ولا اصل
لكونهم متفقين عليه ومتبجحين به ومحومين نحوه ولا يظن الظان ان هذا المذهب
الذي ارتكبه هولاء القوم في الاقانيم والاتحاد انه يحتاج في ابطاله الي نظر
واجتهاد بل العقول بادا بها تشهد بفساده كان الحس يدرك بياض الجسم
من سواده وهولاء معاندون للضروريات جاحدون ومن كان حاله كذلك
انما يتكلم معه بضرب الامثلة مما من المدارك وتعديد الالزامات وتكثير المسالك
لتبيين الانحام وتلقي بدا الاستسلام وقد قدمنا العذر علي ذلك كله في اول الكتاب
والي الله ارغب في الهداية والصواب وحسن المنقلب اليه والماب

الفصل السادس في حكاية مذهب العشتيين

اذ هو زعيم
القسيسين تذكر ان شاء الله في هذا الفصل كلام هذا المذكور الواقع له في
مصنف العالم الكاين ونحكي الفاظه من غير زيادة ولا نقصان الا اني اختصر
من كلامه ما لا تدعو ضرورة سياق الكلام اليه من غير اخلال بلفظ ولا نقص في
معناه وربما قدمت واخرت وانما خصصته بالكلام معه في فصل مفرد لغرضين
ان هذا السايل علي مذهبه يعول واياه يقدر ومن كتابه ينقل الا انه مع ذلك اخل مفهوم
كلامه وخالفه في سياقه ونظامه وربما ترك مذهبه لسوء نظره وهو يظن انه يمشي
علي اثره وسيتبين ذلك والثاني ان النصارى معولون علي معرفته ويتعبدون
لرقي قومته وفصاحته علي انهم هواعوهم بسلك النظر واحواهم علي مناهج العبر
لكنه بعون ربانه من جهين عوراه وغطنه تبراه قال العشتي قد اجمعت الملل الثلاث
علي ان الله كلم موسى تكليما واجتمعت علي ان موسى سمع صوتا يقول له انا
ربك فاخبرونا اتومنون بان الصوت الذي سمعه موسى هو ذات الرب وان
الرب في ذاته مسموع ام تقولون ان الرب اسمع موسى صوتا علي ما ثبت
من رفع وخفض وغلظ ورقة وانه ابتدا الصوت متي شا وقطعه متي شا
وانهي الي موسى من ارادته ما شا فان قالوا ان الصوت نفسه هو الرب وان الرب

مدارك

مدرك بالسمع فقد صرحوا عن مذهبهم في نفي التشبيه وان قالوا ان الصوت
من فعل الله وان الله خلق الصوت علي ما وافقه واظهر فيه من ارادته ما شا
وان الصوت قد كان له ابتدا ومنتهي وان الله الخالق له لا ابتدا له ولا منتهي
قيل لهم فقد ثبت ان الصوت الذي سمعه موسى كان مخلوقا فكيف جاز
لموسى ان يقول سمعت الله وان قالوا مقام الصوت من الله مقام صوت
الانسان من الانسان وانا نسمع صوت انسان فنقول سمعنا فلانا وكذلك
وجب علي موسى لما سمع صوت الله ان يقول سمعت الله قيل لهم فقد اقررتم
ان الصوت من فعل الله كما ان صوت الانسان من فعل الانسان ولستم تقدرون
ان تقولوا اذا سمعتم صوت رجل سمعنا ذاته لم يرد لذلك الصوت الذي
ابتداه وخاطب به ولكنكم تقولون سمعنا صوت فلان وسمعنا فلانا
اذا سمعتم فعله وكذلك من سمع صوت الله وجب ان يقول سمعنا الله
لان الله خلق الصوت وجعله حجابا بالارادة التي اظهرها فيه فقد ثبت ان الناس
لا يسمعون الرب الا بصوت مخلوق علي ما يشبه تعارفهم يكون حجابا فيما
بينهم وبينه والواجب عليهم ان يخاطبوا الصوت باسم الذي الصوت له كما
ان الصوت انما خاطبهم عن الله وشبه ذلك يلزمهم في كل ما يشبه التجديد مما وقع
في كتب الملل الثلاثة من التشبيه بالعالم ووصفه نفسه بالعين والوجه والفم
ولا يمكن جحد ذلك وقد رضي ان ينسب الي نفسه مثل كلامهم وان يخاطبهم في
مثل الغنم وقد ثبت انه اتخذ التشبيه حجابا بينه وبين خلقه ثم قال بعد ذلك
كلاما معناه كما جاز ان يتخذ صوتا ويجعله حجابا بالارادة حتي اظهرها فيه
كذلك يجوز ان يكون قادرا علي اتخاذ اي صورة شا وان يظهر لعباده في اي
حلية واحدة وتلك الصورة ملك له يبدلها كيف شا الا انا ان قلنا انه لا يقدر ان
يسمع عباده صوتا ولا ان يظهر لهم بصورة فقد ازلنا عنه القدرة علي كل شي
ثم قال بعد ذلك فعلمنا ان الحجاب مخلوق وعلمنا ان الله خالق كل شي ووجب
علينا اكرام الحجاب حيث انزل الله المحتجب به لانا متي لم ننزل كل شي علي
ما انزله عليه فقد عصينا لانا لا نجد بدا من ان نكرم الملايكة كما نكرم الشياطين

ونكرم الصالحين ما لا نكرم الفجار وهكذا فلابد ان يكون شي اعز من شي وشي اقرب
الى الله من شي حتى يكاد شي في العز ان يتصل بخالقه ويكون اعز الاشيا ويكاد
شي ايضا ان يكون في الهوان بحيث لا يكون شي تحته والواجب على العارف
بالله تعالى ان ينزل كل شي منزلته بحيث اثر الله وليسميه بما سماه الله فان اقر بان
الله خاطب بصوت مسموع او ظهر في صورة مرئية فقد اقر بان اخص ذلك
الصوت في تلك الصورة بما لم يخص به شيا من المخلوقات وان الواجب على الذي
سمع ذلك الصوت ان يقول سمعت صوت الله ومن راى تلك الصورة ان
يقول رايت صورة الله ولهذا وجب على موسى اذ سمع صوت القايل انا ربك
ان يجاوبه فيقول يا انا يارب وكذلك في مخاطبته لجميع الانبيا الا ان لم يقل انا
صوت الله وانا خاطب عن الله وانما الله خاطب به فقال انا الله والواجب
ان يخاطب مثل ما خاطب به ومثل ذلك يجب في الصورة ومن ظهر له الله
في صورته كما ظهر لاشعيا ولدانيال فقد وجب عليه ان يسجد للصورة وان
يخاطبها باسم الله ان علمه بان الله خص تلك الصورة بالاتحاد بها والاحتجاب
بها ضام له الى عبادته فيها لانه قد رضي ان يري فيها ويعبد بها وقد علمنا ان الله
خلق الصوت الذي سمعه موسى كما علمنا ان الله خلق جميع الاصوات
ولكن وجب علينا الاقرار بذلك الصوت بالربوبية ما لم يجب لغيره لعلمنا ان الله
تعالى ولي المخاطبة بذلك وكذلك يجب في الصورة ان نخصها من الاكرام بما خصها الله
به ومن قال انه لا يجب ان يخاطب الصورة باسم الله ولا ان يجاوب الصوت
باسم الله فقد قال انه لا يجوز ان يتخذ الله صورة ولا ان يسمع صوتا واذا وجب اكرام
الحجاب باكرام المحتجب به فلم يبق علينا في الكلام شي الا في الحجاب الذي اتخذ منا
وهو المسيح والاستشهاد بالتوراة والانجيل في امره الا ان انقدم القول في ذلك
بالقياس لئلا يستشهد بالكتاب الا فيما كان داخلا تحت الامكان ثم قال فاذا وان
لم يوجب القياس ايجاب الاضطرار فانه يجوزه تجويز الامكان لان القياس الذي
فضل الانس على جميع خلقه وخاطبهم بمثل لغتهم وشبه بهم في مخاطبته خلق
كل شي لهم ومن اجلهم واوجب لهم البقا معه في رضوانه وان لا يكون دونهم

ابدا

ابدا وانه ظهر لهم بحجاب مخلوق فتشبه لهم بنعت محدود فغير ممتنع فيه
ولا يبعد ان يكون حجابه فيما بينه وبينهم منهم ومماثلا لجنسهم ونزوله الى مخاطبتهم
في مثل لغتهم هو نزوله الى الظهور لهم في مثل صورتهم لان اتحاد الصورة مثل
اتحاد الصوت ثم قال شواهده الواضحة كثيرة من ذلك قول ارميا النبي
حيث يقول مناجيا لله يا رجا اسرايل ويا مخلصه من الغم لم تكون في
المستقبل كالغريب في الارض وكالمسافر يعدل الى المبيت لم تكون في
المستقبل كرجل صالح لا يتوا يخلص وقول اشعيا النبي حيث يقول ان العذرا
ستحبل وتلد ولدا ويدعى ولدها عجيبا مدبرا الاها قويا والدا مستقبل الدهر العالم
بكثر ملكه ولا يكون لسلطانه انقطاع ولا اخر وقوله ايضا من ذا يقبل خبرنا
امن ذا ظهر له ذراع الرب ثم وصف انه ظهر ضعيفا محتقرا وانه يهدي
نفسه الى القتل طوعا ووصف خبر المسيح ظاهرا كما كان وقول يعقوب
لبنيه حيث يقول لا ينقضي الملك من سبط يهوذا ولا يزال منهم امير حتى
ياتي الذي هو مرسل وهو يكون رجا الاجناس وكذلك لم ينقطع الملك
عنهم حتى اتى المسيح هذا ملخص كلامه وزبدته في عدة ابواب من كتابه المتقدم
الذكر من غير ان اخرج عن لفظه الا الفاظا يسيرة يتصل بها الكلام ولا
يتغير المعنى **ونحن نجاوبه محاورة على طريق البحث والمناظرة** اما قوله
اجمعت الثلاث ملل على ان موسى سمع صوتا يقول انا ربك فهذا قول كذب
يبنى على غفلة او جهل وذلك ان الذي اتفقت الملل عليه انما هو ان الله كلم موسى
وان الله تعالى متكلم واما انه متكلم بصوت او سمع موسى صوتا من الله
فهذا شي اختلفت فيه الملل وتباينت فيه النحل واكثر اهل الملة الحنيفية
يابى ذلك ويخطي من صار الى ذلك اعني من صار الى ان البارى تعالى يكون
متكلما بصوت وان موسى عليه السلام لم يكلمه الله بصوت وانما كلمه بكلامه الذي
هو وصفه الذي ليس بصوت ولا حرف على ما تقرر بيانه مما تقدم فهذا
الرجل الحاكي هذا القول اما ان يكون علم اختلاف الملل فيما ذكر فيه اجماعا
او لم يعلم فان كان علم فقد كذب واذا عرف من احد من الناس الكذب

فينبغي ان لا يلتفت اليه ولا يعول عليه فينبغي لكم ان لا تعولوا على شي من نقله
لامكان ان يكون كذب فيه كالكذب في هذا وان كان ذلك القول منه عن جهل
فهذا اكبر في حقه من جهتين احدهما انه اقدم على الاخبار عما لم يعلم ولم يتحقق من
غير بصيرة وليس هذا فعل العلما ولا الاكياس الفضلا وكفى بالمرء كذبا واثما ان يحدث
بما لم يعلم صحته والجهة الثانية انه جهل امرا معلوما على القطع صار اليه وعمل على
مقتضاه انهم لا يحصون كثرة منذ مشى النصير ولا يجمل بمن تعاطى نصرة المذاهب
والكلام مع اربابها ان يجهل مثل هذا واذا جهل هذا فهو بما هو اخفى من هذا اجهل
فهو بين امرين اما ان يكذب متعمدا فلا تثقون بقوله او يجهل امرا جليا يدرك
بادنى بحث والسلام فلا ينبغي لكم ان تقلدوه في نظره وعلمه وانما ذكرت هذا لتعلموا
ان عمدتكم القصارى على هذا الرجل في مذاهبكم فبقوله تحكمون وبه تحتجون وله تقلدون
وعليه تعولون فهو وهم كرجل اعمى ادعى انه بصير باستقادة عمي تقادهم
فسقط في حفرة فسقطوا لسقوطه واشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل
نبيا او قتله نبي وامام ضلالة انما كان ذلك لان عليه وزرها ووزر من عمل بها
فيكون لمن مات ومات معه ذنوبه واما قولكم فان قالوا ان الصوت نفسه
هو الرب وان الرب مدرك بالسمع فقد خرجوا عن مذهبهم في نفي التشبيه
فهذا نص من كلام هذا الرجل ان الصدا ليس بالرب وقد قال قبل الذي
جاوبناه قبل هذا انه اقر له بالربوبية وظاهر هذا متناقض لقول امامه ثم نقول
لهما قد اتفقتما على ان الصوت مخلوق وان الله تعالى ليس بمخلوق فهذا الصوت
المخلوق اما ان يكون ربا غير الله او ليس برب فان كان ربا غير الله فيلزمكم
ان تعبدوه بعبادة خاصة غير عبادة الله بل هو اولى بالعبادة من ناسوت
المسيح اذ يتغوط ويبول ويصلب على قولكم الى غير ذلك مما عددناه وذلك الصوت
لا يليق به شي من ذلك وذلك كله جهل وقد الزمناهم على ذلك مناقضات
لا محيص عنها فيما تقدم وان كان هذا الصدا ليس برب فيلزمكم على قولكم ان يكون
موسى خاطب بالربوبية من ليس برب وذلك لا يليق به وهذا على قوله ان المخاطب
هو الصدا لازم ضرورة ثم ما اعجب امرها ولا القوم يقولون بتشبيه الله بخلقه

ويجعلون

ويجعلون نفسه قاعدة يرجعون اليها بزعمهم ثم يلتزمون من التشبيه في حق الله
تعالى ما لم يقل به من المشبهة احد وذلك انهم قالوا ان الله تعالى متكلم بصوت
هو من قبيل الصدا وهو مخلوق مقطع بالحروف وهو مع ذلك يخاطب بالربوبية
وهذا هو التشبيه الذي فروا منه وزيادة عليه ولقد اوغل في التشبيه كبيرهم
اغشتين وان كان عن اصل التشبيه لمعرضين وذلك انه جوز بغفلة
بزعمه ان يتخذ الباري صورة يحل بها ويظهر فيها ويسجد لها ومن راى تلك الصورة
يقول رايت صورة الله فانه قد راى الله ولا تشبيه اعظم من هذا بل المشبه احسن
حالا منه وذلك انهم اعني المشبهة بنوا امرهم على ظواهر الشرايع فاثبتوا
ما اثبتته الشرايع وما قالت الانبيا وما جا في كتب الله مصدقين لها غير
منحرفين عن ظواهرها ثم عزلوا عقولهم فلم ينظروا بها فبقوا على جمود التقليد
وثبتوا على صميم الاعتقاد والتوحيد ومع ذلك فهم يعظمون الله ويقرون بانه
لا اله الا الله وما صرح فيه بالتزام التشبيه قوله صوت الله من فعل الله كما ان
صوت الانسان من فعل الانسان ولا معنى للتشبيه الذي نفي الا هذا فهذا تناقض
ظاهر فانه تارة نفى التشبيه وتارة اثبته ثم قوله يصرح بان حقيقة المتكلم من
فعل الكلام وهو خطا بل حقيقة المتكلم من قام به الكلام والدليل على ذلك ان
حقيقة المتكلم تعم بكمالها مع فرض الغفلة والذهول عن كونه فاعلا للكلام ولو كان
حقيقة المتكلم من فعل الكلام لما فهمت حقيقة المتكلم حتى يفهم كونه فاعلا للكلام
على ما يعرف في موضعه ولو كانت حقيقة المتكلم من فعل الكلام لكان الباري
تعالى متكلما بالكلام الذي يقوم بنا فانه فاعل كلامنا وخالقه على ما يعرف
في موضعه وذلك محال وليعلم ايها الناظر في هذا الكتاب ان كل ما ذكره
القس في هذا الفصل انما هو مبني على انه تعالى متكلم بحرف وصوت وقد
ابطلنا ذلك فيما تقدم حيث قلنا ان كلام الباري تعالى ليس بصوت ولا
حرف وانما هو وصف له قايم به ليس بحرف ولا صوت كما نبهنا عليه واذا
بطل ذلك بطل كل ما انتحله في هذا الفصل من الهذيان وانما كلامنا معه بعد
ذلك على طريقة المناظرة الجارية بيننا وذلك ان ارباب النظر انما يسلمون ما هو

معلوم الفساد ليتبين تناقض الخصم وتحكمه بالعناد وكذلك نفعل بهذا الرجل
بعون الله فنقول له لاي شي قلت ان الله اتخذ الصوت حجابا لاظهار ارادته
واتيت بلفظ الحجاب ولو قلت ان الله جعل الصوت دليلا على ما اراد لارتفع
التلبيس وزال الابهام الذي اوهمت فانك اوهمت بلفظ الحجاب ان الارادة
احتجب به واتخذت معه حتى ظهر بواسطته فحجب بلفظ الحجاب
والظهور واوهمت وانت ما حصلت على فايدة ولا وجدته ومما يبين ان هذا
الذي ذكرته انما هو تمويه لفظه ليس وراه معنى انا نبدل لفظ الحجاب بالدليل
ولا نبقي مما اوهمه شي فانا تمكننا ان نقول ان الصوت الذي خلقه الله تعالى
جعله دليلا على ارادته على قوله انما هو بمثابة ان لو خلق خطوطا في حجر يستدل
بها المستدل على ارادته اذا قراها فلا تمكن لعاقل ان يقول ان الارادة احتجبت
بخطوط ذلك الحجر ولا اتحدت به فان الارادة لا تقوم بجماد وهذا بين بنفسه
وكذلك لو كتبنا لفظ النار في ورقة لما تخيل عاقل بل غافل ان ذات النار
حلت في الورقة اذ لو حلت النار في الورقة لاحترقت وكذلك الصوت المقطع
حروفا انما هو دليل على ما في النفس من غير ان يحل ما في النفس في الصوت
ولا ان يتحد به واذا فهم هذا ارتفع كلما توهمه هذا المخدوع بالضرورة ثم نقول
له نسلم جدلا ما ذكرته من لفظ الحجاب والظهور لكن لم قلت انه اذا صح ان يظهر ارادته
بحجاب الصوت جاز ان يظهر ذاته بحجاب الصورة وما الدليل على ذلك واي جامع
بينهما فان قال الدليل على ذلك ان الله قادر على ذلك كما هو قادر على حجاب
صوته فانه ان لم يكن قادرا على اظهار ذاته بصورة فيكون عاجزا والعجز عليه محال
فهذا هو الدليل واما الجامع فان الصوت مظهر للارادة والصورة مظهرة
للذات فيقال له اما استدلالك بان الله قادر على كل شي فاستدلال فاسد
فان الاشيا التي يقدر الباري تعالى عليها انما هي الممكنات لا المستحيلات
وهذا الذي ذكرت من ظهور الله في صورة مستحيل فلا يكون مقدورا فان المستحيل
لا يوصف الباري تعالى بالقدرة عليه ولا بالعجز عنه لاستحالة شرط تعلق
القدرة وهذا انما يعرفه من يعرف حقيقة الواجب والممكن والمستحيل ثم انا نقلب

عليهم

عليهم دليلهم ونقول لهم هل يقدر الله تعالى ان يظهر بنفسه من غير صورة ام لا
فان قالوا يقدر قلنا لهم فلا يحتاج الى الصورة التي فرضتم وان قالوا لا يقدر قلنا
لهم فيلزمه العجز فالذي تستدلون به هو الذي نستدل نحن به على ما الزمونا وقد بينا
فيما تقدم ان اتحاد الباري سبحانه بصورة ليظهر فيها مستحيل حيث ابطلنا الحلول
والاتحاد وما في معناه ونزيد الآن هنا نكتة وهي انا نقول هذه الصورة التي يظهر
فيها لا بد ان تكون متحيزة محدودة والله سبحانه فيها اما ان يكون داخلا فيها او خارجا
عنها او لا داخلا ولا خارجا فان كان داخلا فيها كان محدودا لاحاطتها به وهذا تشبيه
فانه يلزم منه ان يكون جسما وهو باطل على الله تعالى ومحال وان كان خارجا عنها
لزم تحديده ايضا لانه لا يكون خارج محدود متحيز الا محدودا متحيزا فيلزم ان يكون
بجهة من الصورة واذا كان بجهة كان جسما وهذا تشبيه وايضا فاذا كان
بجهة من الصورة التي ظهر فيها كان مفارقا لها واذا كان مفارقا لها لم يظهر فيها
وان ظهر فيها فانما يظهر بنفسه لا بالصورة واذا كان لا داخلا فيها ولا خارجا
عنها استحال عليه ان يظهر بها او فيها لان ما ليس بمتحيز لا داخل ولا خارج
لا يظهر في جسم متحيز لانه من حيث كان ليس بداخل فيها فقد فارقها واذا
فارقها لم يكن فيها واذا لم يكن فيها لم يظهر فيها ولو جاز ان يظهر في كلما ليس بداخل
فيه ولا خارج عنه لجاز ان يظهر في كل ما ليس بداخل فيه ولا خارج موجود واذا
جاز ذلك فلعله قد اتخذ الانبيا كلهم حجابا يظهر فيهم وهذا ما يابونه وهو محال
عندهم وايضا فان الله تعالى عندهم لا يرى بانفراده من غير صورة ولا يظهر
دونها فلذلك يلزم ان يبقى على حالة لا يظهر وان اوجد صورة اذ ليس بداخل
فيها ولا خارج عنها فان الصورة لا تكسبه امرا اوجب الظهور لم يكن له وهذا بين
الاستحالة اذ يلزم على ذلك تغيره عند العاقل المنصف نكتة اخرى وهي
انا نقول هل يجوز ان يرى الباري تعالى ويظهر من غير صورة ام لا يجوز فان جاز ذلك
فلم حتمتم اتحاد الصورة عليه وقلتم انه لا يظهر ولا يرى الا بصورة وان قلتم لا يظهر
ولا يرى الا باتحاد صورة فاذا وقع بصر الناظر فاما ان يقع على تلك الصورة او على
الله تعالى او عليهما فان قلتم وقع البصر على الصورة لا عليه فالمرئي الظاهر اذا هي

الصورة المخلوقة لا الخالق وان وقع البصر على الخالق وحده لا على الصورة فينبغي
ان لا يرى الصورة فان الصورة ليست هي الخالق تعالى والرائي لم ير الا الصورة
وحدها فاذًا لم ير الخالق وان وقع البصر عليهما لزم عليه ان يرى الرائي شيئين
ويظهر له امران وهو انما راى شيا واحدا بالضرورة وهو الصورة فلا معنى
لقول من يقول انه ظهر في الصورة او بالصورة وايضا فلو وقع بصر من راى عيسى
عليه السلام على ناسوته ولاهوته لم يحتاجوا ان يستدلوا على الاهيته باحيا الموتى
وغير ذلك ولما كان يحتاج هو ان يدل على اللاهوت نفسه بشي من المعجزات
وخوارق العادات اذ كان يدرك منه بالحس والعيان ذلك والمعلوم بالعيان
لا يطلب تحصيل علمه بالدليل والبرهان فحصل من هذا ان الصورة المقدرة لا يظهر
فيها الباري تعالى وان ظهرت هي فان الرائي انما يراها وحدها وهي الظاهرة
له واما الباري سبحانه وتعالى فهو بعد ايجاد هذه الصورة على ما كان عليه
قبل ايجادها لم يتبدل حاله اعني انه كان قبل ايجاده هذه الصورة قابلا لان
يظهر فهو بعدها قابل لان يظهر وان كان ممتنعا عليه ان يظهر قبلها امتنع
عليه ذلك بعدها لاستحالة التغير عليه فانه لو تغير لكان محدثا واما ما ادعاه من
الجامع فلا نسلم ان الصوت مظهر للارادة الا بمعنى انه يدل عليها لا بمعنى
الاحتجاب والظهور كما زعم واذا لم نسلم هذا في الصوت فلا يصح له قياس الصورة
على الصوت من حيث الجامع فباي دليل يحمل احدهما على الاخر فان وجود الجامع
لا يدل على ان حكم احدهما حكم الاخر اذ لا يبعد في المتماثلات في بعض الصفات
اختلافها في بعض الاحكام على ما يعرفه اهله ولو سلمنا وجود دليل الالحاق لكان قياس
جزئي على جزئي وذلك غير مقبول في القضايا على ما يعرف في موضعه وعلى
ما يقال مع اهله فظهر من كلام هذا الرجل عند العقلا انه غير مستمسك بدليل
عقلي ويتبين انه لم يستدل على صحة مذهبه بدليل نقلي فاذا بطل له المعقول
والمنقول ثبت انه بالتحكم والهوى يقول وذلك داب كل غبي جهول واما قوله
فالواجب عليهم ان يخاطبوا الصوت باسم الذي الصوت له وكذلك الصورة
يجب ان يخاطب باسم الذي هي له فنقول له قولك واجب عليهم هذا الوجوب

الذي

الذي ادعيته انه عقلي او شرعي فان قال عقلي وشرعي فلا بد من اقامة
الدليل على ذلك فان قال الدليل على ذلك العقل والنقل اما النقل فهو ان
العاقل اذا اقر بان الله خاطب موسى بصوت مسموع او ظهر في صورة
مرئية فقد اقر بان الله خص ذلك الصوت وتلك الصورة بما لم يخص به شيا
من المخلوقات اذ تجلى هو فيها واذا ثبت ذلك فالعقل يشهد بان الصورة
وذلك الصوت شريف والشريف لابد ان يعرف لشرفه وينزل منزلته
ولا اشرف من الله تعالى وما ظهر فيه الله تعالى فينبغي ان يعظم باقصى رتب
التعظيم ويعبد باجل العبادات فخرج من هذا انه يجب عقلا ان تعظم الصورة
بتعظيم الحال فيها فيخاطب باسم الرب ويعترف لها بالربوبية والالهية
واما الشرع فهذا الذي دل عليه العقل جاءت به الشرايع الا ترى ان موسى
خاطب الصوت باسم الربوبية وكذلك من راى الصورة انما يرى صورة الله
والله تعالى معظم بالشرع والعقل فكذلك الصورة ينبغي ان تكون معظمة
بالشرع والعقل الا ترى ان الشرايع قد امرتنا بتعظيم الملايكة والانبيا
وليس يخفى ان العرش اعظم من السما وان المشرق اعظم من المغرب وان المصلين
اعظم من الصالحين وهذا كله يشهد له العقل والنقل كما سبق هذا انتهى
تقرير حجته واليها اشار في كلامه وللمزيد في التقرير عليها فنقول قولك العقل دل
عليه باطل فان العقل لا يدل على التزام العبادات فان معنى العبادات
التي تفعل بحكم اللزوم انها ان لم تفعل والا فيعاقب الله التارك وذلك
لا يتوصل العقل اليه اذ العبادات لا تتعين عنده الا بتعيين معين الذي
هو الشارع الذي ينص على ما يرضيه من العبادات وما لا يرضيه واما العقل
فلا يستقل بشي من ذلك ولعل العبادة التي يعينها العقل ويلزمها لعل الله
لا يرضى بها اذ يفعل الله ما يريد ولعل ما تظنه العقل عبادة هي معصية
فان هذا الله يفعل ما يشا فكما يجعل من يشا نبيا ووليا ويجعل من يشا فاسقا
وخبيثا وبيده اسباب ذلك ولا حجر عليه في ذلك ولا حكم كذلك يجعل ما يشا من
الاعمال طاعة وما يشا معصية ولا حجر عليه في ذلك وان لم تقل بهذا لزمك ان

نجعل الله تعالى محكوما عليه مغلوبا وذلك كله على الله تعالى محال واما ما ادعيت
من النقل عن الانبيا فذلك شي لا يصح عندهم انهم عظموا الصوت والصورة
بما عظموا به الله حتى عبدوهما كما تزعمون انتم وقولكم ان موسى خاطب الصوت
بالربوبية زعم وماح وافك صراح وانما المخاطب بالربوبية المتكلم بالصوت بزعمكم
الذي قال عن نفسه بالصوت انا الله والذي يحققها العقلا الذين لا يلعبون باديانهم
ولا يجترون على ربهم ولا اقحمهم ان الصوت موجود يتكلم به ولا يتكلم هو عن نفسه
فاذا اسمع العاقل قايلا قال بصوت مقطع مشيت الى بيت المقدس
فانه مثلا لا يشك عاقل في ان المخبر عن نفسه انما هو الذي قام به الصوت لا الصوت
فانه لو كان الصوت هو الذي اخبر بذلك عن نفسه لما صدق عليه ذلك ولما صح منه
الخبر لانه ما يتاتى منه المشي ولا الروية وكذلك لو قال انسان مخبر عن نفسه
بقوله اكلت الخبز وهذا بين بالضرورة واذا تقرر هذا فالصوت الذي سلمناه جدلا
الذي تكلم الله به على زعمهم لم يقل عن نفسه شيا مما ذكروا انما الله هو الذي قال
مخبرا عن نفسه واما ما قاله موسى فانما قاله لله تعالى وله اعترف بالربوبية واليه تاب
وله سجد واياه عبد لا للصوت وهذا معلوم على القطع والضرورة والمخالف في
ذلك جاهل متسامح او معاند متواقح وقد كان تقدم من قول السايل الغبي
الجاهل ان موسى اعترف للصدا بالربوبية وانه الذي قال عن نفسه انا الله لا اله
الا انا فاعبدني وانه هو الذي سجد له موسى وعن ذلك الصدا تحمل موسى
الرسالة وانه هو الذي كلم موسى واياه جاوب وانه قام عند موسى مقام خالق فسماه
الاها وربا فليتفطن ذلك الجاهل ان هذا الذي قاله غشتين هو الذي قاله هو وهيهات
ان بينهما ما بين الثرى والثريا وغاية كلام غشتين وان كان غيره من المخبطين
ان يقول قد علمنا ان الله خلق الصوت الذي اسمعه لموسى كما علمنا ان الله خلق
جميع الاصوات ولكن وجب علينا الاقرار لذلك الصوت بالربوبية ما لم يجب
لغيره لعلمنا ان الله تولى المخاطبة به هذا الحصر في كتابه على هذا الغبي ولا يفهم
منه شي مما انتحله ذلك السايل وقد وكلت الناظر المنصف العاقل الى توقيف
على كلاميهما وفهم معانيه فاني قد نصصت على كلاميهما في هذا الكتاب وحكيته كي
يزول

يزول الارتياب ويعلم الناظر المنصف ان السايل لبس على نفسه من الصواب
وانما نبهت هذا التنبيه حذرا من المغالطة والتمويه فاني اخاف ان وقع احد
اقسة النصارى هذا السايل على هذا المذهب الذي اخترعه والمحال الذي
ابتدعه ان يحتج لنفسه بان نسبته الى غشتين ويكون في نسبته من
الكاذبين فمن اراد الانصاف فليطرح عن نفسه التعصب والاعتساف
ويقف على كلاميهما متدبرا وفيه متفكرا ولقد كنت اتمنى ان يكون اولئك
الاقسة بين يدي حتى يسمعوا مني وينظروا الي فليس كالنفس
تدبيه المكاتبة ثم ليس الخبر كالمشافهة واما قوله واذا وجب اكرام الحجاب
باكرام المحتجب لم يبق علينا الا النظر في الحجاب الذي اتخذها وهو المسيح فنقول
المفهوم من لفظ الحجاب انما هو الساتر للشي المانع له فانك تقول احتجب
عني فلان اذا استتر عنك وامتنع من لقايك والخروج اليك ولا يصح هنا
على مفهوم كلام هذا الرجل ان يكون الحجاب هو الساتر بل هو الكاشف
المظهر على قوله وذلك ان ارادة الله وذاته قبل اتحاد الصوت والصورة لم
يكن شي منها ظاهرا فلما اتحد بهما ظهرت ارادته هذا مفهوم مساق كلامه فتدبره
وهذا ايدك الله قلة التحصيل وقصر التخليط والتجهيل واذا كان الناظر من قلة
التحفظ بحيث يعبر عن المظهر بالساتر فعلمه جهل ونظره قاصر واما قوله
في الشواهد على اتحاد المسيح حجابا فقول ليس وراه تحصيل وذلك انه قال
ان لم يوجبه القياس ايجاب اضطرار فانه يجوزه تجويز الامكان ثم انه تكلم
فاكثر وذكر القياس الفاسد الذي يكفر ثم رجع حاصل كلامه الى ان قال لان
اتخاذه الصورة كاتخاذه الصوت وهذا كله قد بينا فساده فيما تقدم واما ما ذكره
من شواهد الانبيا على ما ادعاه من الهذيان والهذر والبهتان على المتجاهل عن النقصان
فليس له في شي من ذلك شاهد وحاشى انبيا الله وكتبه من مذهبه الفاسد وغاية
تلك الشواهد ان تدل على رسالة عيسى عليه السلام وليست دلالتها قاطعة على
ذلك فتدبرها بفهمك وخذها بقياس عقلك وسياتي ذكر ذلك واشباهه في
باب النبوات بعد هذا ان شا الله تعالى وقد اتينا على ما اردنا ذكره من هذا الكتاب

والحمد لله على انا اغفلنا كثيرا من الفاظ اغشتين يمكن البحث فيها تركنا
ذلك لئلا يطول الكتاب ونخرج عن الضبط في هذا الكتاب على ان هذا
من كلام هو لب اللباب فاسمع ان امل ان وافق العذر ان ارد على القس
اغشتين كلام وابطل من ذلك الكتاب قصده ومرامه وحسبنا الله ونعم الوكيل

كمل الجزء الاول والحمد لله حق حمده
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
يتلوه الجزء الثاني من الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الباب الثالث في النبوات وذكر كلامهم فيها

هذا الباب ينقسم قسمين احدهما نحكي فيه كلام القائل ونذكر الجواب عليه
والثاني نتكلم فيه على النبوات وعلى اثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم **القسم الاول وفيه فصول الاول في حكاية كلامه** قال ابتداء احتجاج
الثلث هل يعلمون الله اعلم ان اهل الملل اجمعين متكافئون في ادعا الايمان
حاكمون على كل قوم لانفسهم بالايمان ولغيرهم بالكفر وقد غلبت عليهم
في ذلك العداوة وتاديب الصبا ووصية الاباء والاجداد حتى صار ذلك
طبعا فيهم لازما لهم فكلهم قد استحل انتقاص غيرهم وطلب عندهم
دينهم بالشبهة في دنياهم عن معاد اخرتهم وصاروا في تدبير دنياهم ومعايشهم
على خلاف ذلك لانك تجد اهل كل ملة يزعمون ان غيرهم من الملل احذق
في طلب معايشهم والطف في استجلاب ارزاقهم واحسب ان العلة
في ذلك رغبتهم في التكاثر من الدنيا هي التي تدخلهم الى التجاسر والمغايرة
فيجهد كل قوم لنفسهم في طلب معايشهم وان الاخرة عندهم مهملة لبعدها
عن حواسهم فلذلك يزعمون اهل كل ملة انهم احق حرام من غيرهم فلذلك
قل تنا صفهم فيها وان طال عمرهم الا ان كل قوم قد قلدوا اسلافهم وطلب
عندهم حجرهم في مدح دينهم وذم غيرهم فاسقط الرجل منهم كل حاسة
وامات خاطره واذهب فهمه فقطع كشفه عن مصالح ما استقبل من خيره
واستعماله اياه بما هو مدبر عنه من دنياه ولتجدن الرجل في كل ملة يروم شرا
خرقة يرقع بها ثوبه او شراه لبعله قواه يستجيد ويستشير جدودا ويسقطه
والغلط ثم اذا صار الى كشف دينه ومعاده اكتفى فيه بتقليد سلفه
ثم لا يبالي كيف من خالف ملته وانتقص كل خارج عن دينه فكل يتهم المناظرة
وان لم يحسنها ويراها فرصة وهو لا يغنمها ولم تجد سائر العلوم والصناعات
الا الفضول يعرف فيها الفضل الا الجدال والمناظرة وان الجميع يدعون
امرا لا يقدرون على التناصف فيه لبعد غايته لانهم يختلفون في الباري

الذي لا يدركونه بالحواس فيختلفون في معرفته وانما يتعارفون فيما يدرك
بالحواس ويتصور في الاوهام فيسمع العقل السليم الى اجابة الحق اذا ادركه
والكشف لعله كذلك تتخاذل كل قوم عن دينهم ويتفضلون انفسهم على غيرهم
ويدلك على ذلك انك تجد الصقلبي والعبد الحبشي يقع مرقوقا بيد رجل من
احد الثلاث ملل فيرده الى ملته ويورد عليه اخبار سلفه فيتقبله منه كتقبل
الاطفال المتغذين فيه وعلته في ذلك انه يجد صدره خاليا من الاخبار المدونة
في الكتاب فيتعلق بما اورد عليه من اخبار من يعلمه ويتمكن ذلك من صدره
حتى يصير واحدا من اهل الملة في ادعا الفضل لها وانتقاص اهل غيرها
والطعن عليهم ولو ان مجوسيا دخل بلدنا طاريا لو لجر انكسرت عليه
مجوسيته ووحش لوحده على البقا عليها عازما على رفضها ثم طلب الخروج
الى افضل الملل المتقدمة عليه مجوسيته لتحريه وعمى انها افضل فخرج اليها
اذا وجد كل قوم يدعون لانفسهم الايمان ولغيرهم الكفر ثم تجدهم متكافئين
في ادعا الايات لان اهل كل دين يزعمون ان دينهم عن ايات قامت
وبراهين ظهرت ولم تجد عند احدهم انه من تلك الايات الذي زعموا
انها لهم اضطرب عقل المجوسي في الدخول في اديانهم ولكن الذي كان يصعبه اليه
حسن نظره ان يتوقف حتى يسمع حججهم ويستعمل عقله في دعواهم
ليفهم باحتجاجهم من يهدي الحق به فكان يجد في دعواهم ان النصراني
والمسلم مقران لليهود بان دينه وانبياوه حق ثم يقول النصراني ان كتابي
جا من بعد فنسخ طاعة دين اليهودي ثم يقول المسلم وكذلك جا كتابي بعد
فنسخ طاعة دين النصراني كما نسخ دين اليهودي فاذا كشف المجوسي اليهودي عما
ادعاه انكره وقال لم يات بعد كتابي من الله كتاب ثم اذا سال النصراني
عما ادعاه المسلم انكر ايضا وقال لم يات بعد كتابي من الله كتاب فوجب على
النصراني ان ياتي بالبينة على اليهودي من الكتب التي اقر له بها فان لم يكن فيها
مسيحا منتظرا فلا حجة له عليه ولا تعلق له اليه وان كان فيها مسيحا منتظرا
يرجى صلاح الكال معه من سببه ووافقت علاماته علامات الذي قد جا وظهر

النصراني ان صح

واذا

واذا كان فقد احار النصراني الرسالة الاولى والثانية لنفسه وخرج
اليهودي عن رضى المعبود بجحود الرسالة الثانية ودعه لسببه فيما عقب
به في عناده من الرسالة الثانية ثم يحل المسلم البينة على النصراني من الكتب
التي اقر له بها وجامعه عليها فان لم يكن محمد منتظرا فلا حجة له عليه ولا متعلق
له اليه وان كان فيها محمد منتظرا ثم وافقت علاماته علامات الكتب فقد اصاب
المسلم ولزم النصراني الخروج عن رضى معبوده الجواب عن كلامه بايها
السهبت والطنبت وبغايح ما اتيت كثر كلامك وكثر غلطك وقلت حاجتك
وظهر نقصك وسقطك ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كانت النار
اولى به اعجبت لجهلك بلحنه ولم تتفطن للتبجح ووهنه فلقد استسمنت
ذا ورم ونفخت في غير ضرم فاول خطايك قولك في ترجمتك هذا بالفصل
احتجاج الثلاث ملل ثم ضمنته ذكر ملة المجوس فكان ينبغي ان تقول احتجاج
الاربع ملل فان المجوس ايضا تدعي انها ارسل اليها رسول وانزل عليه كتاب
ثم ان مذهبهم في التثنية وان كان باطلا فهو اقل شناعة وابعد من جحد
الضرورة والدخول في مسلك النظر وان كان فاسدا من مذهبكم فانهم يقولون ان الوجود
خير وشر ولا بد لكل واحد من موجد فموجد الخير خير والخير لا يفعل الشر لئلا يكون
شريرا وموجد الشر شرير لئلا يفعل الخير اذ لو فعل الخير لما فعل الشر
قالوا فلا بد من الهين اثنين يفعل احدهما الخير والاخر الشر وهذا الكلام ب
النظر العقلي وبعد بحث شديد يتبين فساده فلهم شبهة في التمسك
بمذهبهم ولو اورد المجوسي شبهته عليكم لصعب عليكم ابطالها لكونه يلزمكم من
مذهبكم الزامات لا تتفصلون عنها وانا الان اذكر طرفا من ذلك حتى يتبين
عجزكم وجهلكم هنالك واما مذهبكم في الاقانيم فغير مقبول ولا معقول
كما تقدم وكفى به فسادا قولكم الهة ثلاثة اله واحد وكذلك مذهبكم في الاتحاد والحلول
على ما مر ومن العجب انكم تعتقدون مذهب المجوس ولا تشعرون فانكم تنسبون
الشرور والاضلال الى غير الله وتعيبون علينا اذا نحن فوضنا كل الامور الى الله
وقلنا كل موجود في العالم فانما هو موجود بايجاد موجد واحد وهو الله تعالى

وهذا والله هو التوحيد الحق الذي ارتضاه الله لخلقه وكلف به انبياءه وانزل
به كتبه فعين مذهبكم في هذه المسئلة هو مذهب المجوس فانكم تنسبون الشرور
كلها الي الشيطان وهو عدو الله وهو لا يصدر عنه الا الشر وليس الشر من افعال
الرحمن عندكم فانه ما يوجد الا الخير فعلي مذهبكم هناك خالقان احدهما
خالق الخير وهو الله والاخر خالق الشر وهو الشيطان وهذا عين المجوسية
فصرحوا بها ولا تنكروها واجمعوا بينها وبين النصرانية وتقلدوها ثم زعمت اني
علي مقتضي ترجمتك انك تذكر حجاج الملل الثلاث ولم تف بشي من ذلك
ولا ذكرت في كلامك هذا حجة للمسلمين عليكم ولا لليهود بل ذكرت حجة النصاري
الداحضة وسكت عن حجة خصومهم الظاهرة وهذا اثر التقليد والجمود عليه
حملك علي الاعراض عن حجة خصمك لعلك ما تسمع ما يودي الي تبكيتك
وقطعك ولقد كان ينبغي لك لو كنت من النظار العارفين باديا نخصم
ان تذكر حجج خصومك اجمعين فتبحث عنها واحدا بعد واحد حتي يتبين لك
فيها الصحيح من الفاسد ولكن مع هذا يقبل عذرك ويعلم جهلك فانك
واحد من عوام المسيحيين الذين شبهوا بالقسيسين وفي مثلك نشد

فسد الزمان فسدت غير مسود ومن العنا تفردي بالسودد

ولكن لا عليك فانما هو جنا يديك فاني لا ارجو ان يقف علي هذا الكتاب جماعة
المطارين ويعلموا بما فيه انك مخالف لمذاهبهم اجمعين فيخرجوك من بين
القسيسين ويلحقوك بالرهابين ثم قلت اعلم ان اهل الملل متكافيين في
ادعا الايمان حاكمين علي كل قوم لانفسهم بالايمان ولغيرهم بالكفر فنقول اما التكافو
في الدعوي فنعم لكن الفصل يقع بينها من جهة البينات ووقوف العقلا علي حكاية
المذاهب والديانات فان من الاديان ما يدرك فساده بغير نظر ولا برهان بل
بالفطرة التي خص الله بها الانسان وذلك دين النصاري الضلال الحياري ولقد
حكي ان بعض حكما الهند وكان من الملوك الذين يحكمون بالسياسة المدنية الذين
لم يتقلدوا اتباع ملة دينية انه ذكرت الملل الثلاث فقال اما النصاري فان
كان مناصبوهم من اهل الملل يجاهدونهم بحكم شرعي فلقد اري ذلك بحكم عقلي

وان



وان كنا لا نري بحكم عقولنا قتالا ولكن استثني هولا القوم بعد النصاري
من جميع العوالم فانهم قصدوا مضادة العالم وناصبوه العداوة وتحلوا بيت
الاستحالات مع انهم حادوا عن المسلك الذي انتهجه غيرهم من اهل الشرايع
وقد كان لهم فيه كفاية ولكنهم شذوا عن جميع مناهج العالم الشرعية الصالحة
والعقلية الواضحة واعتقدوا كل شي مستحيل ممكنا فلم يعزب عنهم شي وبنوا من
ذلك شرعا لا يودي البتة الي صلاح نوع من انواع العالم الا انه يصير العاقل
اذا تشرع به اخرق والرشيد سفيها والمحسن مسيا لان من كان في اصل
عقيدته التي جري نشوه عليها الاساة الي الخالق والنيل منه بوصفه بغير صفاته
الحسني فاخلق به ان يستسهل الاساة الي مخلوق وكذلك ما بلغنا عنهم في
خلقهم من الجهل وضعف العقل والطمع والبخل ومهانة النفس وخساسة
الهمة والغدر وقلة الحيا الا قليلا منهم فلو لم تجب مجاهدة هولا القوم الا لعموم
اضرارهم التي لا تحصي وجوهها وكما يجب قتل الحيوان الموذي بطبعه فكيف وثم
من الموجبات ما تقدم فهذا ما بدا لهذا الحكيم في اول نظرة من مذهبكم علي اول
وهلة وليس بحاصكم ولا مناويكم ولا متهم باتباع الهوي فيكم لكن قد تبين
الصبح لذي عينين بحيث لا يشك احد فيه من الثقلين وستري ذلك وتحققه
ان كنت ذا بصر وبصيرة ان شا الله تعالي ثم قلت قد غلب عليهم في ذلك
الغواية وتاديب الصبا ووصية الابا والادبا حتي صار ذلك طبعا فيهم هذا
الذي ذكرته لعمري بحكم الرعاع الغمر والغنا الغتر واما من اطلع الله بنور توفيقه
وبين له سوا طريقه فقد تبين له الرشد من الغي والميت من الحي وقد اخطات
في اطلاقك هذا الحكم علي جميع الملل ولم تشعر بما لزمك من الفساد والزلل
كلا بل الذي ذكرته وصف اهل ملتك وحلية عصبيتك اذ هم اهل تقليد
ونظرهم غير سديد ثم قلت لكلهم قد سهل عليهم استقباح غيرهم وطاب عندهم
دينهم بالتهنية في دنياهم عن معاداتهم صدقت في هذا الحكم عن العدل فحاق
عليك اللوم والعذل بل في الملل من لا ينتقص احدا الا اذا ذمه الشرع واذا راي
ذا فضيلة او محقا احبه وشكره بالطوع والطبع يهجر في طلب الحق جميع لذاته

ويرها في جميع متملكاته يبتغي بذلك رضي سيده ومرضاته يضرب في
في طلب الحق الارض ضربا فيقطعها شرقا ويقطعها غربا

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن … وان لقيت معديا فعدناني

فارق الاهل والوطن ولازم القفر والعطن واذا ظفر بالبغية لبي وقطع اما
الدنيا فلا يلتفت اليها واما الاخرة فهو مقبل بكليته عليها فهو في كل حال ينشد واحواله

وابغضت فيك النخل والنخل يانع … واعجبني من حبك السدر والضال

واهوي لعيناك السماوة والغضا … ولوان حنفيه وشاة وعذال

فانت لم تحكم بالسوية ولا عدلت في العطية حث حكمت باعراض كل العقلا
عن الاديان وبالتكاثر من الدنيا على كل البرية كلا لو كان ذلك لما بقي منا احد الا
هالك فراجع نفسك عن هذا الاطلاق وتب للواحد الخلاق واحكم على اهل ملتك
بتلك الخصال والاخلاق فان رب العالمين يبقي علينا بركة الفضلا والصالحين
ثم قلت واحسب ان العلة في ذلك رغبتهم في التكاثر من الدنيا التي تدخلهم الى
التحاسد والمغايرة فيعجز كل قوم انفسهم في طلب معاشهم وان الاخرة عندهم
مهملة يا هذا القد كثر غلطك حتى يعجز الناظر عن احصايه وعظم سقطك حتى
لا اقدر على استقصايه

تفرقت الظبا على خراش … فما يدري خراش ما يصيد

فتارة يتنبج عليك الكلام واخرى تبدل المدح بالملام فربما تريد تمدح فتذم وتظن
انك تحل الطاوات تدم فعبرت عنه بعبارة يفهم منها بحكم وضعها خلاف ما اردت
ان تقول وذلك بين عند من تامله من اهل العقول وبالجملة فانت في هذا الفصل
اردت ان تفصح وتعرب فاذا ابك تبهم وتعزب على ان كلامك في هذا الفصل
تطفيل الجدوى واهي الاصل فينبغي ان سعدي اكثر كلامك وتنزه عقول الناس عن
الاخذ في كثير من هذيانك فان الاخذ في الخرافات والاشتغال بالترهات
مخل بالعقول والمروات ثم قلت بعد كلام حكيت فيه فعل السفلة الطغام
المعدودين في رعاع العوام ان كل قوم قلدوا اسلافهم وطلب عندهم خبرهم
في مدح دينهم وذم غيرهم يا هذا جهلت كل الانام اذ زعمت ان التقليد داب كل الاقوام

ولو

وانت في هذا الكلام قد لحنت في غير موضع واردت ان تقول شيا جمع

48

ولو انصفت في القضية وعدلت بالسوية لقلت ان الناس قسمان قسم
ايمانهم برهاني وقسم اعتقادهم تقليدي كما ظهر من اهل الاديان واما من لم يتدين
بدين فينبغي الابعد في الموجودين وبعد هذا ينبغي ان نعلم ان امور الاعتقاد
والايمان لم يقنع فيها قط احد من الفضلا بالتقليد من غير برهان ولاجل
هذا ذم الله علينا الركون الى التقليد وذم من عول في اعتقاده على اتباع
الاباء والجدود فقال تعالى حكاية عن المقلد وذم امثاله ومونحا له على جهله
بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا
من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على
اثارهم مقتدون قل اولو جيتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا
بما ارسلتم به كافرون فهذا ذم من الله للتقليد واهله وقد امر بالنظر الصحيح
وحض على فعله فقال تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات
والنذر عن قوم لا يومنون وقال فلينظر الانسان مم خلق وقال اولم يتفكروا
ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال تعالى افلم يسيروا
في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومثل هذا كثير وكفي بشرف هذا
الدين ودليلا على صحته عند الفضلا العاقلين انه حرم التقليد الذي يجر
الى الالتباس والالباس والتجهيل والتغبية واستنهض العقول الى النظر
واوضح مسالك العبر واوجب عليها النظر الصحيح المفضي الى العلم ومن لم
يفعل ذلك من العقلا فقد تعرض للعقاب والزم ذلك كله ليتبين عن بصيرة الرشد
من الغي ويعلم من هو على امر محكم في دينه ببطلان التقليد والراي وبعد
هذا فاني لا اسالك في انك لا تعرف حقيقة التقليد ولا اقسامه ولا احكامه
ولا في اي محل يجوز ولا في اي محل يحرم ولا من الذي يقلد ولا من المقلد فان
ادعيت انك تعرف شيا مما هنالك فعجل بالجواب عن ذلك ثم قلت
بعد ترديد وتطويل من غير افادة ولا شفا غليل فكل يقتحم المناظرة وان لم يحسنها
خيرا او فريضة عليه وهو لا يفهمها ولم تجد شيا من العلوم والصناعات

الا الفضول اعلم يا هذا ان الله انطقك بشرح حالك فانك عبرت عن
سوء مناظرتك وبطرك بركيك مقالك فجهلت حتى توهمت انك من اهل
النظر واوهمت هذا الرعاع انك من اهل المناظرة والفطر كلا فلقد ارتقيت
مرتقى صعبا وسلكت مسلكا وعرا وادعيت دعوى عريضة لتخدع بها قلبا
ضعيفا ونفسا مريضة ولابد من سؤالك حتى يتبين حول من محالك
فاقول لك ما حد النظر وحقيقته وما اصوله وكم اقسامه وما احكامه وما حقيقة
المناظرة وما شروطها وكم هي وما الشيء الذي يطلب بالمناظرة وما حقيقة
الدليل وما المدلول وكم اقسامه وكم شروطه وما وجه الدليل وما المدلول وكم اقسامه
وما وجه الدليل وما المدلول وكم اقسامه فان كنت تدعي المناظرة فاجب عن هذه
الاسولة محاوره ثم قلت وان الجميع يدعون امرا لا يقدرون على التناصف
فيه لبعد غايته لتعلم يا هذا ان تحكمك على الجميع بانهم لا يقدرون على التناصف
حكم خطا فان العاقل المشتغل بما يعنيه انما يطلب الحق ليصل اليه
ويعرف الباطل ليجتنبه ومن كانت هذه حاله انصف وتناصف وانما
يمنع التناصف من غلب عليه التقليد وحمله على ما ورثه عن الاباء والجدود
وهو يصمم على انه على الحق فيمنعه ذلك التصميم من البحث والنظر ثم انه نسنه لنوع
نظر كما كان قال

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولن تلين اذا قومتها الخشب

فهذا الذي يتعذر عليه التناصف وتبعد عليه الغاية المطلوبة واما
من نور الله قلبه وانجلى من المعقولات حظه فالتناصف مرغوبة اذ الحق
مطلوبه وفي مثل هذا نشد

بعيد على الكسلان اودي ملالة واما على المشتاق فهو قريب

فان قلت ما ذكرته انت قليل وما ذكرته انا كثير قلت لك

وما ضرنا انا قليل وجارنا فقلت لها ان الكرام قليل
تعيرنا انا قليل عديدنا عزيز وجار الاكثرين ذليل

ثم ان وجد في جميع الخلق واحد نهج الصنعة فقولك [illegible] فانك

حكمت

49

حكمت على الجميع بحكم قبيح شنيع والصقت القول ولم تحف غير الزلل ولا
الغول ثم قلت فيختلفون في معرفة الباري تعالى لانه لا يدرك بالحواس
اعلم ان هذا الذي ذكرت لا يصح ان يقال على كل العقلاء وانما يصح ذلك على
الجهلة الاغبياء بل نقول ان الاغبياء اهل الجهالات يختلفون في الضروريات
وقد بينا عليكم مواضع كثيرة من اعتقادكم خالفتم فيها الضروريات
وناكرتم المعقولات واما اهل العقول السليمة والفطن المستقيمة فلم تختلف
منهم اثنان في معرفة وجود الله تعالى وانما يختلفون في اي وجود وجوده وهذا
يعرف في موضعه ولست من اهله واما تمثيلك بالعبد الحبشي فتمثيل
ليس وراءه تحصيل وذلك ان العبد الحبشي اذا كان عاقلا سليم الفطرة
فمنفس ما يسمع كلاما لا يقبله عقله يرده واما اذا كان ناقص الفطرة مختل
العقل فيقبل كل محال ولا يثبت على حال ثم قلت ولو ان مجوسيا دخل بلدنا
فكسرت عليه مجوسيته ثم طلب الخروج الى افضل الملل انت توهم بهذا
القول البراءة عن المجوسية والرعاية الملة النصرانية عساك تظن انك تفحم
الخصوم او انك حصلت من دينك على امر معلوم كلا بل لو ناظرك مجوسي
لافحمك ولو وزن دينه بدينك في معيار العقل لرجحك وقد تبين ذلك
فيما تقدم ثم قلت فكان المجوسي يقول في دعواه ان النصراني والمسلم مقران
لليهودي فان دينه اول وانبياءه حق ثم يقول النصراني ان كتابي جاء من بعد
فنسخ طاعة اليهود ثم يقول المسلم وكذلك جاء كتابي فنسخ دين النصارى
يا هذا البليد اخطات على المسلم حيث ظننت ان المسلم يسلم لليهودي دينه
الذي بين الان ويعترف بانه اول وليس الامر كذلك بل الذي يقول به المسلم
ان الدين الذي جاء به موسى عليه السلام هو حق وانه الاول بالزمان بالاضافة
الينا واليكم واما اليهود اليوم فليسوا على دين عندنا وعندكم فعندنا لا
من جهتين وعندكم من جهة واحدة احد الجهتين عندنا انهم كفروا بمحمد صلى
الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى اخذ عليهم العهد بالايمان به وبلغهم ذلك على
موسى عليه السلام وغيره من الانبياء عليهم السلام على ما ننقله ان شاء الله تعالى

وكذلك نقول في المسيح عليه السلام انهم كفروا به بعد ان انكروه وبهذه الجهة
الاخرى فهاتان الجهتان وانتم انما تكفرونه من جهة واحدة وهي كفرهم
بالمسيح فقد اتفقنا نحن وانكم على ان اليهود في هذا الوقت ليسوا
على دين وليسوا منتسبين الى شي من دين موسى عليه السلام واذا كان
الامر كذلك فكيف جازف في اطلاقك وحكمت على المسلمين والنصارى ما لا يرضون
به ولا يقولون عليه بل اطلاقك هذا لا نتيجة جهلك وما يدل على نقص عقلك
ثم انك ادعيت ان النصارى يقولون ان كتابهم نسخ شرع اليهود وكيف
يصح لك يا جاهل بدينه ان تقول هذا وعيسى في الانجيل الذي بايديكم
يقول لم آت لانقض شريعة من قبلي انما جئت لاتممها فما انت هو الكاذب
او كتابك هو المحرف الباطل وسنبين ان شاء الله تعالى ما حدث في الانجيل
والتوراة من المناقضة والتحريف ما يدل على انها ليست هي التي انزل
الله ومن عجيب امرك وادل دليل على جهلك انك تدعي ان كتابك
نسخ شرع اليهود وانت بزعمك ترجع اليه في احكامك ومثل هذا الا تناقض
ظاهر وجهل فاحش ثم قلت فاذا كاشفت المجوسي اليهودي عما ادعاه
انكره وقال لم يأت بعد كتابي من الله كتاب يا هذا لقد قولت اليهود ما [illegible]
قوله ولا يسعهم جهله فان اليهود معترفون بانه قد كان بعد موسى انبيا
كثيرون جاوا بصحف وقراوا على الناس كتبا كثيرة هي بين ايديهم وايديكم
اليوم تقرونها وتحكمون بها وها انت قد استدللت بكثير منها في كتابك
على اثبات نبوة المسيح فتلك الكتب التي نقلت منها اما ان تكون من الله
او لا تكون فان كانت من الله فقد افحمت نفسك واكذبتها وصار كلامك
ينقض اوله اخره مع ان اليهود توافقك على ان تلك الكتب والصحف
من الله وعلى السنة رسل الله على هذا جمهورهم واكثرهم وان كانت تلك
الكتب ليست من الله ولا انبيائه فكيف يسوغ لك الاحتجاج
عليهم بشي ليس من كلام الله ولا يسلمونه فلقد مكنت من نفسك
يا هذا اليهود والمسلمين وصاروا على كذبك وخطائك من الشاهدين فمثلك

مثل الباحث بظلفه عن حتفه والجادع مارن انفه بكفه فلقد لحقت
بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وبعد هذا فاعلم ان الذي تنكره اليهود لعنهم الله كما لكم وكتابنا لا غير
وسنقيم واضح الادلة ان شاء الله تعالى على من خالفنا ثم قلت ثم يحمل المسلم
البينة على النصراني من الكتب التي اقر له بها وجامعه عليها فان لم يكن فيها
محمد منتظر فلا حجة له عليه ولا متعلق له اليه وان كان فيها محمد منتظرا
ثم وافقت علاماته علامات الكتب فقد احاط به المسلم ولزم النصراني الخروج عن
رضى معبوده ظاهر كلامك انك انصفت وانت في اعتقادك عليه ما عوت
ولقد اعلم انك اذا اثبت ذلك عليك من كتبك عدلت وعذرت شنشنة
اعرفها من اخزم واذا كان الغدر في النفوس الخبيثة طباعا فالثقة بكل احد عجز
وانا اسال الله تعالى العظيم رب العرش الكريم باسمائه الحسنى وصفاته العليا
وبحق ادم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم ومن بينهم من النبيين
والمرسلين وبالملائكة المقربين وباهل طاعته اجمعين ان يلعن من
لا يرجع الى الحق اذا تبين له وان يعجل عليه نقمة في الدنيا تكون علامة على
غضب الله عليه ودليلا على عذابه وفي الاخرة العذاب الدائم ثم اسأل الله العظيم
ان يفعل ذلك بعزته وكرمه امين امين والصلاة على خيرته من خلقه
ثم ينبغي لك ان تعلم ان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم تثبت
لنا بطريق واحد بل بطرق كثيرة فلو فرضنا ان الانبيا صلوات الله عليهم
لم يبشروا به لكانت نبوته ثابتة ببراهين قاطعة كثيرة بها عرف نبوته العقلا
الذين لم يقروا احدا منها ولا انتسبوا الى شريعة وسنوضح هذه الطرق
ان شاء الله تعالى ونبينها على ما لا يبقى معه ريب لعاقل بحول الله وقوته

الفصل الثاني في حكاية كلامه

قال ومن بينة النصراني على اليهودي ان كان في الكتب التي اقر له بها وجامعه
عليها مسيح منتظر لا يقدرون على جحده لان انتظاره معروف فيهم
وظاهر عليهم ودل على زمان مجيئه انهم منتظرون له منذ [illegible]

اليهود وبدت الى اليوم لاذ قد لزم اليهود انتظاره من وقت تفرقهم
في الدنيا فقد وجب للنصارى ان يقولوا انه قد جا والدليل على انه هو ان
اليهود اختلفت من سبب فصارت فرقتين على الكفر والايمان فالفرقة الكافرة
هم اليهود والفرقة المومنة هم النصارى فامنت طايفة وكفرت طايفة والكتب
اجمع مع كلامهم يحتجون بها بعضهم على بعض يجتمعون على الفاظها وقراتها
ويختلفون في تاويلها كفعلهم الى هذه المدة والذي نستدل به لفرقتينا
على كفران ينظر احدها في الكتب ونستدل بها على حالة بني اسرايل منذ
كانت على الايمان والكفر فانهم ان كانوا على الكفر فانه يلزمهم الذلة اذ الذلة والاسر
والتفرقة علامة الكافرين وموجودة في الكتب ان الله لم يوعد بالثواب لبني
اسرايل على الطاعة والايمان وانما وعدهم في الدنيا لو عدهم عند الطاعة
والايمان بالملك والنعمة والنقمة من عدوهم والتمكين لارضهم وفوق كلهم
واوعدهم عند الكفر والعصيان بالتغلب عليهم والملك والقهر لهم من
عدوهم فلم يزالوا موعدين عند الطاعة والايمان مستعبدين عند
الكفر والعصيان فافهم الجواب عنه اعلم يا هذا لولا انا نخاف ان تتابد
يهود على كفرهم ان علموا ذلك على دوام الاصرار وزيادة العناد لنبهنا على
مواضع في هذه الادلة التي ذكرت نفسد عليك لاجل ذلك اكثرها ونبطل عليكم
الاحتجاج بها ولو فعلنا ذلك لما كان مما يقدح في صحة نبوة المسيح فانها تثبت
بطرق اخر وانما كان يكون دليلا على انك لا تحسن الاستدلال ولا تعرف
طرق المناظرة والجدال ولكن حاش لله ان نعين اليهود اول اللعنة والعداوة
والبغضا والاخنة على من التزم شرعة المسيح وركب منها المنهج الصحيح
وكيف نفعل ذلك وقد اخبرنا الله على لسان نبيه ورسوله بانه كان منهم
عالمون بالله ومصدقون بما جاهم على لسان محمد رسول الله فقال تعالى
لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم
مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من

الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا
لا نومن بالله وما جانا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
فهولا الذين عرفوا شرعة المسيح عليه السلام وعلموا ما عهد اليهم من نعت محمد خير الانام
فبادروا التصديقه ولم يمكنهم العدول عن طريقه ولولا حرمة هولا الاوليا
الذين كانوا منكم لما بقي ستر الله عليكم لكن كما قال تعالى انما يوخرهم ليوم
تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي روسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافيدتهم
هوا ومع هذا فلا نخلي هذا الباب من التنبيه على نكت تدل على سوء
استدلال هذا السايل خاصة بعون الله قلت يا هذا والدليل على انه هو
ان اليهود اختلفت من سببه فصارت فرقتين على الكفر والايمان به والفرقة
الكافرة هم اليهود والمومنة هم النصارى وامنت طايفة وكفرت طايفة هذا
دليل ليس له الدلالة على مجي المسيح من سبيل بل هو عين المذهب الذي
تدعونه ويبقى عليك الاستدلال عليه وان جاز ان يكون مثل هذا دليلا
صحيحا على مجيه جاز ان يكون نقيضه دليلا على انتفا مجيه ولا فرق بين ما قلت
وبين ما يقوله اليهودي اذ كل واحد منكم يتكلم بدعوى ولم يثبتها ولا بد لك
من اقامة دليل فيما ذكره فان كلامك الاول ليس بدليل فان اخذت
تستدل بدليل اخر خلاف ما ذكرت فقد اعترفت بان كلامك الاول ليس
بدليل وانقطعت وان رجعت تستدل بذلك تبين جهلك هناك
فانظر ما احسن هذا الدليل فلعمري ما المستدل به من النظر العقلي كثير والدليل
ثم قلت والكتب اجمع مع كلامهم يحتجون بها بعضهم على بعض يجتمعون على الفاظها
وقراتها ويختلفون في تاويلها كفعلهم الى هذه المدة تناقضت يا مخدوع وما
شعرت وظننت انك تنتصر فاذا انك قد اخفضت هنا بانكم يحتج بعضكم
على بعض وينقض ذلك انكم تحتجون بالتوراة عليهم وكيف يصح لك هذا مع انك
قد ادعيت انها منسوخة بكتابكم فان قلت ان هذا عليهم في معرض الالزام
قيل لك فلا تاخذ من التوراة شيا من الاحكام ولا تحكم منها على شي
بحلال ولا حرام ثم ان كلامك هذا يفهم منه انهم يحتجون عليكم بكتبهم على ان

المسيح لم يجي واذا اتفق ان يحتجو احد عليكم بمثل هذا من كتبكم فقد افحمكم هذا كله ظاهر كلامك ولم ترد هذا المعني وانما اردت ان تقول ان الجميع قد اتفقوا علي الفاظ الكتب واختلفوا في تاويلها ولم تساعدك العبارة وهكذا اكثر كلامك تريد ان تقول شيا ثم تعبر عنه بعبارة تدل علي خلاف ما اردت وسبب ذلك انك ادخلت نفسك في شي لم تعرفه وتعاطيت ما لم تحسنه فكنت بمثابة من ادخل نفسه في سفط ثم جا اخر فشد عليه وربطه ثم قلت والذي يستدل به الفريقين علي كفر احدهما ان تنظر في الكتب الي ان قلت اذ الذلة والاسر والتفرقة علامة الكافرين هذا الاطلاق لو علمت ما يلزمك عليه لاستغفرت الهك منه لكنك جهلت فاطلقت وحيث وجب ان نمسك ارسلت وذلك انه ان صح ما ذكرت فلا ذلة ولا اسر ولا تفرقة ابلغ من ذلة من يصفع في قفاه ويحمل علي راسه شوك ويعري من قميصه ويساق للقتل وعلي عنقه خشبة يصلب وتسمر يداه ورجلاه وينخر وهو يطلب ما فيرفع له انا خل فهذا كله بزعمكم ولا رتبة في المذلة ابلغ من هذه فعلي قولك وسياق دليلك يلزمكم تكفير المصلوب ويحصل لليهودي منكم الغرض المطلوب فان كنت عاقلا فلتعقل كلامك ولا تكن عارا عليك لسانك وقد يضحك يافسل وما اظنك تعقل انما اردت ان تقول فلم تطاوعك العبارة ياجهول الدليل علي مجي المسيح المنتظر انه قد ثبت في كتب الانبيا عليهم السلام ان الله قال لليهود لا يزال ملككم قايما وخيركم دايما ما دمتم مومنين حتي تكفروا فاذا كفرتم ازلت ملككم وابدلتكم منه ذلا وصغارا وغضبا ونقمة وعند ذلك ارسل الكليم المسيح ولا يشك احد في زوال ملك اليهود وانقطاعه وفي نزول الذلة والمسكنة عليهم فلا يشك في كفرهم ولا يشك في مجي المسيح وانهم كفروا به ولو هكذا قلت لما لزمك شي مما الزمت وهذا الدليل الذي استدللت به علي اليهود اذا سيق علي الطريقة التي ذكرناها وصح نقلها عن الانبيا بطريق القطع هو حجة علي اليهود لا مخرج لهم منها ولا محيص عنها علي انه بقي فيه مواضع للبحث الفصل عن تمام الدليل فوضح السبيل

الفصل الثالث من حكاية كلامه ايضا

قال وانا اثبت لك ان المسيح قد جا من كلام الانبيا قال النبي يوشع ابن ناري عليه السلام هكذا بكلام عبراني لو باميم ربيم ياشبو ابنا يسرائيل اين ملخ وان صار فسره ان دون ملك ودون مقدم فاذا اليهودي الجاحد ان كان لهم اليوم ملك او مقدم فلا يكون جوابه الا انه يقول ليس عندنا ملك ولا مقدم فيقال لهم اذ ليس عندكم ملك ولا مقدم فاسمع ما قال يعقوب الذي له اثنا عشر ولدا منهم يوسف الصديق صلوات الله عليهم قال الفاضل يعقوب بكلام عبراني لو باصور شابات مي يهودا ومحوكيل ميبان رجلان عاضي كي نابو شيلو ولو قاهت عميم وهذا فسره لا ينقص قضيب الملك من يهودا وراسم من بين رجليه حتي ياتي المسيح وله تطوع الامم فيقال لهم اذ ليس لكم ملك ولا مقدم وقد جا المسيح لقول يعقوب لا ينقص قضيب الملك من يهودا وراسم من بين رجليه حتي ياتي المسيح فقد كمل ما قال يعقوب النبي اذ ليس لهم ملك وقال ارميا النبي عليه السلام في الطايفة الكافرة بكلام عبراني بلغة ام ماعمود من شا وشمول لعاماي ان نعسي الياعم هدا شلاح معال فاماي وماسك وياتي امروا اماما سا والمزبالاهيم مي لما بات احمي لسان احمي لارطاب لاراعان وخلائي حامامي يام اسمع كلام الله علي لسان ارميا النبي فسره ان وقف النبي موسي وشموال لا ارضي عن هذه الامة لديهم من قدامي وتخرجوا فان قال اين نخرج فقل لهم من الموت الي الموت ومن النفي الي النفي ومن الجوع الي الجوع ونحل غضبي فيهم فهم في غضب الله لكفرهم بالمسيح الذي قد جا ثم قال الله علي لسان يعقوب النبي الفاضل بلسان سرياني هاكذا لا انا عصا عات سلطان مدامات يهودا وصمو ميانا نابوهي عاض علاما تا ناما ماسيحا حات لا يليحونا ولاه اشتماعون عاما ما لساو هذا فسره كما قاله الله علي لسان نبيه يعقوب لا ينقص قضيب الملك من يهودا وراسم من اسباطه حتي ياتي ماسيحا الذي هو المسيح الذي له الملك وله تطوع الامم فاذ قد انقطع ملكهم فقد جا المسيح الذي له الملك وله تطوع الامم اذ لهم ملك ولا مقدم وقال الله علي

لسان ارميا النبي في انقطاع ملكهم بكلام عبراني هكذا فاصاع ادوناي
ناجور اباه كل كان اداسرايل وبذه فسرت قطع الله بشدة غضبه جميع
دولة اسرايل فانهم قد جا المسيح وانقطع ملكهم وقد قال الله على لسان ارميا النبي
في اثبات شريعة المسيح وايمان الحواريين قايلا بلسان عبراني هاميم بام نوم
ادوناي واحادن لات ولت اسرايل بهود ابدث حادا شالو جرت اسي
فاراي ابوتام بايوم هوسي اتام مي ارض مصرايم مبيه تاما ضم فسره يقول الله
وانبت لبيت اسرايل وبهود العهد جديد ليس كالعهد الذي عقدته
لابايهم في اليوم الذي اخرجتهم من ارض مصر من بيت العبودية فبين الله بهذا
الكلام ايمان الحواريين والتابعين لهم كما قال الله في موضع اخر على لسان
ارميا النبي بلسان عبراني عن ايمان الحواريين قال اسرنو بانيم شوبابيم
نوم ادوناي في اوحي باعسي باخيم والقحتي اتحم احاد مي عيد اشنايم مي
مشباحا وهابي اتحم صيون فسره ارجعوا يا اولاد اللجاجة فاني انظرت
فيكم واخذكم واحد من مدينة واثنين من عشيرة وادخلكم الى صهيون ولذلك
اخذ الحواريين واحد من مدينة واثنان من عشيرة ثم قال لنص الاية واناسي
لاجيم روعيم كلبي فسره ونعطيكم رعاة نعلمي وارعا اتحم دعا واهسكال
ويدعوكم المعرفة والفهم وكذلك جعل من الحواريين ايمة ورعاة ويعلموا الناس
المعرفة والفهم ثم قال لنص الاية ان لا يعمل بالعهد البالي وابابي ربوا
بدسهم بارتس بالوميم هاهما نوم ادوناي لو يومروا عود ارون برث ادوناي
ولو يعل الا على لاب ولو يزكرو وابوا ولو يعسو دا ولو يا عاسا عود فسره ويكون
اذا كثرتم وتنموا في الارض في تلك الايام يقول الله لا يقولوا ابدا تابوت
عهد الله ولا يصعد على قلب ولا يذكره ولا يعتقده ولا يعمل به ابدا فاعلم
انه امنوا الحواريون والتابعين لهم من الامم ثم قال سليمان الفاضل ما العلم
علما وعرفت معرفة المقدسين فافهم ايها الاخ ما هي معرفة المقدسين
الذي لا يمكن لاحد ان يكون مقدما الا ان عرفها وامن بها حقيقة الايمان
قال من صعد الى السما وهبط من قبض الارواح في كفه من جمع الما في

ثوبه

ثوب ثم قال بكلام عبراني مي ماييم كل افساريس مشمو اشم فافهم وكن
ناقلا مدبرا ترشد قال سليمان مي ماييم كل افسارس شمو اشم شه
بنوا فسره من اقام جميع اقطار الارض ما اسمه واسم ابنه ثم قال بنص
الامانة بالعبراني طل امراث الوه صروبا ماعين هواه حول لهوسيم بو فسره جميع
كلام الله مرسن منير هو مجير لجميع الواثقين به فافهم ثم قال الله على لسان ارميا النبي
كلام عبراني بهنا ياسيم باييم نوم ادوناي واراصي لابن اسرايل ولبيت يهودا
ان بدع ادام وزرع بهما فسره هذا يوم ياتي يقول الله وازرع في بيت
اسرايل وبيت يهودا نسل ادمي ونسل بهيمي فكان النسل الادمي الحواريين
المومنون بالمسيح عند اقباله والتابعين لهم وكان النسل البهيمي اليهود
الجاحدين المسيح ولذلك الحواري يحيى الذي اسمه حواشن قال من لم يامن
ولم يهتدي في تعليم المسيح فلا اله له فافهم ترشد اعلم اني كتبت
لك بالعبراني والسرياني كما نطقت به الانبيا صلوات الله عليهم في اثبات
اقبال المسيح وايمان الحواريون والتابعين لهم وفي اطراح اليهود الملاعين
الجاحدين المسيح سيدنا فافهم الجواب عما ذكره بانه المخدوع ظننت
التراب ماء والارض سما فاستسمنت ذا ورم ونفخت في غير ضرم اعلم
يا هذا انه لا يقبل منك في هذا المقام الاستدلال بالظنون والاوهام اذ
المطلوب فيه تحصيل العلم القطعي واليقين البرهاني فلا تحصل لك شي من
ذلك حتى تعلم صحة ما استدللت به هذا كله ولا تعلم صحة شي مما ادعيته دليلا
قاطعا مفيدا للعلم الا بعد معرفتك بان هذه الكتب التي استدللت بها
هي من عند الله وانها بلغتك عن الله على السنة الصادقين ولا تتوصل
الى معرفة شي من ذلك الا بعد معرفتك بالنبوات وحقيقتها ودلايل صحتها
العقلية ولا تتوصل الى ذلك حتى تعلم حدوث العالم وانه موجود بعد عدمه
وتعلم ان له محدثا وان محدثه موجود حي عالم قادر مريد موصوف بصفات
الكمال حتى يصح منه ارسال الرسل وتاييدهم بالادلة وكل ذلك انما يعرف بادلة
عقلية ولا يصح ان يعرف بادلة سمعية فان السمع لا يثبت الا بعد ثبوت هذه

الاصول فاذا وصلت الى هذا المحل وسلمت من التعثر باذيال الزلل
وكم دونها من مهمه ومفازة وكم ارض جدب دونها ولصوص
فيجب عليك ان تنظر فيما القى الصادقون اليك فان كنت ممن تسمع
كلامهم وتشافه بنفسك خطابهم فقد سقطت عنك معرفة طرق النقل
وشروط التحمل والحمل ولزمتك معرفة اللغة التي يتكلم بها الصادقون فتعرف
مقاطع الكلمات وكيفية النطق من اختلاف بسكون او حركات وتعرف
فرق ما بين الحقيقة والمجاز والنص والظاهر والمجمل والمتاول والعام والخاص
والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ الى امور كثيرة تعرف في علم الاصول
وان كنت ممن لم يسمع من الصادقين فلا بد لك من ان تنظر في الذي بلغك ذلك
الدليل على يديه ان كان يجوز عليه الغلط والسهو اولا فان كان ممن يجوز عليه
الغلط والسهو فلا تلتفت الى خبره في هذا المقام وهذا النوع هو الذي يسمى
عندنا اخبار الاحاد ولها محل تقبل فيه بعد مراعاة شروط وتعرف ذلك
في موضعه واما مسلك الذي تصديت له فلا يتوصل اليه بهذا الطريق فان المطلوب
هنا حصول العلم ولا يحصل العلم بقول من يجوز الخطا والسهو عليه في خبره
وان كان مما لا يجوز عليه شي من ذكرناه عادة فهو الذي يحصل العلم بقوله
وهو العدد الكثير الذي يحيل العادة عليهم الكذب وهذا الخبر هو الذي يسمى المتواتر
وللتواتر شروط واحكام تعرف في موضعها فاذا تقررت هذه المقدمة
فانا اسالك سوال منصف لا معنف واقسم عليك بدينك قسم
متلطف لا متعجرف هل توفرت لديك هذه الشروط ام هل اكثرها عندك مطرح
مسقوط فان انصفت واعترفت علمت انك على العلم بها ما حصلت فينبغي
لك ان تطلب حصول العلم من بابه وان تجتهد في تحصيل اسبابه وان
ادعيت علم ذلك علم انك مغالط معاند جائر عن الحق وحائد وكفى بكلامك في
كتابك هذا على كذبك شاهد ثم على قرب تفتضح اذا اخرست عن جواب ما عنه
سئلت فعجل بالجواب والاتيان بالكتاب وان ابيت الا تماديا في غيك
واستمرارا على جهلك وبغيك ارينك اختلال هذه الشروط عندكم عيانا

واقمنا

واقمنا على فساد كتبكم حجة وبرهانا وذلك انا نقول ان من اعظم كتبكم
التي ترجعون اليها وتعولون في احكامكم عليها التوراة والانجيل وكفى بهما شرفا
وشهرة انهما عندكم كلام الملك الجليل وانتم تدعون انكم تناقلتموها جيلا
بعد جيل وانا سنبين ان شاء الله ان نقلها انما هو بطريق الاحاد وان الغلط
والسهو يجوز على ناقليها وبها يبطل منها المراد واذكر ان شاء الله تعالى بعض ما وقع
فيها من التناقض والتحريف والقلب والتصحيف وانبه على قبيح ما تنسبونه فيها
الى الله تعالى من القول السفساف السخيف وما تنتقصون به الانبياء اولي
الفضل والشرف بحول الله وحسن عونه وابدا بالتوراة لتقدمها في الرتبة
والزمان ومعتبرها عند اهل الاديان **فصل** في بيان بعض ما طرى
في التوراة من الخلل وانها لم تنقل نقلا متواترا فتسلم لاجله من الخطا والزلل
فاقول ذلك انها لم تنزل على ما كانت عليه في الالواح التي كتبها الله لموسى ولا
على ما نسخها لهم موسى بل زيد فيها ما ليس منها ولا كان في الالواح التي كتبها
الله لموسى ويدل على ذلك ان في اخر السفر الخامس ان موسى توفي في ارض
مواب ودفن في الوادي في ارض مواب بازا بيت المقدس بغورا ولم
يعرف انسان موضع قبره الى اليوم وكان قد اتى على موسى اذ توفي مائة وعشرون
سنة ولم يضعف بصره ولم يتشنج وجهه وبكا بنو اسرائيل على موسى ثلاثين
يوما في عربة مواب فلما تمت ايام حزنهم على موسى امتلا يوشع بن نون من
روح الحكمة لان موسى كان وضع يده على راسه في حياته وكان بنو اسرائيل
يطيعونه ويعملون كما امر الرب موسى ولا يشك الواقف على هذا التاريخ وذكر
الوفاه انها ليست مما انزل الله على موسى ولا مما كتبها موسى على نفسه
وانما هي من اثبات من اراد ان يثبتها بعد وفاة موسى بزمان ويدلك
على ذلك قوله ولم يعرف انسان موضع قبره الى اليوم يريد الى اليوم الذي كتب
فيه هذا وهذا بين عند المنصف ومع بيانه فليس احد من اليهود والنصارى
فيما اعلم يقول ان التوراة زيد فيها شي بعد موسى ولا يفرق بين هذا الكلام
وغيره بل هي كلها عندهم كلام الله وهذا جهل عظيم وخطا جسيم فهم بين

امرين اما ان تقولوا ان هذا الكلام مما كتبه الله لموسى واخبر به موسى او تقولوا
انه ليس مما اخبر الله به موسى ولم يخبر به موسى فان قالوا الاول كذبهم
مساق الكلام فان اليهود منه على القطع انه كتب بعد وفاة موسى بزمان
وان قالوا الاخر قيل لهم فلاي شي خلطتم كلام الله بكلام غيره واخرجتموها
في نسق واحد وزدتم على كلام الله ولم تشعروا بذلك بل نسبتم كل ذلك
الى الله انه انزله واذا جاز زيادة مثل هذا ولم تتحرزوا منه جاز ان يكون كل حكاية
فيها عن الانبيا التي لا يليق ذكرها بسفلة الناس هو غالب الظن ولا نعلم
الغيب الا الله ان السفر الاول هو سفر البدو والانساب مما زيد على
كلام الله تعالى ولم يشعروا بزيادته ومما يدل ايضا على هذا المعنى ان كثيرا
مما يحكى فيها وكلم الرب موسى وقال له اقبض حساب بني جرشون
وكلم الرب موسى وقال له كلم بني اسرائيل ومثل هذا كثير وهذا يدل انه
ليس مما قال الرب لموسى ولا مما قاله موسى لهم اعني لفظ كلم الرب موسى
وقال له وما اشبهه في لفظ الحكاية عنه وانما هو شي حكي عنه بعد انقراضه
واضيف الى كلام الله ثم لا يعرفون من الحاكي واذا جاز مثل هذا ولا يشعرون
به جاز ان يكون اكثرها متغيرا او مبدلا وليس من كلام الله ولا من كلام موسى
ولا يشعرون به ومن وقف عليها متتبعا لهذا المعنى قطع بان ما زيد
فيها ما ليس منها وعند انكشاف الغبار يتبين افرس تحتك ام حمار
ماء ولا كصدا ومرعى ولا كالسعدان ولقد حفظ الله القران العظيم فقال
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولذلك كره علماونا رضوان الله عليهم
كتب التفاسير واسما السور في المصحف وان كانت بخط اخر ولون اخر وقد
اتفقوا فيما احسب على انه لا يجوز كتب فواتح السور اعني اسماها بخط المصحف
ويكون مراده لئلا يختلط به ما ليس منه فالحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم
والنهج المستقيم واما بيان انها ليست متواترة فهو ان اليهود عن بكرة ابيهم
يعترفون ولا ينكرون ان التوراة انما كانت طول مدة ملك بني اسرائيل
عند الكوهن الاكبر الهاروني وحدها وعنه تلقيت ولا ينكر ذلك منهم ولا منكم

الا مجاهر بالباطل وكذلك ما يحكى من قتل بخت نصر جميع بني اسرائيل
واحراقه كتب التوراة حيث وجدت واتلاف كل ما كان بايديهم حتى لم تترك
بايديهم الا عددا يسيرا لا يحصل بخبرهم العلم وكان قد اجلاهم الى بابل وهدم
البيت او لعله كان الباقي منهم عددا كثيرا الا انهم لا يكونون كلهم تحفظوها بل
كانوا عددا يسيرا لا يحصل العلم بقولهم وهذا قبل المسيح بخمسمائة سنة
وكذلك وقعة طيطس بن اسبسيان التي كانت بعد المسيح الى اربعين سنة او نحوها
المتعرفة التي هم عليها اليوم وايضا من المعروف عند الجميع بحيث لا ينكره الا
مكابر مجاهر وهذه الامور كلها مما يقدح في النقل الذي يدعونه متواترا ثم
الامور كلها المذكورة ان واتفقوا على وقوعها فقد اعترفوا بعدم التواتر فان
من شرط خبر التواتر ان ينقله العدد الكثير الذي يحيل العادة عليهم التواطو
على الكذب والغلط عن عدد مثله هكذا ولا ينقطع فان رجع الخبر الى
عدد لا يحيل العادة عليهم الكذب لم يحصل بذلك الخبر العلم الذي لا يكون
متواترا وان لم يوافقوا على وقوع هذه الوقايع هكذا لم يقدروا على جحد
اصلها واذا اعترفوا باصلها لم يقدروا ان ينكروا امكان وقوع
ما يعترفون باصله ويجوز وقوع ذلك لتحقق وقوع ذلك في عدم حصول العلم
بالخبر الذي يدعون انه متواتر واما بيان التحريف فيها فهو ان اليهود تعترف
بان السبعين كهونا اجتمعوا على تبديل ثلثة عشر حرفا من التوراة وذلك
بعد المسيح في زمان القياصرة ومن اجترا على حرف من كتاب الله وتحريفه
فلا يوثق بالذي في يديه مما يدعي انه كتاب الله لعدم الثقة به ولقلة مبالاته
بالدين وايضا فلعله قد حرفه كله او اكثره وكذلك يقرون ولا ينكرون ان
طايفة منهم يقال لهم السامرة حرفوا التوراة تحريفا بينا كبيرا والسامرية يدعون
عليهم بمثل ذلك التحريف وكذلك النصارى ايضا يدعون على اليهود انهم حرفوا
في التوراة التاريخ ويزعمون انهم نقصوا من تاريخ ادم صلى الله عليه وسلم
الف سنة ونحو المايتين وهذه احتمالات توجب على العاقل التوقف فلا يدعي
حصول العلم بنقل التوراة مع انفتاح هذه الاحتمالات الا مجاهر متعسف

فان قيل كيف يصح ان يقال هذا وقد كان الانبيا بعد موسى عليه السلام
يحكمون بالتوراة ويرجعون اليها واحدا بعد واحد الى زمان يحيى وعيسى
ثم بعد ذلك تناقلها النصارى كما تناقلها اليهود خلفا عن سلف الى
اليوم وان جاز تطرق التحريف الى ما هذا سبيله فيلزم عليه ان يحكم الانبيا
بالباطل ويلزم عليه ايضا ان يقروا على الباطل غيرهم وهذا كله باطل على
الانبيا ويلزم عليه ايضا ان لا يحصل العلم بخبر متواتر ولا يوثق بكتاب
يدعى انه جا عن نبي فنقول وبالله التوفيق انا لم نعين لوقوع التحريف
فيها زمانا ولا عينا من حرف منها شيا ولا من الحق بها شيا وانما
ابدينا تلك الاحتمالات لنعلم ان الذي في نفوسكم من الثقة بها انما هو اعتقاد
جزم وليس بعلم ومما يدل على قبول تلك الاحتمالات وانها قادحة في دعوى
العلم بسلامتها انا لم نقف على ما تلقته من موسى بل زيد فيها ما لم يتلق
من موسى مثل الذي حكيناه من ذكر وفاته وحزن بني اسرائيل وحكاية قول
كلم الله موسى وهذا يعلم على القطع ان اسلم نقله لموسى ولا موسى قاله عن نفسه
يعلم ذلك من وقف عليه وتتبعه بضرورة سياق الكلام ولا بد فالذي زاد ذلك
لعله الذي وقع الخلل من جهته واما ما ذكرتم من حكم الانبيا فليس فيه حجة
لامكان ان يتنازعوا في قولكم كانوا يحكمون بها بل لعلهم كانوا يحكمون بما كان
الله يعلمهم بما يوافق شريعة موسى ولا يخالفها ولو سلمنا انهم كانوا يحكمون بها
فنقول كل شي حكم بها الانبيا من التوراة فليس بمحرف واما ما لم يحكموا به
منها فلعله هو الذي حرف مثل الاخبار التي حكيناها ونحكيها ان شا الله تعالى
فان قيل فيلزم منه ان يقر الانبيا على الخطا والكذب ويتحدثوا بالكذب
فانهم كانوا يتحدثون بها قلنا فليس بكاذب من حكى شيا يعتقد صحته
لا يتعلق به حكم لله تعالى وان كان ذلك الخبر في نفسه مخالفا لما في الوجود فانه
انما حكى عن اعتقاده وهو حق وانما الكاذب الذي يخبر عن الشي بخلاف
ما هو عليه مع العلم بذلك وهذا حد الكذب عندنا وحقيقته وهذا انما يجوز
في حكاية الاخبار التي لا يتعلق بها حكم واما ما تعلق به حكم منها فلا يجوز ذلك اذ

الانبيا

الانبيا معصومون مما يبلغونه من الاحكام عن الله تعالى وايضا فان هذا حذرا من
ان ينسب الى الله ما لا يليق بجلاله ان ينزله في كتابه ولا ان يناجي به صفوة
احبابه من الفواحش والفجور التي حكوها في التوراة وادعوا انه فيها مسطور
مع انه ليس في ذكرها فايدة بل هي بكل صلاة عايدة وكذلك نبرئ موسى
والانبيا بعده صلوات الله عليهم عن ذلك الكلام الغث الركيك الذي لو حكي مثله
عن بعض السفلة لانف عنه واستحيى منه ولما كان ينبغي لعاقل ان يلتفت اليه
ويصغي اليه ولكان يجب عليه ان يعرض عنه وينكره اذا سمعه وهذا اذا كان
محكيا عن السفلة فكيف اذا حكاه الله تعالى عن نفسه او خيرته من خلقه الذين براهم
الله عن الكبائر والنقائص التي تناقض نبوتهم فهم اكرم الخلق عليه ولطفاهم لديه
وايضا فان الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والغيبة والبهتان والاثم
ثم يتعامل بها مع اكرم الخلق عليه في نفوسهم وذراريهم وينالهم وينسبها اليهم
ويشيعها ابد الابدين عنهم هذا مما لا يليق بجلال الله والقايل بوقوع هذا مستهزي
مفتر على الله ويستقل بعض ما حكوا في التوراة من هذه القبايح ان شا الله تعالى
ثم نقول لو سلمنا انها لم تحرف في زمن الانبيا لا نامن ان تكون حرفت بعدهم
وذلك بعد وقعة طيطس حيث اجلاهم والذين تنصروا منهم عدد يسير لا تقوم
الحجة بقولهم وان قلنا انهم كانوا عددا كثيرا فلم يكن كل واحد منهم من يحفظها ولا
يضبطها ثم نقول للنصارى ان انكرتم ان يكون شي من التوراة حرف فلاي
شي تقولون ان اليهود حرفوا في التوراة نسب ادم جاز في غيره وهذا
بين واما قولهم يلزم ان لا نقبل خبر متواتر ولا يوثق بكتاب نبي فلا يلزم شي
من ذلك فان الخبر اذا تطرق اليه امثال هذه الاحتمالات فلا يكون متواترا اذا
كان حاملها واما كتب الانبيا فكل كتاب تطرق اليه امثال هذه الاحتمالات
فلا يوثق بنقله ولا يعول عليه لامكان تلك الافات ولعل انكم تجلبوا نحو
كتابنا فتقولون كتابكم لا يلتفت اليه ولا يعول عليه فنقول هيهات انما
قلنا كل كتاب تطرق اليه شي من تلك الاحتمالات وكتابنا منزه عن امثال
تلك الافات فان الله تعالى تولى حفظه واجل من كل صيانة حفظه

فصانه بنطقه الذي لا يقدر الجن والانس على انه منه فلا يختلط به كلام متكلم ولا
يقبل وهم متوهم اذ ليس من جنس كلام البشر وهو معدود الآي
والسور ثم صانه بان يسره للحفظ والاستظهار فيستوي في نقله الكبار والصغار
لا يختص بحفظه احد والولد اذا نقص منه حرفا واحدا او غير حركة منه رده
واصلحها عليه الوالد ومع هذا فحروفه وكلماته وايه وسوره في الدواوين معدوده
واشكال كتبة حروفه فيها مقيده ومع هذا فتنقله الامم التي لا تحصى عن الامم
التي لا تحصى حتى يصل ذلك الى النبي المصطفى مع قرب العهد والتشمير
في صيانته والجد واستعمال القانون النحوي وتثقيف اللسان العربي فبهما كمل
اسباب الصون وحصل لنا بهما على فهمه اكبر العون فلله الحمد على ما اولى والشكر
له على نعمه التي لا تحصى فاين اللؤلؤ من الخزف والياقوت من الصدف
وبعد هذا فالآن جاز لنا ان نذكر بعض ما وقع في التوراة مما تطرق اليها التهم من
ذلك ما ذكروه فيها في المصحف الاول منها وراى الله ان قد كثر فساد الادميين
في الارض فندم على خلقهم وقال سأذهب الادمي الذي خلقت على الارض والخشاش
وطيور السما لاني نادم على خلقها جدا وهذا في حق الله تعالى محال اذ الندم انما
يلحق من لا يعلم مصير المندوم عليه وماله واعتقاد هذا في حق الله كفر اذ ينبي عن
ان الله جاهل وانه متغير تعالى عن ذلك علوا كبيرا سقط المعلم عليه ولفظ الندم
هنا نص لا يقبل التاويل فهو كذب وباطل قطعا ومن ذلك ما ظهر في الوجود
خلافه وذلك انهم حكوا فيها ان بني اسرايل يسكنون تلك الارض الى الانقراض
ثم لم يلبثوا ان رايناهم اخرجوا منها الى الغير فقد ظهر ان ذلك باطل وكذب
ومن ذلك ايضا انه حكى فيها انه حكى فيها ان الله تعالى كالانسان شخص وجوارح
كشخص وجوارح وهذا على الله محال بالضرورة ولا للتاويل في هذا اللفظ مجال ثم
اين هذا من قوله ليس كمثله شي وهو السميع البصير ومن ذلك ايضا ان الله
حين امر بني اسرايل بالتوجه الى الشام وعدهم ان يتوجه معهم وامرهم ان يعملوا
له قبة على صفة كذا ينزل فيها في سيره معهم ثم ان موسى قال له يا رب ان هذه
الامة الفاحشة فانا لا امضي اليك الى الشام حتى تمضي معها كما وعدتها فقال الله
نعم

نعم اعملوا لي القبة فعمل موسى القبة وسماها قبة العهد وسار معهم في
داخل القبة ينزل بنزولهم ويرحل برحيلهم هذا نص التوراة ومما يذكرونه من
بقية هذا الخبر وليس في التوراة انهم حين جمعوا المال لعمل هذه القبة الموعودة
انفاقه على يد موسى عليه السلام فلما كمل عملها ادعوا عليه ان قد نقص من المال
الف رطل وسبعمائة رطل وخمسة وسبعون رطلا وقالوا لموسى قسم فيها الى
بعض هذا المال وانا حوي الانفاق على يديك فسمعوا صوتا من السما يقول لهم
ان هذا العبد دخل في رؤوس الاعمى وفي التغشية محتبية فكفوا عنه فهو كأن
لم يعرفوا الله تعالى حق معرفته ولا قدروه حق قدره فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل
لهم مما يكسبون ومن ذلك ايضا انهم ذكروا فيها ان الله قال لهم ان يضربوا القرن
في عسكرهم قليلا قليلا حتى يلقوا عدوهم محبة يضربونه باشده ما يقدرون
عليه ليسمعهم الله تعالى فيؤيدهم على عدوهم فكانه سبحانه لا يسمع الا الاصوات
العالية فاين هذا من وصف الله تعالى نفسه في كتابه على لسان نبيه حيث
قال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى
ومثلها من هذا النوع كثير لو ذهبت انقله لطال الكتاب ولخرجنا عن مقصود الباب
وينبغي ان نذكر الآن ما جا فيها مما ينزه عنه الانبيا عليهم السلام من ذلك
ما حكوه في السفر الاول عن لوط انه طلع من صاغار فسكن الجبل هو وابنتاه معه
فجلس في مغارة هو وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى قد شاخ ابونا وليس
على الارض رجل يدخل علينا فهلمي نسقي ابانا الخمر ونضطجع معه في مضجعه ففعلتا
وحملتا منه بولدين مواب وعمون هذا لوط من رسل الله الاكرمين اوقعه الله في
فاحشة لم يوقع الارذلين ثم خلد ذكرها في الاخرين وهل هذا الا عين الاهانة واي
نسبة بين هذا وبين النبوة والكرامة وكذلك ايضا حكوا فيها ان اسحق
لما شاخ وعمي بصره دعى بعيصو ابنه الاكبر ليتبرك عليه ويدعو له بالنبوة فتحيل
يعقوب عليه فقال له اسحق ابوه من انت فقال له انا عيصو فقال له ادن
مني حتى احسك فدنا منه وقد كان وضع على يديه شعرا تكيدا فقال له
الصوت صوت يعقوب والمجسة مجسة عيصو فبرك عليه ودعا له بالنبوة

وبشره بها وهو علي غلط فيه ثم بعد ذلك جا عيصو وقال له ربي اصطادني
فقال له دخل اخوك بمكر فحصل بركاتك فقال عيصو بعد بكا وحزن اما تركت من
البركات شيا ابركني واحده لك يا ابه فما اعظم هذه الامة التي تنسب حديث خرافه
ومن ذلك ما ذكروه فيها ايضا ان يعقوب بينا هو يصلح خيمته وينصبها
مشي ابنه روبيل وهو اكبر اولاده فضاجع سرية ابيه بلها ولما علم بذلك
يعقوب قال لابنه روبيل سلكت علي وجهك كالما فلذلك لم افضلك بالسهم
الزايد حيث امتهنت فراشي وتفسير هذا ان سنة الميراث كانت عندهم ان يرث
الولد الاكبر سهمين وساير الولد سهما واحدا فعاقب يعقوب ابنه روبيل
علي فعله بسريته فانه لم يفضله بالميراث علي انه كان اكبر ولده ولذلك حكي فيها
ايضا ان يعقوب قال له يا روبيل انت بكري وقوتي وراس حراني ودعواي
طايفة الكرامة وطايفة العز والمنعة عرب مثل الما فلا تمكث اذ صعدت الي مضجع
ابيك حقا لقد نجست مضجعي وساوله ومن ذلك ما ذكروه فيها ايضا
ان يهودا ابن يعقوب زوج ابنه تامار امراة ولديه وقد كانا يهلكا عنها واحدا
بعد واحد فردها يهودا الي بيت ابيها ووعدها بتزويج ولده الثالث المسمي
شيلا اذا كبر ثم انها تصدت ليهودا في طريق غنمه وتسترت جيدا فظنها
بغيا فعدل اليها ودعاها الي نفسه فسالته اجرا فوعدها بجدي من غنمه فطلبت
منه رهنا فاعطاها خاتمه ومنديل وعصاه فواقعها فزعموا انها حملت منه ثم ان يهودا
ارسل بالجدي ليطلب رهنه فلم يوجد المراة فجا بنفسه الي اهل القرية وقال لهم اين
قحباكم المتبطلة علي الطريق فقالوا ما كان منا علي الطريق قحبا ثم قيل له بعد
حين ان كنتك تامار حبلي فقال تحرق بالنار فاخرجت لتحرق بان ارسلت فقالت
اني انا حامل منه وهذه رهنه بيدي حين زنا بي ليفكها بجدي من غنمه فعرف
ذلك يهودا وقال هي اصدق مني وفي بقية هذا الخبر خرافه وذلك ان تامار
لما جاها المخاض كان في بطنها توامان فتناولت القابلة خيطا عقدته في
يده وقالت هذا يخرج اولا فرد يده فخرج اخوه فقالت لقد احدثت فيك
ثلمة عظيمة وحكي فيها ايضا ان زينا بنت يعقوب خرجت لبعض شانها

فنظر

فنظر اليها سخيم بن حمور الرباني فعشقها واحتملها فواقعها وافتضها ثم ان سخيم
قال لابيه حمور اخطب لي هذه الجارية لتكون لي امراة فبلغ ذلك يعقوب
وانهم قد نجسوا ابنته فصمت يعقوب واطرق حتي اتاه بنوه فلما بلغهم ذلك
اغتموا وساهم ذلك واشتد عليهم ذلك جدا لانهم ارتكبوا النجاسة من
اسرايل ثم ان بني يعقوب تعاقدوا سخيم وحمور اباه وقومه علي انهم اذا اجسوا
انكحوه اختهم ثامارها ثم قالوا لسخيم لا نقدر ان نزوج اختنا من رجل له غرلة
ولكن اذا اختتنتم زوجناكم اختنا وبناتنا ونتزوج بناتكم ففعل القوم ذلك
فلما اشتدت بهم اوجاعهم تناول شمعون ولاوي كل واحد حربه ودخلا علي القرية
بغتة فقتلا كل ذكر فيها ومثل هذا كثير مما يخرج استقصاه الي التطويل وكذلك
حكوا فيها ايضا من وعيد الله لبني اسرايل بالفاحشة والقبيح ما لا يقبله عقل
صحيح مثل ما حكوا ان موسي قال لبني اسرايل في الوصية التي وصاهم بها
حيث قال لهم ان كفرت بربك وحدت عن سبيله وعبدت الالهة الاخرة
يبتليك الله بداء مصر وبضرب الحزن من جسدك الذي تقعد عنه الشرك
بالجرب والحكاك الذي لا دوا له ويزوج زوجا ويضاجعها غيرك وهذا الكلام
يتضمن ان الله تعالي توعد بني اسرايل من عبد غير الله منهم بثلاثة انواع
من الفواحش لا ينبغي لذوي المروات ان يتلفظوا بها ولو اسقطوا مروتهم
فتلفظوا بها ما كان ينبغي لهم ان يتوعدوا بها ولا ان يتعدوا ذلك الوعيد
لفحشه ثم انهم يلزمهم علي هذا الحد ثلاثة امور احدها ان يكون هذا الكلام باطلا
او كذبا علي الله تعالي عن ذلك او يكون بنو اسرايل كل من اشرك منهم وعبد
غير الله ان يبتلي بهذه الادوا الثلاثة وان يكونوا بني زنا ولا يقدرون ان ينكروا
انهم قد اشركوا بالله وانهم عبدوا الاوثان بعد موسي فيلزم علي ذلك
ان لم يكن الكلام محرفا ان يكونوا كلهم بني زنا وقرنانين وموصوفين بالفاحشة
الكبري وحكوا في سفر ملاحيم ان داود عليه السلام اطلع من قصره فراي امراة
من بنات المومنين تغتسل في دارها فعشقها وبعث فيها فحبسها اياما
حتي حبلت تعالي الله ان يجري ذلك علي رسله ثم ردها وكان زوجها يسمي اوريا

عايا من العسكر ولما علمت المراه بالحمل ارسلت به الى داود فبعث داود الى
ابان بن صرويا قايد على العسكر يامره ان يبعث اليه باوريا زوج المراة فجاءه
فصنع له طعاما وخمرا حتى سكر وامره بالانصراف الى اهله ليواقعها
فينسب الحمل اليه ففهم الامر اوريا وتحاشا فلم يمش الى اهله وقال حاش
ان يكون الملائكه هنا دون اهل وامشي انا الى اهلي فلما تبين داود منه
رده الى العسكر وكتب الى القايد ان يصدر به في القتال مستقبلا له
فقتل اوريا وقتل معه من المومنين سبعة الاف وفزع القايد من داود
لقتل العدد العظيم من المومنين وقال للرسول اذا انت اخبرت
الملك داود بقتل الناس ورايته قد غضب قل له سريعا ان اوريا قتل
فيهم ففعل الرسول وسكن داود من بعد الغضب وسر بموت اوريا
وما ابت عليه من اجل موته وما آل المومنين فاعتبر بهذه الفواحش المنكرة
وهذه الصفات المذمومة المستقذرة هل يلق باولي الديانات
فكيف بمعدن النبوات وهل يحل ذكرها عند المروات فكيف عند الحق
الكريم آله المخلوقات تبا لهم ولقصدهم وخسرا ولعنه وحدها وعمرا فواه
لقد افتروا على رسل الله وكذبوا على كتب الله افترا على الله قد ضلوا وما
كانوا مهتدين وكتبوا في هذا المصحف ايضا ان امنون بن داود عشق
اخته ثامار بنت داود وتمارض فعاده ابوه فتمنى عليه طعاما يطعمه
اياه اخته ثامار فبعث بها داود اليه فلما قربت اليه الطعام وضع يده عليها
واغتصبها فخرجت باكيه فلقيها اخوها الاخر شقيقها انشالوم فاخبرته
فهون عليها ثم بعد ايام وثب على امنون فقتله من اجل ذلك
وكتبوا في هذا المصحف ان انشالوم بن داود نافق على ابيه واخرجه
على مصره ودخل على نسايه فوطيهن كلهن على اعين بني اسرايل استبلاغا
في الانتقام من ابيه ومن اقبح ما كتبوا في هذا المصحف عن سليمان بن داود
انه ختم عمره بعبادة الاصنام والسحر وتبيت نساه دينه كذبوا
قاتلهم الله انى يوفكون اذ بالا باطل والفواحش يتقولون ويتخرصون

ولقد

ولقد صدق الله العظيم ورسوله الكريم حيث قال في محكم كتابه الكريم
واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن ا
الشياطين كفروا فغضب الله عليهم وعلى من يصدقهم الى يوم الدين
ولعنة الله والملايكة والناس اجمعين فهذه الحكايات الوخيمة
والاقوال غير المستقيمة تضمنت الاخبار عن لوط بانه زنا بابنتيه وانهما
حملتا منه من الزنا وان نبوة يعقوب انما حصلت بان خدع اسحق ومكر به
وانما كانت لعيصو وان داود زنا بامراة مومنة زوجة مومن وان داود
تحيل على زوجها حتى قتل وقتل القتلة جماعة من المومنين فسر بذلك
وان ابنه روبيل زنا بسرية ابيه يعقوب وكذا يهودا زنا بكنته ثامار
وولدت له من الزنا توامين وان ابنة يعقوب زنيا زنا بها شخيم بن حمورا
وان اولاد يعقوب بعد ان امنوه وعقدوا معه غدروا به وقتلوه واباه
واهل القرية وان امنون بن داود زنا باخته ثامار بنت داود وان اخاها
انشالوم قتله غيلة وغدرا وان انشالوم زنا بنسا داود ابيه وان
سليمان ارتد عن نبوته وعبد الاصنام فان بيت هذا الذي ذكروه في
كتبهم وتعالى الله والانبيا عن قولهم فهذا الشعب الذي ذكروا فيه
هذه الفواحش ليس هو شعب النبي اسحق بل هو شعب غدر وزنا
وكفر ونفاق وكيف يصح ان يكون هذه الافعال القبيحة افعال اهل نبوة
صحيحة بل كل ذلك يناقض النبوات لا سيما مع دعا ابراهيم واسحق
لذريتهما بالبر والبركات فان كان هذا شعبهما الذي دعوا له بالبر والبركة ف
قد عاوهما غير مسموع وقولهما مردود مدفوع ثم بهذه الحكايات الوخيمة الفاحشة
غير المستقيمة في التوراة امور اخر تعارضها بل وادلة العقل تناقضها
من ذلك ما حكي فيها من مدح لوط على لسان ابراهيم وشهادته له بالبر
وذلك ان الله لما اعلم ابراهيم بانه يريد ان يهلك سدوم وعمورا وهما
مسكن قوم لوط قال يارب اتهلك الابرار مع الفجار يعني بالابرار لوطا
وبنتيه فسماهم ابرارا وشهد لهم بذلك بين يدي الله تعالى وكيف يصح

ان يكون انبياء لوطا من الابرار ويوقعان انفسهما في ان يزني بهما ابوهما
نبي الله ثم لم يعصمه الله من مثل هذه الرذيلة ثم ان الله سبحانه هذه
الفضيحة التي يتحدث بها على مر الدهر مع انه لم يسمع قط من الفسقة عن
من اجاز نكاح البنات وهل هذا من يعقله ونسبه الى الله الاجتراء والتواقح
على الله تعالى وكذلك ما كتبوه فيها من الحكايات التي ذكرناها في ذرية
اسحق لتعارضه ما حكوا فيها عن الله انه قال لابراهيم في غير ما موضع منها
لاباركنك بركة تامة ولاكثرن نسلك ويتبارك بنسلك جميع الشعوب
لانك اطعتني وكذلك قال الله لاسحق بعد موت ابراهيم انا معك
الكون وبارك لاني اعطيتك ونسلك جميع هذه الممالك وتبارك
نسلك جميع الشعوب وكذلك قال اسحق ليعقوب حيث مكر بعيصو
بزعمهم قاتلهم الله قال له يؤتيك الله من طل السما وخصب الارض يعبدك
الامم وتسجد لك الشعوب كن ربا لاخوتك يسجد لك بنو امك مباركوك
مباركون ولاعنوك ملعونون تامل بعقلك هذه الحكايات المتناقضة وما نسبوا
في كتبهم الى اكرم الخلق من المنال القبيح فاذا انت امعنت النظر وتشبثت
بنك العبر علمت ان هذه الحكايات بواطل وان ملحقها في التوراة ونسبها
الى الله منزه وبا جاهل وانما الحقها عدو الاديان اراد ان يقدح في صفوة الله
البهتان فحصل مراده حيث اغمض على المتشرعين الايمان ثم نقول
للنصارى بعد ذلك العجب منكم ومن جهلكم حيث صدقتم بوقوع هذه الفواحش
من الانبيا واعترفتم مع ذلك بنبوتهم ثم لم تجوزوا على الحواريين وقوع الغلط
منهم في ما حكوا لكم ان صحت الحكاية عنهم من اتحاد العلم بالجهل فان العقل
يدل بضرورته على ان ظاهر ذلك فاسد فهلا حملتم تاولتم ذلك او قلتم
انهم يجوز عليهم الغلط ولا يدل ذلك على نقصهم كما قلتم في الانبيا
الذين حكيت عنهم تلك الفواحش ولو فعلتم ذلك لكان الاولى عند العقلا

فصل في بيان ان الانجيل ليس بمتواتر وبيان بعض ما فيه من الخلل

فنقول وبالله التوفيق ان هذا الكتاب الذي بيد النصارى اليوم

يسمونه

يسمونه بالانجيل ليس هو الانجيل الذي قال الله فيه على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس واتيناه
الانجيل دون التوراة لان التوراة قد ثبت عندنا وعندهم ان الله تعالى
كتبها في الالواح لموسى ويدعي اليهود ان موسى عليه السلام نسخ لهم التوراة
من تلك الالواح فحصل من هذا ان التوراة تلقيت بجملتها عن موسى عليه السلام
ثم انه حدث فيها من التغيير بعده ما قدمنا ذكره واما هذا الكتاب الذي
يدعي النصارى انه الانجيل فقد توافق هؤلاء النصارى على انه انما تلقي عن اثنين
من الحواريين وهما متاوش ويوحنا وعن اثنين من تلاميذ الحواريين
وهما ماركش ولوقا وان عيسى عليه السلام لم يشافههم بكتاب مكتوب عن الله
كما فعل موسى ولكن لما رفع الله اليه عيسى تفرق الحواريون في البلاد
والاقاليم كما امرهم عيسى فكان منهم من كتب بعض سيرة عيسى وبعض
معجزاته وبعض احواله حسب ما تذكر وما يسر الله عليه فيه فربما تواردوا الاربعة
على شي واحد فحدثوا به وربما انفرد بعضهم بزيادة معنى ولذلك كثيرا ما يوجد
بينهم من الخلاف مساق وتناقض بين قولين وزيادة ونقصان ويستقرى بعض
ذلك ان شاء الله تعالى فهذا الاسم اي الانجيل كتاب الله المنزل حقيقة فان حقيقة
الكتاب المنزل بحكم العرف انما هي عبارة عن جملة من كلام الله المبلغة
عن الله على لسان رسول من رسله يحكيها ذلك الرسول عن الله تعالى وليس شي
من هذا موجودا في الانجيل فان سماه مسمى كتابا منزلا ولم يرد هذا المعنى
فلا بد ان نسأله عن المعنى الذي يريد بذلك الاطلاق فلا شك انه يقول
انما سميته كتابا منزلا لان عيسى جا من عند الله وبلغنا شرع الله وفي ذلك
الكتاب وصف سيرته وحكايات واخبار عن الله فكيف لا يقال عليه هو كتاب الله
ومنزل من الله فنقول له تسمية هذا كتاب الله بالمجاز او بالحقيقة فان قال بالحقيقة
فكلامه باطل فان حقيقة كتاب الله المنزل هو ما قدمناه وان قال بالمجاز فمعناه
لزمناه عليه ان يكون كل كتاب يحكي عن نبي من انبيا الله والفه
اي مولف كان كتاب الله المنزل ولا فرق واذا انتهينا الى هذا فقد حصل

عوضنا وهو ان هذا الانجيل الذي بايديهم ليس منزلا ولا يقال عليه كتاب
الله المنزل كما يقال على التوراة والانجيل والقران ونحو ذلك مما ينبغي
فقد حصل من هذا الكلام انه ليس منزلا من الله تعالى حقيقة وان نقله ليس
متواترا فانه راجع الى الاربعة الذين ذكرناهم والعادة تجوز عليهم الغلط والسهو
والكذب فان قالوا هم معصومون فيما نقلوه عن عيسى عليه السلام قلنا
ما دليل عصمتهم فان قالوا دليل عصمتهم انهم كانوا انبيا ودليل نبوتهم ما ظهر
على ايديهم من خوارق العادات وشهادة عيسى عليه السلام لهم حيث قال
لهم كل ما سالتموه اذا احسن ايمانكم ستجابون وقال لهم ستوقفون على الملوك
ويسلمونكم فلا تنكفوا بما تقولونه بانكم ستهدون ذلك الوقت لما تقولونه
ولستم تنطقون انتم لكن روح القدس تنطق على السنتكم وقد جا عن عيسى
عليه السلام انه دعى الاثنى عشر حواريا واعطاهم من القدرة والسلطان
ما يغلبون به جميع الجن ويبرون به الاسقام ولذلك قال لبنطر ما عقدته انت
في الارض فمعقود في السما وما حللته في الارض محلول في السما واما خوارق العادات
فقد كانوا يحيون الموتى ويبرون المرضى كما كان يفعل عيسى عليه السلام
وذلك معروف من حالهم قلنا اما ما ذكرتموه عن عيسى عليه السلام من الشهادة
لهم فلا يصح لكم الاستدلال بشي مما ذكرتموه لوجوه احدها انكم اسندتم ذلك
الى الانجيل واسندتم على صدقهم بما جا عنهم فيه وما جا عنهم فيه لا يثبت
حتى تثبت عصمتهم فلا يثبت بما ذكرتموه لا الانجيل ولا عصمتهم
الوجه الثاني انا لو سلمنا ذلك لكم لما كان فيما ذكرتموه حجة لانه ليس شي منها
ينص على انهم معصومون فيما اخبروا به على الاطلاق وغاية ما ذكرتموه عن عيسى
في بعض الاوقات او في بعض الا　والوجه الثالث انما ذكروه معارض
بما نقلوه ايضا وذلك انهم نقلوا في الانجيل انه قال للحواريين يا نسل
الشكل والكفر الى متى اكون معكم والى متى احتملكم واما ما قال لبنطر فهو
ايضا معارض بما حكيتم عنه انه قال له ارجع عني يا شيطان فانك جاهل
بمرضات الله واما ما ادعوه من معجزاتهم فلم ينقل منها شي على التواتر وانما هي

اخبار احاد غير صحيحة ولو سلمنا انها صحت لما دلت على صدقهم في كل الاحوال
وعلى انهم انبيا فان القوم لم يدعوا النبوة لانفسهم وانما ادعوا التبليغ
عن عيسى عليه السلام فظهر من هذا البحث ان الانجيل المدعى لم ينقل تواترا
ولم تقم دليل على عصمة ناقليه فاذا تجوز الغلط والسهو على ناقليه فلا يحصل
العلم بشي منه بل ولا غلبة ظن فلا يلتفت اليه ولا يعول في الاحتجاج عليه
وهذا كاف في رده وبيان قبول تحريفه وعدم الثقة بمضمنه ومع ذلك
نعمد منه الى مواضع تبين فيها تهافت نقلته ووقوع الغلط في نقله بحول الله
فاول ذلك انهم ذكروا في اول ورقة من انجيل متى حيث ذكر المسيح فقال
والد المسيح الذي هو بادي الاب وعلتها الاول هو علة جميع الاشيا وكل
زمان وراس كل نظام واوليه جميع المراتب ثم قال بعد ذلك في معرض
مدح الكلوم والجسمية المعلق في الخشبة كيف يجري على قلب ان يتحدث بمثل هذا
العار او كيف يصح نسبة هذا النقص البين الى احد من الاخيار وذكروا فيه
ايضا ان عيسى عليه السلام قال انا الباب فمن دخل على السلم رعى ابدا
ثم عرض بمن قبله من الانبيا فجعلهم لصوصا وسراقا فقال امين امين
اقول لكم اني انا باب الضان والقادمون عليكم كانوا لصوصا وسراقا
ولا يقبل اللص الا ليسرق ويذبح ويقتل وانا قدمت ليحيوا ويزدادوا خيرا
وفي الانجيل ايضا انه قال ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة
ولكن غيري يشهد لي ثم في موضع اخر في الانجيل انه قال ان كنت اشهد
لنفسي فشهادتي حق لاني اعلم من حيث جيت والى اين اذهب فكيف
تكون شهادته حقا وباطلا ومقبولة وغير مقبولة وكيف يجمع بين هذا
في كتاب ينسب الى الله وفي الانجيل ايضا انه حين استشعر بوثوب
يهود عليه قال قد جزعت نفسي الآن فماذا اقول يا ابتاه فسلمني في هذا الوقت
وانه حين رفع في الخشبة صاح صياحا عظيما وقال الى الى لم عز سان وترجمته
الهي الهي لم اسلمتني ثم اول ورقة منها انما اسلم نفسه لينظر قدرته وسلطانه
على الموت وظفره على جميع الالم واللذي التي تسعبها اوهام الادميين

فكيف يصح ويجزع مما يظهر به قدرته وقهرته وهل يسمع قط اسخف من
هذا القول او اظهر تناقضا منه ثم في موضع اخر منه انه قال قبل ذلك من
احب ان يتبعوا اثري فليذهب نفسه فحرص على اتلاف النفوس فكيف
يجزع مما يحرض عليه قبل ام كيف يكون الها ويجزع نفسه ام كيف يكون ابن الله
ثم يدعوه ان يخلصه في ذلك الوقت فلم يستجب له ومن اظهر الدليل على وقوع الغلط
فيه ان في انجيل متاوس الحواري حين ذكر نسب عيسى عليه السلام حتى
نزل خطيب مريم ابا لعيسى فقال ان يوسف بن يعقوب بن متان بن عازار
ابن اليود بن اخيم وعد الى ابراهيم الخليل تسعة وثلاثين ابا ثم في انجيل لوقا
يقول يوسف بن الي بن متان بن لاوي بن ملكي بن مساي وعد الى ابراهيم
نيفا وخمسين ابا فيا ليت شعري كيف يجوز مثل هذا على الله او كيف ينقل
هذا في كتاب معلوم عن الله وقد اراد بعض اساقفتهم ان يرقع هذا الخرق المتسع
بان قال احد النسبين طبيعي نسب التوليد والاخر نسب شرعي نسب الولاء
والكفالة والتناقض باق عليه بعد اختراع هذا الهذيان ثم انظر هذه الشناعة
التي ارتكبوها حيث نسبوا عيسى عليه السلام الى رجل زعموا انه خطب امه
مريم واي نسبة تثبت بينهما بان اراد ان يتزوج ام نبي الله ثم انهم يبلغون
نسب يوسف الى ادم ثم يقولون ابن الله فهلا يستغنون عن ذكر نسب من
لا نسب له لعيسى ويقولون في عيسى ما يقولون في ادم لولا الخطل والتحكم
وفي الانجيل ايضا انه كان يوما قد نهاهم عن التجارة في بيت المقدس وان
اليهود قالت له جئتنا باي علامة نطيعك لما قال تهدمون هذا البيت
وابنيه لكم في ثلاثة ايام فقالت اليهود بيت بني في خمس واربعين سنة
تبنيه انت في ثلاثة ايام ثم في موضع اخر منه انه لما ظفرت به اليهود سلطكم
وحمل الى فلاطس واسرعت عليه بينة ان شاهدي زور جاءا اليه وقالا
سمعنا هذا يقول انا قادر على بنيان البيت في ثلاثة وهذه شهادة
موافقة لما قال عيسى لليهود فهذا الشاهد قال عليه الحق على ما يقتضيه كلامه
ومن شهد بما سمع كيف يقال عليه شاهد الزور او كيف يسميه الله شاهد زور

ومن

ومن اعجب الاشياء ان اليهود لا تعرف شيئا من هذا ولا سمعت ان شيئا منها
جرى بينهم وبين عيسى عليه السلام وهذا المجلس ولا سوى ذلك مما يصفون
في مزخرفات كتبكم وفي الانجيل ايضا للوقا ان عيسى قال لرجلين من
تلامذته اذهبا الى الحصن الذي يقابلكما فاذا دخلتماه فستجدان فلوا
مربوطا لم يركبه احد فحلاه واقبلا به الي وفي الانجيل لمارقس يصف هذا الخبر
بعينه ويذكر انها كانت حمارة فحسبك بهذا خللا وتناقضا وفي الانجيل
ايضا للوقا يخبر عن المراة التي صبت الطيب على رجل المسيح وشق ذلك على
التلاميذ وقالوا الا هلا تصدقت به وفي الانجيل لمارقس انها انما
صبت الطيب على راس المسيح فما ابعد اليقين عن خبر فيه مثل هذا الاختلاف
وفي الانجيل ايضا ان ام ابني زبدي جاءت الى عيسى ومعها ابناها فقال لها
ما تريدين فقالت اريد ان تجلس ولدي احدهما عن يمينك والاخر عن
شمالك اذا جلست في ملكك فقال لتجهلين السؤال اتصبران على الكاس
التي اشرب بها فقالا نصبر فقال ستشربان بكاسي وليس الي تجليسكما
عن يميني ولا عن شمالي الا لمن وهب ذلك لي فقد اخبر هذا انه لا يقدر على
تجليسهما عن يمينه ولا عن شماله وفي اول ورقة منه انه هادي الاشياء
وعلتها وعلة كل زمن فكيف يصح ان يكون هادي الاشياء كلها وعلتها ولا يقدر
ان يجلسهما عن يمينه ولا عن شماله ثم يتبرا عن ذلك بقوله الا لمن وهب
ذلك لي ولا مزية في التناقض والفساد على هذا وفي الانجيل ايضا انه قال
لا تحسبوا اني قدمت لاصلح بين اهل الارض لم ات لاصلح بينهم لكن لالقي المحاربة
بينهم انما قدمت لافرق بين المرء وابنه والمراة وابنتها حتى يصير اعداء المرء اهل
بيته وفيه ايضا عنه انما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرا واصلح بين الناس
وانه قال من لطم خدك اليمنى فانصب له اليسرى ولا مزيد في التناقض
والفساد على هذا وفي الانجيل ايضا انه قال لم ات لانقض شريعة من قبلي
انما جئت لاتمم وكلاما في معناه ثم فيه بعد احرف قليلة كلام هو نقض
فيه شريعة من قبله وذلك انه قال اما علمت انه قيل للقدماء لا تقتلوا

ومن قتل هذا استوجب القتل وانا اقول كل من سخط على اخيه فقد استوجب
العقوبة ومن قذف اخاه فقد استوجب النفي من الجماعة ثم قال بعد
ذلك اما علمتم انه قيل للقدما من فارق امراته فليكتب لها كتاب طلاق وانا
اقول لكم من فارق امراته منكم فقد جعل لها سبيلا الى الزنا ومن زوج مطلقة
فهو فاسق ثم قال اما بلغكم انه قيل للقدما العين بالعين والسن بالسن
وانا اقول لكم لا تكافوا احدا اسيه ولكن من لطم خدك اليمنى فانصب له
اليسرى ومن اراد معك الشك وانتزاعك قميصك فزده ايضا رداك كيف
يصح ان يقول لم ات لانقض شريعة من قبلي ثم ينقضها احكاما ثم قوله حيث
منهما لا يصح ايضا وان شريعة موسى كانت تامة كاملة والتام لا يتمم والكامل
لا يكمل فهذا تناقض وفساد وعيسى عليه السلام منزه مبرا عن كل تناقض
وفساد وليس هذا وانما شيء منه من قبله هو منزه عن ذلك كله الانجيل
ايضا لمتى وفيه ان المسيح قال لبطرس طوبى لك يا شمعون بن الحمامة وانا اقول
انك الحجر وعلى هذا الحجر ابني بيعتي وكل ما حللته على الارض يكون محلولا في السما
وما عقدته على الارض يكون معقودا في السما ثم بعد احرف يسيرة قال له
اذهب عني يا شيطان ولا تعارض فانك جاهل يكون فكيف يكون شيطانا
جاهلا يطلع صاحب السما وهذا غاية التناقض الانجيل ايضا لمتى وفيه
ان عيسى قال لم تلد النسا مثل يحيى ثم في الانجيل ليوحنا ان يحيى بعث
اليه اليهود من يكشف لهم عن امره فسالوه من هو اهو المسيح قال لا قالوا
اتراك الياس قال لا قالوا انت نبي قال لا قالوا اخبرنا من انت قال انا
صوت مناد في المعاد فنفى عن نفسه كونه نبيا ولا يجوز لنبي ان ينكر نبوته
فانه يكون كاذبا والنبي صادق لا يكذب فيلزمهم احد امرين اما ان يكون
يحيى ليس بنبي وهو باطل او يكون انجيلهم محرفا وهو حق ولو تتبع
ما فيه من هذا القبيل لاحتاج ذلك الى التكثير والتطويل وموضع واحد
من هذه المواضع يحصل ان كتابهم قابل للتحريف والتغيير فكيف بالتزيد
والتكثير فقد حصل من هذا البحث الصحيح ان التوراة والانجيل لا يحصل

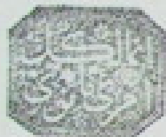
الثقة

الثقة بها فلا يصح الاستدلال بها لكونهما غير متواترين وقابلين للتغيير وقد
دللنا على بعض ما وقع فيهما من ذلك واذا جاز مثل ذلك في هذين الكتابين
مع كونهما اشهر ما عندهم واعظم عمدهم وسنده دياناتهم فما ظنك بغير
ذينك من ساير كتبهم التي يستدلون بها مما ليس مشهورا مثلها ولا منسوبا
الى الله نسبتها فعلى هذا هي اولى بعدم التواتر وبقبول التحريف منها فان
ادعوا تواتر شيء من ذلك فلينظر هل كملت فيه شروط التواتر ام لا فان كملت
قبلنا وامنا وان لم تكمل توقفنا وطالبناهم بالطريق الموصل الى العلم فاذا
ثبتت هذه المقدمة قلنا بعدها للمستدل على نبوة عيسى بالادلة المتقدمة
لا تظن انا نرد نبوة عيسى او انا نشك فيها حاشى بل نحن احق واولى
بعيسى ابن مريم منكم فانكم قلتم فيه ما لا ينبغي ونسبتموه الى ما تبرا هو
منه بل انتم لعمر الله ابعد منه وابغض اليه ممن انكر نبوته وكفر به فان من
انكر نبوته وكفر به لم يشرك بالله كما فعلتم انتم حيث جعلتموه الها آخر
ولم تعرض بعيسى عليه السلام لموقف الخجل الذي يسطه الله فيه على علوكم وعبادكم
حيث يقول الله له يا عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله فيقول خجلا فزعا متبرئا مما نسبتموه اليه سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته واما نحن فانما
نقول فيه ما قال الله على لسان رسوله المصطفى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد
خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وما قال الله ايضا فيه
على لسان اشعيا حيث بشر به واخبر بقدومه هذا غلامي المصطفى وحبيبي
الذي ارتضت به نفسي وما قاله هو عن نفسه حين تكلم في مهده اني عبد الله
اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة
والزكوة ما دمت حيا فنحن نعرفه حق معرفته ونؤمن بنبوته وشريعته ونحيل
عليه الالهية اذ ليست من صفته ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين
بما تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ثم انا نعرف ما ذكرناه من وصفه

بادلة كثيرة قاطعة وبراهين صادعة تخضع لها رقاب الجاحدين وتشفي بنورها
بصائر المبصرين واذا كان ذلك فما استدللت انت على نبوة عيسى من كلام
النبيين ان صح فهو زيادة في انواع الادلة لاني نعتقد اليقين فلذلك لا نباحثك
فيها ولا نسالك اتجهلها ام تدريها على انا لو ناقشناك في تلك الادلة لاظهرنا لك
فيها الفساد والعلة ولكن ما لا يخالف غرضنا ولا ينقضه فما بالنا نطول انفاسنا فيه

قال وانت ايها الانسان تحدوا ان كتابكم في آل عمران وانزل التوراة والانجيل
من قبل هدى للناس فانت مقر بالتوراة والانجيل فاثبتوا دينكم من التوراة كما
اثبتنا نحن ديننا من كتب الانبيا واعلم انه لا نقبل لكم من كتبكم شي فان قلت
من كتابك شيا قلت لك كما قال رسولك البينة على من ادعى واليمين على من انكر
فوجب عليك ان تثبت دينك من التوراة والانجيل التي انت مقر بهما
وانت مدعي ان كتابكم من بعد فاثبتوه من التوراة بالعبراني ومن الانجيل بالعجمي
كما انتم مقرون وقولكم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فانا في
اطلبك من الكتب التي جاءت بها الرسل كما قلتم فاتي بما ادعيته والايمين
لاني انكرك ولا نقبل لك من السوات والروايات عن مسلم في كتابه الذي قال
حدثنا سفين عن الزهري عن قتادة عن عائشة رضي الله عنها قالت
جات امراة رفاعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت له كنت لرفاعة
فطلقني فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير فتبسم الرسول ضاحكا وقال
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة حتى تذوقي عسيلته ويذوق عبد الرحمن
ابن الزبير عسيلتك وفي رواية اخرى عن عائشة قالت طلق رجل امراته ثلاثا
فتزوجها رجل ثم طلقها قبل ان يدخل بها واراد زوجها الاول ان يتزوجها
فسئل الرسول عن ذلك فقال لا حتى يذوق الاخر من عسيلتها ما ذاق الاول
فافهم فمثل هذه السوات لا نقبلها منكم لان المسيح يقول لا ينبغي للرجل طلاق
زوجته الا ان تزني وان زنت فلا يحل له مراجعتها ومن طلق امراته فقد جعل
له سبيلا الى الزنا اعني من طلقها دون سبب ومن زوج مطلقة فهو فاسق

بها وانتم تقولوا لا يحل لزوجها مراجعتها الا ان تزني بدل ان ينهوا عن الزنا
يامروا بالزنا وهو عندكم فريضة الناس وانا اريد قطع ذنب التيس
وان يجعل في رقبة السلوح استه لمعره صرصر السال وحماره فمص هجر الخنوب
وهذا جواب كلامك اختصارا فانك كما يقول قرآنك ومن انتصف بعد ظلمه
فلا جناح عليه فافهم ثم قلت في شعرك اراد النصارى ينصرون محالهم
فانظر انت محالك لانك قلت بالسفه والطعن في ديننا وقلت الكذب
على مسيحنا فكيف قلت عالم العلم وكيف تجرات ان تتكلم واعلم انك
ان ارسلت بعد هذا بالشتم فاني ابعث الى كل بلد كتابا بنص شريعتكم
وبكل ما يعرف منها من الاقاويل التي لا تقدروا على انكارها فافهم لانك قلت
في المسيح انه عصاه وطاروا انك ستحكم عليك وعلى جميع الامم يوم



القيامة لكن سوف تلقاه حاكما ليس يطلب بينة فان ارسلت بعد
هذا بالشتم فاني اعرفك مسخرتك ماهي حتى تعلم من انت واعلم
اني لم ارد في الاول شتم احد لكن لما ابعث الى اول كتاب بالسفه والسب
رددت له الجواب بامه هاجر ولم نقل فيها عشر ما قال الله فيها في التوراة فاسمع
قول الله عنها وعن ابنها اذا رات سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدت لابرهيم
وهو يلعب فقالت لابرهيم ارم هذه الامة وابنها ليس يرث ابن الامة
وابنها مع ابني اسحق فصعب على ابراهيم ما قالت له عن ابنه فقال الله
لابرهيم لا يصعب عليك مثل ام سارة عن الصبي وعن امتك وجميع
ما تقول لك سارة اسمع من قولها فقال ابراهيم هذا كلام الله الذي جا الا ربك
هذا ان الذي يخرج من صلبك هو يرثك ثم قال الله لابرهيم باسحق تسمى
نسلك فافهم ترشد واعلم كيف قطع الله ورث اسمعيل وامه في قوله
لا يرثك هذا ثم قال عن اسحق الذي يخرج من صلبك وكيف قال الله لابرهيم
باسحق يسمى نسلك ولم يقل باسمعيل يسمى نسلك فاخذ ابرهيم
خبزا وجرة ماء وجعل على اكتاف الامة وجعل اسمعيل على عنقها بالليل واخرجها
بولدها عن العمران فسلت منه الامة الذي قال فيها انتم اشد كفرا ونفاقا منهم

والسلام على من اتبع الهدى ومن شريعة المسيح حقيقة الايمان ورحمت الله
وبركاته كل كلامه
اعلم يا ايها المخدوع المصروف عن المعارف الممنوع النافع عليه جهله
بانه ليس بتابع ولا متبوع انا نؤمن بالله وكتبه ولا نفرق بين احد من رسله
فنؤمن بالتوراة والانجيل اللذين انزلهما على رسوليه الكليم الجليل ولكن قبل
ان يعتريهما التغيير والتبديل وقد بينا على ان الكتاب الذي بايديكم المسمى
بالانجيل عندكم لا يقال عليه منزل بالحقيقة كما تقدم من تلك الطريقة ثم انا نسلم
جدلا صحة ما تدعونه من تلك الكتب ونبين صحة نبوة نبينا منها عن كثب
فاما قولك واعلم انا لا نقبل من كتبكم شيا فليس ذلك باول عنادكم
فكم لكم منها وكم شنشنة اعرفها في اخزم لكنكم لستم عند العقلا اهلا لقبول
حق ولا رد باطل فليس ردكم باول من قبولكم وهذا فعل الرعاع الغثر الغثا
للعثر يقبلون بغير دليل ويردون بغير حجة ولا سبيل والا فما الدليل الذي اوجب
عندكم الا تقبلوا نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع وضوح معجزاته
ودلالة سابه على نبيه ان شا الله تعالى فظهر من هذا ان ردكم لدينا ليس بدليل
وانما هو لاجل اتباع قول كل جهول وخيل يحكم على عقله هواه ويطيع معه
حيث ما رماه ولاجل ذلك صار دينكم ضحكة العقلا مشتملا على كل مقالة شنعا
ومن كان هذا منهج سبيله فوطء معنى منابه قبوله ولقد كان ينبغي لك
لو كنت على سنن النظار اهل البحث عن الحق والاعتبار ان تحكي دينا
وتستدل بزعمك على فساده كما فعلنا نحن بدينكم اذ بينا تناقضه وعدم سداده
على انه قد تبين الصبح لذي عينين ووضحت الشمس للسليم الناشئين

ما ضر شمس الضحى في الجو مشرقة ... ان لا يرى ضوها من ليس ذا بصر

متواتحا في قولك مستهزئا برسول الله ربك فان قلت
من كان ذلك شيا قلت لك قال رسولك البينة على من ادعى واليمين على من انكر
اما قولك رسولك فنعم هو رسول الينا واليك فامنا وكفرت وصدقنا وكذبت
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فنحن نقول رضينا بالله ربا وبمحمد

رسول

رسولا وبالاسلام دينا واما انت فان مت مصرا على تكذيبك فليدخلنك الله
النار وليخلدنك في دار البوار ولا تنتفع بشفاعة ملك مقرب ولا نبي
مختار واما طلبك البينة على صدقه فكفاك شهادة الانبيا العارفين بمحمد الخبير
بلزوم تصديقه وصدقه وسنبين ذلك بابلغ بيان ونوضحه باوضح برهان
وعلى سبيل الاستعجال يكفيك بينة عدله ما وقع في صحف النبي دانيال حيث
وصف الكذابين وقال لا تمتد دعوتهم ولا يتم مرامهم واقسم الرب بساعده
الا يظهر الباطل ولا يقوم لمدع كاذب دعوة اكثر من ثلثين سنة وهذا دين محمد
صلى الله عليه وسلم قايم منذ ستماية سنة ونيف فكيف ترى هذه البينة
المصححه اسعوا عنك ام مجرحه في صحف النبي حبقوق وهو الان بد
العظيم الموثوق قال جاء الله من التيمن وتقدس من جبال فاران وامتلات الارض
من تحميد احمد وتقديسه وملك الارض بهيبته وقال ايضا تضي له الارض
وستنزع في قسيك اغراقا وترتوي السهام بامرك يا محمد ارتوا فهذا النبي الصادق
المصدق قد افصح بنعته وصرح باسمه وبلغ وشهد بصدقه ومن كان الانبيا شهوده
فقد استحق مكذبه عذاب النار وخلوده فلعنة الله والملائكة والناس اجمعين
على من تبين له الحق ثم صار عنه من المعرضين وسنعقد في النبوات فصلا
مفردا ونأتي فيه بالعجايب حتى يتبين فيه لوامع كل طالع غايب واما
قولك وانت تدعي ان كتابكم من الله فان كنت تنكر ذلك فادع عصابتك
البلغا من نصارى نجران المتكلمين بلغة القران ليعارضوه بسورة من مثله
فان فعلوا ذلك دحضت حجته وانقطع عظيم قوله لكنهم لما سمعوا منه
القران تحققوا على القطع انه ليس يقدر عليه احد من الانس والجان
وعلموا انه كلام الملك الديان فامنوا وصدقوا لما عرفوا وحققوا فحصلوا
على فضل المتقين واتاهم الله اجرهم مرتين واما قولك فاثبتوه من التوراة
بالعبراني ومن الانجيل بالعجمي فليعلم انا لولا انا كرهنا ان نسكن رطانة
العجم لكان ذلك علينا ايسر شي نلتزم ولكنا ان شا الله تعالى نذكر كلام الانبيا
من كتبكم كما قد ترجمها المترجمون من اهل ملتكم مثل يروم وحفص بن البر

وعجز جاهل من المترجمين الذين تثقون بقولهم وتعولون على نقلهم ولست
افعل مثل ما انت فعلت ولا اصنع شيا كما صنعت حيث نقلت كلام
الانبيا بالعبراني والعجمي ثم انك شرعت في ترجمته وفي تفسيره من ان
تنسب ذلك القول الى احد المترجمين العالمين بالمعاني واللغات
ومواقع الالفاظ واما انت فلست بموثوق بنقلك ولا مصدق في قولك
لجهلك بالشروط التي يحتاج اليها المترجمون وان ادعيت انك لست
جاهلا فما حد الترجمة وحقيقتها وما شروطها وكم اقسامها وما المحل الذي يجوز
يجوز فيه من الذي لا يجوز وبهذا السوال يظهر جهلك وتبلدك وحصرك
وترددك ثم قلت فان بما ادعيت والا يميني لاني انكر يا نا قد اقمت
البينات العدول الذي ليس لقايل في عدالتهم مقول ولقد اعلم مع ذلك
انك تبادر باليمين وتباهت المسلمين اذ قد تقولت بالكذب والزور على
رب العالمين ثم ذكرت على جهة الاستهزا والتنقيص والازدرا والتحريص
حديث امراة رفاعة لتقبح بذلك ديننا وتنسب اليه شناعة وانت مع
ذلك لم تعرف معناه ولا فهمت فحواه ثم قلت بعد ان اخللت بمساقه
ولم تقمه على ساقه فمثل هذه النبوات لا نقبلها منكم لان المسيح قال لا ينبغي للرجل
طلاق زوجته الا ان تزني فيعلم ان هذا الكلام جاهل باحكام الاسلام
ان احكام الشرع صفات لاعيان الاشيا ثم هو مستمد من انكار الناسخ
والمنسوخ وكلام كل جاهل مردود ومنسوخ فنقول لهذا المنكر الجاهل الذي
ليس بمشرع ولا عاقل منعك طلاق الرجل زوجته ورده اياها بعد طلاقها
لا يخلو اما ان يكون منعا من جهة العقل كانت دعواك باطلة بالضرورة فان صدور
هذه المسايل ووجودها معلوم بالضرورة واذا بطل ان يكون امتناعها من جهة
العقل مجوزا ان يوجد واذا جاز ان يوجد فكيف ينبغي ان يتعقب الي
العقل ان ينكر نبوة من قامت الادلة القاطعة على صدقه من حيث انه حكم بشي
يصح في العقل ان يوجد ثم من العجب العجاب الذي استنبطه اولو الالباب انكم
التزمتم في شرعكم ما شهد العقل الاول بفساده مثل قولكم في الاقانيم انها الهة

ثلاثة الهة واحد وقلتم في الاتحاد والحلول ما يعلم فساده بضرورة العقل
ثم لم يصدكم ذلك عن اتباع شرعكم بل يقول من يمنع استحالة ذلك القول
منكم هذا ليس مما يدرك بالعقول بل يتبع فيه الكتاب المنقول ثم بعد
التزام هذه المحالات ولم اقطع عنها بالترهات والخرافات تنكرون علينا فعل
شي يجوزه المعقول ولم يصر اليه الا بعد ثبوت الشرع المنقول الذي دل
على صحته البراهين المعقول فانتم من الجهل والزلل كما جاء في كلام النبوة
مجرى المثل تبصر احدكم القذاة في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عينه وانما
كان ذلك كله للمعنى الذي نبه الشاعر عليه هنالك

عيون الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فلو وفقتم لطريق الانصاف لتركتم طريق التعصب والاعتساف ولو كنتم
تطلبون الحق بدليله لاوشك ان يرشدكم الى سبيله ولكن من حرم التوفيق
استدبر الطريق ونكل عن التحقيق وان ادعيت ان ذلك ممنوع من جهة
الشرع فنقول لك اما ان يكون ممنوعا من جهة الشرايع كلها او من بعض
فان قلت انه ممنوع من جهة الشرايع كلها كان ذلك باطلا اذ الشرايع في ذلك
مختلفة فان المعلوم من شرع التوراة في ذلك خلاف شرعكم ويكفي دليلا
على ان التوراة تخالفكم في ذلك اول الكلام الذي حكيته عن المسيح انه قال انما
علمتم انه قيل للقدما من طلق امراته فليكتب لها كتاب طلاق وانا اقول من
طلق امراته فقد جعل لها سبيلا الى الزنا فهذا تصريح بعين ما انكرته علينا
ونصصت به شرعنا ولما جاز ان يخالف عيسى بعض احكام التوراة ولا يدل
ذلك على كذبه ولا على فساد شرعه لذلك يجوز ان يخالف شرعنا شرع عيسى
وموسى في بعض الاحكام ولا يدل ذلك على فساده اذ كل واحد منهم انما يبلغ
حكم الله وليس مخترعا لحكام من قبله ثم قد تختلف الاحكام والاوضاع
بحسب ما يريد الله تعالى وبحسب ما يعلم من اختلاف الاحوال والمصالح
والاصل في ذلك ان الله تعالى لا حجر عليه في افعاله ولا اراده شي من احكامه
فيحل لعباده ما شا ويحرم عليهم ما شا لا يسال عما يفعل وهم يسالون

وهذا بين بنفسه لا يجهله الا من كان عديم حسه ثم قلت وانتم تقولون
لا يحل لزوجها مراجعتها الا ان ترى بدل ان سهوا عن الزنا تامروا بالزنا
اسكت فض الله فاك فما اكذبك وما اجهلك تتقول علينا بالا نقول
وتتصرف في شرايع الانبيا تصرف متواقح جهول كما فعل اسلافكم من
قبل اسمع بالكلام على انك لا تحسن ان تسمع اعلم ان هذا الذي ظننته
بجهلك زنا ليس زنا لان الزنا حقيقه ايلاج فرج في فرج محرم شرعا مشتهي
طبعا وهذه الحقيقه معدومه في الذي توهمت انه زنا فان قلت ان
كانت هذه الحقيقه معدومه عندكم فليست معدومه عندنا فان هذا الايلاج
محرم عندنا فهو زنا قلنا لك ان كان قد ثبت تحريم ذلك عندكم فقد
ثبت تحليله عندنا فان الله تعالى يحل لعبيده ما شا ويحرم عليهم ما شا وهذا كما
احل الله لموسى من الطلاق ما حرمه على عيسى ثم كيف يمكن العاقل ان ينكر
مثل ذلك وقد ثبت انه احلت في بعض الشرايع فروج وحرمت في شرع
اخر فقد ثبت ان البطن الاول من اولاد ادم احل لهم نكاح الاخوات ثم حرمت
على من بعدهم من الشرايع وقد جا في التوراة ان يعقوب نكح اختين
راحيل وليا وجمع بينهما وحرمها على غيره والجمع بينهما في النكاح محرم عندكم وقد
فعل الله ذلك في احكام اخر على ما نعرف من احوال الشرايع واختلافها
في بعض الاحكام وانما يتحقق هذا المعنى على اليقين من يعلم ان حقيقه الحكم
الشرعي هي خطاب الشرع المتعلق بافعال المكلفين على جهه الاقتضا
او التخيير فعلى هذا المعنى لحكم الا قول الشارع افعلوا او لا تفعلوا
او ان شيتم فافعلوا وان شيتم فاتركوا على ما يعرف في موضعه ثم نقول
هذا الذي عيبته علينا ايها الجهول لمعنى صحيح في العقول جار على نهج المصالح
المعقول وذلك ان الله تعالى انما شرع الطلاق ليتخلص الرجل من نكد المراة
واسرها رفقا بنا ورحمة منه علينا فقد يكون تضرر الرجل ضررا خفيا لا يمكن ان
يطلع عليه احد فلا يجبر على ازالته لكونه لا يتحقق من جهتها فجعل للرجل
انه متى شا ان يتخلص منها ومن ضررها فعل وايضا فلكون النسا في الغالب

ناقصات

ناقصات عقل فلو علمت ان الرجل لم يجعل له سبيل الى مفارقتها
لما كانت تحترمه ولبادرت الى ضرره فاراد الشارع ان يجعل للرجل شيا
يحترم لاجله وهو الطلاق فان المراة اذا علمت انها ان بالغت في ضرر
زوجها طلقها امتنعت من ضرره في الاكثر فان عورضنا وقيل لنا فيلزم
على ذلك ان تطلق المراة نفسها متى شات فان الرجل قد يضرها ضررا
لا يطلع عليه احد فان راعيتم وجوه الضرر وتوقعه في حق الزوج فلم لم تراعوه
في حق الزوجه لذلك فنقول انا لم نراعه في حق المراة لانا لو جعلنا للمراة
ان تطلق نفسها متى شات لما استقرت امراة عند زوجها في غالب الامر
لانها ناقصات عقل فلا تومن عليهن غلبه شهواتهن على عقولهن ولو فتح
هذا الباب طرا منه من الضرر ما لا يخفى ولا يتدارك فسد هذا الباب في حق
النسا لهذه الحكمة وفتح في حق الرجال لنزول عن اعناقهم محل الضرر والنقمه والله
اعلم واما ما عبته ايضا من ان المطلقه ثلاثا لا تحل الا بعد زوج فذلك ايضا له
معنى صحيح معقول مناسب وذلك ان الطلاق وان كان الله قد اباحه لنا فهو
من قبيل المكروه من غير سبب مرجح ان تركه اولى من فعله ولاجل هذا
قال نبينا عليه الصلاة والسلام ابغض الحلال الى الله الطلاق فلما ابغض
فاطلق عليه لفظ البغض مشعرا بالكراهة واطلق لفظ الحلال مشعرا بجوازه
فحصل لنا من مفهومه انه يجوز على كراهة فاذا تقرر انه مكروه من الوجه الذي
ذكرناه ينبغي الا يفعل ثم ان فعل ولا بد منه فلا يكثر منه ثم ان اكثر منه
فلا يزاد على المرتين فان بعد ما عرفت انه بعدها عرف بانه لا تحل له
الا بعد زوج اخر فكانت الحكمة في ذلك ان الزوج اذا علم انه اذا اكثر من
هذا المكروه الذي هو الطلاق عوقب بعقوبه اوجعه وتمكينها عدوه امتنع
من تكثير المكروه الذي هو الطلاق ثم لا يطلق الجاهل بنا انا نجبر الزوج الثاني
على طلاقها حتى يرجع اليها الاول حاشا وسدوا انما الزوج الثاني يملك منها
ما ملكه الاول فان شا طلقها وان شا امسكها ثم ان طلقها اعيدت منه
وجاز للاول ان يتزوجها تزوجا جامعا فقال ان شا ولا يجوز عندنا ان يتزوجها

مزوج

الثاني ليحلها للاول فان فعل كان نكاحه فاسدا وهو الذي يسمى
المحلل وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فان
سماه بما فعل جهة الذم لفعله فاذا تقرر هذا المعنى الذي لا يمنعه العقل
ولا منافية مكارم الاخلاق بل هو على منهاجها وعلى رسمها فكيف ينبغي لعاقل
منصف غير متواقح ولا متعسف ان يقول علينا انا نقول لا يحل لزوجها
مراجعتها الا ان تزني ولو كنت يا هذا من اهل العقل الذين يتورعون السفه
والجهل لما كنت تنسب نكاحا على ومن شريعة صحيحة بحسب دلالة ادلتها القاطعة
مع ان هذا النكاح وقع بولي ومهر وشهود واعلان بنكاح الزنا الذي ليس
فيه ولي ولا مهر مقدر ولا شهود ولا اعلان وانما يقع الزنا مخالف للشرايع عريا
عن الشهود والولي مستورا فهذا تشبيه يدل على عناد وتمويه ثم قلت
بدل ان سهوا عن الزنا تامروا به وهو عندكم فرض الناس هذا تشنيع باطل
وقول غبي جاهل وتهويل ليس وراه حاصل وقول الزور والباطل قصد به
قايله استنزال العوام وليكره لهم دين الاسلام يريدون ليطفئوا نور الله
بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ولقد صدق الله عهده
وانجز وعده ومن اوفى بعهده من الله اعلم يا هذا المفتري الكذاب
والمشنع المرتاب ان العقلا لا يرضون بما فعلت ولا يأتون بمثل ما به
اتيت وذلك انك جهلت شرعنا وكذبت عليه وعميت عليك مقاصده
فقبت الزور والفحش السي وانما كان ينبغي لك لو كنت على سنن العقلا
اهل السياسة الفضلا ان تبحث عن ادلة صحة هذه الشريعة وعن صدق الذي جا بها
فان كانت ادلتها صحيحة وجب عليك ان تقبلها جملة ولا ترد منها شيا وتكون
واحدا من التزمها وان لم يظهر لك صحة ادلتها فانظر ايها الاحمق تلك الادلة
ولا تتعدها الى غيرها وبالخصم فيها مشاغبة فان المخبر ليس كالمعاين فلو لم
يقدروا على ان يصححوا دينهم ولا ان يقيموا دليلا على صحة شرعهم وجب عليك
رد تلك الشريعة من اولها هذا اداب الموفقين لا الكذابين المتعنتين ثم قلت
وانا اريد قطع ذنب التيس وان يجعله في ذقنه ليلوح استه لمعزة صرصر

الشمال

الشمال وحماره فقط هجير الجنوب يا هذا التيس واي ذنب سائر للتيس
اطرانك سمعته وتستجير وانت لا في العير ولا في النفير وكيف نظر السلامة
من الحمق والسوس من يحصل لعصا وبات السوس ام كيف سال سمعته وحجا
وكل هو في ذلك الا ابتر لم من حصل عدد اصابعه ولولا ان شرعنا منع من
السباب ولا يليق ذلك باولي المروات والاداب لا وزعتك سبا ولا وجعتك
ضربا ومع هذا

تحاملت لومك مسحي الرباب حمته متعادره ان ينالا
لا اشتمكم فلستم لشي ان اسمي من الرجال الكرم

ثم قلت وهذا جواب كلامك انصطابا منك كما نقول توانك ومن انتصف
من بعد ظلمه فلا جناح عليه يا هذا اسابك يحار فيه النحرير وجهلك يتعجب منه
الصغير والكبير كيف لا وكلامك يحل لك في شرعك ان تنتصف من ظلمك
وتشتم من شتمك والانجيل يقول لك لا تكافوا احدا بسبه ولكن من لطم خدك
الايمن فانصب له الايسر ومن اراد مغالبتك وانتزاع قميصك
فزده ايضا رداك فهذا الانجيل يشهد عليك بانك لست على شرعه بل رددت
حكمه وعملت على رفعه واذا كان شانك هذا مع كتابك فكيف يرتجى فلاحك
من ليس من احبابك بل العجب العجاب تركت كتابك والعمل به ثم اتخذت
تحمل كتابا لا تصدق باصله فبهذا نعلم من حالك انك لست تريد ان تتبع
الحق ولا ان تبحث عنه ولكنك اتبعت هواك فاضلك واطلعت الشيطان في
فازلك ثم من ادل دليل على جهلك ومغالطتك انك اوهمت انك تعرف
القران وانك تحتج علينا به ثم ذكرت ما ليس بقران حيث قلت ومن انتصف
من بعد ظلمه فلا جناح عليه وهذا ليس بقران وان كان يشبه معناه القران
وليس القران عندنا مجرد معناه فقط بل بلفظه المخصوص ومعناه واسلوبه
الذي اعجز الاولين والاخرين فعلى هذا المعنى ان ترجم بلفظ اخر او عبر عن
معناه بغير لفظه واسلوبه خرج عن كونه قرانا فافهم وما اداك تحس ثم
قلت فانصرانت محالك لانك قلت بالسفه والطعن في ديننا وقلت
الكذب على سيدنا انظر هذا الكلام الفصيح الجاهل على قايله يلوح فلقد عدم هذا

الكلام الانتظام والارتباط ووجب له لاجل ذلك الالقا والاسقاط. واما
ما ذكرت من سفه دينك والطعن عليه فذلك واجب على العقلا اذ قد تبين
بدليل العقل الذي لا شك فيه انكم قد تمذهبتم بكل مقالة شنعا وقد بينا
ذلك فيما تقدم ثم ان الطعن على دينكم ليس طعنا على دين المسيح فانكم لم تدينوا
بدينه ولا عرفتم حقيقة يقينه. بل تخرصتم عليه بالاباطيل وقبلتم عليه قول
كل متواقح جاهل. فما لكم وللانتساب للمسيح وهو مبرأ عن كل قبيح. بل هو ساخط
عليكم وبرا الى الله منكم. وقد بينا ذلك فيما تقدم. وسياتي ان شا الله
بمزيد سطل قولكم فيه وتهدم. واما ما نسبت الينا من الكذب على المسيح والسب
له فذلك والله شي لا نفعله ولا رضي بذلك متدين ولا عاقل وكيف
يجوز هذا علينا ونحن نكفر من سبه او سب امه عليهما الصلاة والسلام وهذا
عندنا اصل من اصول عقايدنا وذلك ان الله تعالى اخذ علينا من الميثاق
ان نومن بجميع الانبيا والرسل ولا نفرق بين احد منهم وهو عندنا من اكرم الرسل
فكيف نسبه او نكذب عليه وفي فعل ذلك خروج عن دين الاسلام وتمسك
بفعل الجهال الطغام. بل انتم الذين كذبتم عليه. ونسبتم ما تحيله العقول السليمة
وهو متبرا من ذلك. ويتنصل مما افتريتم عليه هنالك. ثم اضفتم مع ذلك
من العيب والتنقيص الى الله تعالى ما يعلم على الضرورة والقطع انه محال فحق
واياك على المثل السائر رمتني بدايها وانسلت ثم قلت واعلم انك ان
ارسلت بعد هذا بالشتم فاني ابعث الى كل بلد كتابا بنص شريعتكم
وبكل ما نعرف من الاقاويل التي لا تقدر على انكارها لولا ان السب منهي عنه
على الاطلاق. وليس من مكارم الاخلاق. لاكثرت من سبك. ولاوغلت
في لومك وعتبك. ولو كان ذلك لما كذبت ولا افتريت وانما كنت افعل
ذلك لاظهر بذلك باطل تمويهك. ومغالطة تهويلك. ومن اراد ان
يعرف ديننا واي طريق نوصله اليه وباي شي نتمكن منه وباي فهم نتوصل
الى معناه وانت لا تعرف دينك الذي نشات عليه فكيف بك ان تعرف
ما لم تفهم منه حرفا ولا سمعته على وجه التفهم الا ان تقول بما ليس

لك

لك به علم كما قد فعلت في فريضة الساس فلا تعدم احمق يحقق ما تقول
واما ان ذكرت شريعتنا من يعرفها فالعقول السليمة تقبلها والنفس اذا تسمعها
لشدة ارتباطها وحسن نظامها وليت شريعة من يعتقد الها اخر مع الله
ويعتقد في الله ما يستحيل عليه وينسب الانبيا الى ما يتبرون منه ويحكمون
باهوا جهالهم في دين الله وسنعقد بامر هذا ان شا الله تعالى بابا نبين فيه جملة
من احكامكم وفيها يتبين انكم لا تستندون فيها الى مستند وانكم اخترعتم فيها
من الجهالات ما لم يقل به احد ثم قلت لانك قلت في المسيح غشا واو ضار
وانك سببت الحاكم عليك وعلى جميع الامم يوم القيمة لكن سوف تلقى حاكما ليس
يطلب عليك بنيه . وكم من عايب قولا صحيحا . وافته من الفهم السقيم
لتعلم يا هذا اني وقفت على الكتاب الذي جاوبك به بعض اصحابنا وتاملت
هذا الموضع الذي لم تفهمه فعلمت ان الخطا من قبل فهمك لا من قبل الكاتب
وذلك ان لفظ ما كتب به اليك في هذا الموضع شجرتنا نبوية وفروعها قرشية
ثمرها هاشمية شجرتك غشا واو ضار اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار
هذا نصه وكان ينبغي لك ان تتفهمه لو كنت منصفا فان هذا الكلام انما
يجري مجرى المثل وانما اراد بقوله شجرتنا نبوية ان اصل اعتقادنا ان محمدا
نبي ورسول ليس باله واصل اعتقادكم انتم ان عيسى اله وليس بنبي
وهذا قول باطل واعتقاد فاسد ولذلك عبر عن اصل هذا الاعتقاد بالشجرة
ثم قال انها غشا واو ضار فالمنسوب المذموم انما هو اعتقادكم في عيسى لا عيسى
حاش وكلا فهذا ينبغي ان يفهم الكلام ولا تبادر لاجل الجهل بالملام. فالملوم على
كل حال هو الجاهل الذي ليس بفهيم ولا عاقل. وحين وقفت على كلامك
هذا علمت ان لا كاتبك لكونك قليل الانصاف. كثير الجهل والانحراف. ولقد اعرف
انك اذا وقفت على كتابي هذا لا تفهمه ومع ذلك فتبادر الى رده مكابرة ومجاهرة
وتتناوله بالرد القبيح وكل قول ليس بصحيح. وقد حكمت بيني وبينك العقلا
المتدينين الفضلا. الذين يعترفون بالحق حيث كان. ولا يعرجون في قبوله على انسان
واما قولك الحاكم عليك وعلى كل الامم فقول ليس بصحيح ولا تام لان الحاكم على كل

الامم وكل المخلوقات الذي اوجدها بعد ان لم تكن ثم يعدمها كان لم تكن
ثم يعيدها كانها ما برحت قل من يملك لكم من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح
ابن مريم وامه ومن في الارض ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشا
والله على كل شي قدير واما قولك ستلقاه حاكما ليس يطلب بينة فقد
نسبتموه الى الجور فانه اذا لم يقم بينة على المحكوم عليه عندنا وعندكم وبعد
الحاكم العلم نسب الى الجور فاذا قامت البينة زال عنه توهم الجور وظهر
معيار العدل وعند سماع هذا تحقق معنى المثل المعروف عدو عاقل خير من
صديق جاهل فان العدو العاقل يرده عنك عقله والصديق الجاهل يريد نفعك
فيضرك وانت بجهلك اردت ان تعظم المسيح فنقصته وان تمدحه فذممته
فعل السفيه الاحمق الجاهل وانا اقول ستلقونه بين يدي الله فان اعترفتم
بقولكم فيه جوزيتم على ذلك بجزا سترونه عيانا وان انكرتم قولكم فيه يقول الله
لجوارحكم انطقي فتشهد عليكم باقوالكم وافعالكم فهكذا يظهر العدل ويعلم
كل مكلف انه محاسب بما عمل من خير او شر ويجزى عليه ومما يدل على ان الله تعالى
انما ياخذ بالبينات يوم القيامة انه قد ثبت على [illegible] من دلت المعجزة على
صدقه ان الله وكل بنا كراما كاتبين يكتبون ما نفعل فهم الشهود العدول
الذين ليس لطاعن عليهم ما يقول وستقدم فتعلم ثم العجب من جراتك
وجهلك انك نسبت حمل ربك حيث قلت رسخ الجلد المدبوغ في حصرته
هاجر هذا لابراهيم وهو صريح صدر من جاهل وقبيح هنا نرد عليك قولك كيف
ما تعلم وكيف تجرت في خليل الرحمن ان تتكلم وستلقاه بما فصل عنه الله
ثم من ركاكة هذه الاستعارة ان الذي ذممت به اسمعيل يلزم منه ذم اسحق
والذي ذممت به هاجر يلزم منه ذم سارة فان الجلد الذي رسخ في نصرته هاجر هو الذي
رسخ في نصرته سارة واصل النطفة التي كان منها اسمعيل هو بعينه الذي
كانت منه نطفة اسحق وهذا كله ذم لابراهيم ولعن فقد حاق بك ومن قال
بقولك لعنة الله التي قال عنها لابراهيم في التوراة والعن لاعنيك ثم العجب
من ذلك كله اعتذارك عن قبيح ما اتيت حيث قلت لما بعث الي كتاب

بالسفه

بالسفه والعيب رددت له الجواب بامه هاجر فكانك قلت له
سبيتني انت ابن امة هاجر التي اذا سبيت تعدى سبها الى سيدها
ابراهيم ثم انك صرحت بسب ابراهيم علاوة على ذلك سب اسحق وامه سارة
فانت في هذه الفعلة بمنزلة من سب رجل في وجهه فاخذ المسبوب يشكل
الساب بان سب اباه نفسه اعني نفس المسبوب وهذا ما لا يرضى
به عاقل ولا متدين جاهل ثم قلت بعد ذلك مسهب العذر لقبيح ما قلت
هنالك ولم نقل عنها غير ما قال الله تعالى عنها في التوراة وهذا على الله وعلى
كتابه كذب صراح وكفر براح ثم ذكرت بعض قصة هاجر مع ابراهيم ولم تستوفها
بكمالها لئلا تفتضح ويظهر كذبك وخزيك وها انا اذكر قصة هاجر مع سارة
كما حكاها كتاب التوراة حتى يتبين للواقف على هذا الكتاب ان الله تعالى
اثنى على هاجر وابنها ومدحها وما ذمها بل اخبر بنبوتها وصدقها وبنبوة ابنها
اسمعيل يقول الله قال في التوراة ان سارة امراة ابراهيم لم تكن تلد له وكانت
له امة مصرية اسمها هاجر فقالت سارة لابراهيم ان الرب قد حرمني الولد
فادخل على امتي وابن بها لعل الذي يولد منها فسمع ابراهيم قول سارة
فاطاعها فانطلقت سارة امراة ابراهيم بهاجر امتها المصرية وذلك بعد
ما سكن ابراهيم ارض كنعان عشر سنين فادخلتها على ابراهيم زوجا فدخل بها
ابراهيم على هاجر فحملت فلما رات انها قد حبلت استصغرت سيدتها
وهانت في عينها فقالت سارة يا ابراهيم انت صاحب ظلامتي انا وضعت
امتي في حضنك فلما حبلت هنت عليها يحكم الرب بيني وبينك فقال ابراهيم
لسارة امراته هذه امتك مسلمة في يديك فاصنعي فيها ما احببته وحسن في
عينيك وسرك وواقفك بالامتها سارة سيدتها فهربت منها فتعرضها ملك
الرب على عين ماء في البرية في طريق حدار فقال لها يا هاجر امة سارة من اين اقبلت
والى اين تريدين فقالت انا هاربة من سارة سيدتي فقال لها ملك الرب انطلقي
الى سيدتك وتعبدي لها ثم قال لها ملك الرب عن قول الرب انا مكثر زرعك
ونسلك حتى لا تحصوا من كثرتهم ثم قال لها ملك الرب انك حبلى وستلدين ابنا

ويدعى اسمه اسمعيل لان الرب قد عرف ذلك وخضوعك ويكون ابنك
هذا وحشيا من الناس يده على كل ويد كل به وسيحل على جميع حدود اخوته
فدعت اسم الرب الذي كلمها فقالت انت الله ذو الوحي والرؤيا هذا الله لهاجر
وانها في السفر الاول من التوراة في الاصحاح السادس عشر منها وذكرها ايضا في الاصحاح
الحادي عشر وقال ابصرت سارة ابن هاجر المصرية المولود لابراهيم يسخر بها
فقالت لابراهيم اخرج هذه الامة وابنها لان هذا لا يرث مع ابني اسحق فشق هذا
الامر على ابراهيم لمكان ابنه فقال الله لابراهيم لا يسوء عليك حال الصبي والامة
اطع سارة في جميع ما تقول لك لان نسلك انما يذكر باسحق وابن الامة اجعله
ابا لشعب كثير لانه ذريتك فغدا ابراهيم باكرا واخذ خبزا واداوة ماء فاعطاه
هاجر وحملها الصبي والطعام فارسلها وانطلقت وتاهت في برية بئر سبع
ونفد الماء من الاداوة فالقت الصبي تحت شجرة من شجر الشيح وانطلقت
وجلست قبالته تباعدت عنه كرمية السهم لانها قالت لا اعاين موت
الصبي فدعا ملك الرب من السماء هاجر وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لان الرب
قد سمع صوت الصبي حيث هو قومي فاحملي الصبي وشدي به يدك لاني
اجعله رئيسا لشعب عظيم فاجلى الله عن بصرها فرات بئر ماء فانطلقت
فملات الاداوة وسقت الغلام وكان الله مع الغلام فشب الغلام وسكن
برية فاران فاخبرنا يا ايها الكاذب على كتاب المفتري على رسل الله من اي
استخرجت سب الانبياء والكذب على الله ذي الالاء امن انجيلك قراته ام على
الحواريين بلغته حاشى وكلا بل هو افكك اختلقته ثم من اعظم مباهتتك
وافحش جراتك ومغالطتك انك اوهمت بقولك ولم يقل فيها بعض
في هاجر عشر ما قال الله فيها في التوراة وفي ابنها يشعر بان الله دفعها وابنها
في التوراة في عدة مواضع وهذه التوراة قد تلوتها عليك واسمعتها
اليك فاذا بالتوراة تخبر بان هاجر نبية او صديقة مباركة اوحى الله اليها وكلمها
وبشرها بنبوة ولدها اسمعيل بل قد مدح الله اسمعيل واخبر عنه بما لم
يخبر عنه عن اسحق حيث قال فيه يده على كل ويد كل به وسيحل على

جميع

جميع حدود اخوته وهذا الكلام بشارة بل يفصح ويخبر بنبوة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى قال فيه يده على كل يد وسيحل على جميع حدود
اخوته الا الاجل حفيده محمد صلى الله عليه وسلم وان الله قد بعثه بدعوة جميع
الخلق الى الله بني اسرائيل ومن دونهم ومن فوقهم فكل من بلغته دعوته وجب
عليه الدخول في دينه ثم ان الله تعالى قد اظهره على الدين كله ولو كره الكافرون
وهذا كله وفا بوعد الله تعالى لنبيه ابرهيم حيث قال له في التوراة
وقد استجبت لك في اسمعيل وباركته وكثرته وانميته جدا جدا ويولد له اثني
عشر عظيما واجعله رئيسا عظيما لشعب عظيم فانظر ايها العاقل كيف
قال الله لاسمعيل يده على كل ويد كل به وسيحل على جميع اخوته ولم يقل مثل
هذا الى اسحق وانما قال فيه يكون رئيسا على شعوب كثيرة وملوك الشعوب
من نسله وبين الكلامين فرق ظاهر عند العاقل الفهم المنصف وكذلك
قال في اسمعيل باركته وكثرته وانميته جدا جدا ولم يقل مثل هذا القول في
اسحق وان كان قد قال فيه اباركه وانت عهدي له وهذا الذي وعد الله
به اسحق وعدته اسمعيل وزاده زيادة عظيمة تعرفها من سياق كلام التوراة
من كان عارفا بمجاري كلام الله فيها وكان مع ذلك عاقلا منصفا وتنبه
على سر تحت قوله جدا جدا في القسم الثاني من هذا الباب فاما هاجر فقد جا
في التوراة في حقها ما لم يجي في حق سارة وذلك ان ملك الرب كلمها عن الله
وابلغها امره مرتين او اكثر فهي اذا نبية او صديقة وفي موضع من التوراة
جا ان سارة نبية وان الله ارسل اليها ملكا ليبلغها امره ونهيه كما فعل
بهاجر ولا شك ان من اتاه الله النبوة هو افضل ممن لم يوته اياها ولا يظن
الجاهل ان هذا الكلام غض من منصب سارة رضي الله عنها بل هي صديقة
مباركة وكل له مقام معلوم والحق احق ان يتبع ثم الذي يقضى منه العجب
انكم تعتقدون النبوة لمريم عليها السلام وليس لنبوتها في التوراة ولا في
الانجيل ذكر يدل على نبوتها بل ولا في كتب الانبيا المتقدمين على زمن المسيح
ثم تنكرون نبوة هاجر وتذمونها مع انه قد جات نبوتها ومدحها في التوراة

صرتحا وهذا كله مما يدل على جهلكم وقلة توفيقكم وانكم تحكمون في الشرايع
الالهية بلوا بالكم واما قولك فاعلم كيف قطع الله ورث اسمعيل وامه في قوله
لابرهيم هذا اسكت يا جهول فلست تعرف ما تقول فما كان اجمل بك ان لو سترت
عارك ولم تبد عوارك كيف تتكلم بما لا تعرف ولا تفهم بما انت قد حرفت معنى التوراة وغيرته
وليس كما ذكرته [illegible] ام الحور [illegible] وانما لفظ التوراة ان سارة قالت
لابرهيم اخرج هذه الامة وابنها لان هذا ابن الامة لا يرث مع ابني اسحق فشق هذا الامر
على ابرهيم لمكان ابنه فاين هذا من النص الذي ذكرت فيظهر لي انك له اختلقت
وهذه الذي ذكره في التوراة بزعمكم انما هو حكاية عن قول سارة وليس حكاية عن الله تعالى
ثم لو سلمنا انه حكاية عن الله لما كان فيه دليل على ما زعمت وهو ان الله تعالى لم يجعل
النبوة في نسل اسمعيل وان الله قطعها عنه بل مفهومه وظاهره ان الذي منعه
الله لاسمعيل انما هو ميراثه في ابرهيم وهو حظه في ماله واعطاه اسحق وهذا
السر عجيب تعدمين منه لامثاله ولو كنت له محلا لا [illegible] لما ذكرناه فلسنا ممن يعلق
الدر في اعناق الخنازير وكذلك في كون اسمعيل مخلوقا من نطفة ابرهيم في رحم
هاجر على تلك الحال حتى استقرت هاجر مع اسمعيل بمكة وهذه كلها اسرار
معلومة عند من نور الله بصيرته وحسن سريرته واصلح عقيدته ونيته
فان كنت تريد ان تظفر بامثال هذه الاسرار فعجل الى الله الفرار ولا يلهينك الدعة
والقرار والافات اسوا حالا من الشرور والاكدار ومع ذلك فاجل الله آت وكل ما هو
آت قريب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واما قولك حاكيا عن الله
انه قال لابرهيم باسحق يسمى نسلك ولم يقل باسمعيل يسمى فلم يقل
في التوراة يسمى وانما قال بذرا ثم قطعت الكلام هنا وسكت عما بعده ولو
ذكرته لتبين انك مبطل في كلامك وذلك انه ذكر بعد هذا الكلام وابن الامة
فاني اجعله ابا لشعب كبير لانه زرعك وقد تقدم ما قال الله لابرهيم لان نسلك
انما ذكر باسحق لقرب زمان الانبيا المنتسبين اليه وكثرة عددهم والله اعلم
ثم لو سلمنا انه جا في التوراة يسمى كما ذكرت لكان معنى ذلك ان الله يسمي
ذرية اسحق باسم ابيه يعقوب الذي سماه الله اسرائيل ثم غلب عرف الاستعمال

على

على ذرية اسحق فقيل عليهم بنو اسرائيل وغاية ما في هذا اعلام الله تعالى
بانهم يسمون باسمه او باسم ولده وهذا امر قريب وخطب يسير وانما كان
يكون لك في هذا متمسك لغرضك الفاسد لو قال النبوة في ولد اسحق
وليست في ولد اسمعيل ولم يقل هذا وانما قال ما قد اسمعتك والذي به
اخبرتك لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن انادي
واما قولك فنسلت منه الامة الذي قال فيها قرانكم اشد كفرا ونفاقا
يا هذا قد اعنت في جهلك وسعيت في هواك حيث تركت ما قالت التوراة
في نسله وعظيم حرمته وطوله وذكرت ما دل على جهلك وكثرة تواقحك
وقلة مضلاتك ولاي شي لم تذكر في نسله بركته وكثرته وانه حد حدا
وولد له اثني عشر عظيما واجعله ربا عظيما لشعب عظيم فانت
يا جاهل قد صغرت ما عظم الله وذممت ما مدح الله فتخاف عليك لذلك
غضب الله فبادر لانقاذ نفسك قبل حلول رمسك وندمك على ما فرط
لك في امسك فها انا قد نصحتك ورسولنا يقول انك قد ابلغتك
ثم الذين قال فيهم قراننا الاعراب اشد كفرا ونفاقا انما اراد بهم قوما معينين
وطايفة مخصوصين من اعراب البادية اهل جفا وغلظة ردوا الحق بعد ظهوره
وعاندوه حين وضوحه كما فعل اشياعكم من قبل ثم لا تظن ان قول الله تعالى
الاعراب اشد كفرا ونفاقا انه اراد منكم لانكم اشد الناس كفرا واعظم
الجهلا عنادا وقد بينا ذلك فيما تقدم وانما اراد الله تعالى بهذا المعنى
وهو اعلم ان اعراب البادية اشد كفرا ممن كفر من عرب الحاضرة فلا بد ان يكون
انتم معهم تحت افعل الا كما يقال العسل احلى من الخل ثم ان جاز ذم شعب
او قبيلة لان بعضهم كفرا وفسق فاشد الناس كفرا ونفاقا بنو اسرائيل
لكونهم عبدوا العجل والاصنام على ما هو المعروف من احوالهم فالكافرون
من اجدادكم على الحقيقة اشد الكافرين كفرا واسوهم طريقة واما قولك
والسلام على من اتبع الهدى وامن بشريعة المسيح حقيقة الايمان فنحن
والحمد لله اهل الهداية والهدى المؤمنون بشريعة المسيح المصطفى المحققون

انكم لستم على شيء منها بل على الضلالة والردى وقد بينا ذلك فيما تقدم
بالبراهين القاطعة وبعد هذا فالدلالات الصادعة بحول الله وقوته وقد
نبهنا فيما اوردناه تتبعه على هذا السائل الجاهل بدية العاقل ولو ذكرنا كل ما فيه
من العناد لخرج الكلام عن الضبط والمراد وبعد الفراغ منه نتكلم على ما وعدنا
به من الكلام في النبوات ونذكر ما فيها من المباحثات بعون الله وتوفيقه

القسم الثاني من الباب الثالث في النبوات واثبات نبوة نبينا محمد عليه من ربنا افضل الصلوات وفيه مقدمات وفصول

المقدمة الاولى غرض هذه المقدمة ان نبين فيها معنى النبوة والرسالة
والمعجزة وشروطها ووجه دلالتها فنقول لفظ النبي والنبوة وما يتصرف منه
راجع الى النبا وهو الخبر يقول نبات وانبات بمعنى اخبرت وخبرت وهذا مع
همز لفظ نبي نبيء وكذلك هو مع تسهيله على اصح الاقوال فانه قد يكون اصل
شيء من الالفاظ الهمز ثم يخفف الاسم منه كما قالوا خابية وهو من خبأت هذا اصح
ما قيل في اشتقاق هذا اللفظ فاذا تقرر هذا فنبي على اصل الوضع وزنه
فعيل وفعيل يأتي في الكلام بمعنيين احدهما فعيل بمعنى فاعل كما قيل
رحيم بمعنى راحم وسميع بمعنى سامع والثاني فعيل بمعنى مفعول كما
قيل رحيم بمعنى مرحوم وحبيب بمعنى محبوب فعلى هذا يصح في نبي ان
يكون بمعنى مخبر فعلى اصل الاشتقاق ووضع العرب كل من اخبر بشيء
او اخبر بشيء فهو نبي وعلى المتعارف بين المتشرعين انما يطلقون اسم
النبي على من كان مخبرا عن الله فاما ان يكلمه الله مشافهة واما بواسطة ملك
هذا هو عرف المتشرعين في النبوة والى هذا يرجع معناها فالنبي عند
عقلاء اهل الشرايع انما هو حيوان ناطق في نوعه كامل مخبر عن الله تعالى بحكم
اما مشافهة واما بواسطة ملك او ما ينزل منزلته فقولنا حيوان ناطق
اردنا به انه انسان باق على اصل انسانيته لا يمتاز عن غيره من نوع الانسان
بوصف حقيقي وان امتاز باوصاف عرضية عن غيره كالعلوم الخاصة به
وصفات الكمال التي خصه الله بها فذلك لا يخرجه عن كونه انسانا ولاجل هذا

المعنى

المعنى كانت الرسل تقول لقومهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على
من يشاء من عباده وكذلك قال الصادق المصدوق انما انا بشر مثلكم
يوحى الي فجعل الفصل بينه وبين نوعه ما خص به من الوحي وقولنا
ما نبه على ما لا يليق لغلو في بعضهم جاهلون كما فعلت النصارى
فينسبونهم الى ما لا يليق بهم وقولنا كامل اعني بذلك ان الانبيا
مجبولون على اتم صفات نوع الانسان وذلك معلوم من صفاتهم وان
كانوا متفاوتين في ذلك وقولنا مخبر عن الله هذا القيد هو خاصته
التي ينفصل بها عن غيره من نوعه فان لم يكن كذلك لم يقل عليه انه نبي وقولنا
اما مشافهة واما بواسطة ملك تحرز ممن بلغه خبر الله تعالى على السنة رسله
فانه ليس بنبي ولا يقال عليه بحكم العرف انه نبي ولو جاز ذلك لجاز ان
يقال نبي على كل متشرع سمع من رسوله خبرا عن الله وهذا لم يقله احد وقولنا
او ما ينزل منزلته نريد به ان الانبيا قد يتلقون الوحي على وجوه منها ان يكلمه
الله مشافهة ومنها ان يرسل اليه ملكا يخبره عن الله ومنها انه يلقى اليه الوحي
في النوم ومنها ان الله تعالى يقذف في روعه ويلهمه الهاما لا يشك
ان الامر كذلك ويقطع به فاذا تقرر ان حقيقة النبي ما ذكرناه وان فصله
الخاص به هو ما يحصل له من الاخبار عن الله فذلك الخبر ان امر النبي بتبليغه
لغيره فذلك النبي هو الذي يقال عليه رسول والرسالة هو الكلام المبلغ عن الله
فلاجل هذا يصح ان يقال لكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا لان الرسالة
نبوة وزيادة وهذا بين بنفسه **واذا** تقرر ذلك فهذا البشري الذي يدعي
ان الله ارسله الينا لا بد ان يكون صادقا وذلك لا نعرفه بغير دليل
فلا بد من دليل والدليل هو المعجزات ولا بد من النظر في حقيقتها وفي
شروطها وفي وجه دلالتها فاما المعجزة فلفظ ماخوذ من الاعجاز وذلك
انك تقول عجز فلان عن كذا عجزا اذا لم يقدر عليه ولم يقم به واعجزته اعجازا
اذا جعلته يعجز وتقول اعجزني الشيء اذا فاتك ولم تقدر عليه وكلها
راجعة الى ان العاجز عن الشيء هو الذي لا يتمكن من الشيء ولا يقدر عليه

ثم في تسمية هذه الادلة التي تدل على صدق الانبيا معجزات تجوز وذلك
ان المعجز على التحقيق انما هو خالق المعجز وهذه الاسباب التي تقع المعجز
عندها تسمى معجزة بالتوسع وذلك من تسمية الشي باسم غيره اذا جاوزه او كان
منه بسبب هذا شرح لفظ المعجزة واما حقيقتها فهو امر خارق للعادة منسوب
لقدرة الله تعالى وارادته مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة انما قلنا امر ولم نقل
فعل ليشمل ذلك على الفعل الخارق للعادة والمنع من الفعل المعتاد فلو قال
نبي ايتي انه لا يقدر احد ان يتكلم اليوم فكان ذلك لكان ذلك دليلا على صدقه
ويكون ذلك معجزة له مع انه ليس اتيانا بفعل خارق وانما هو منع من فعل
معتاد وانما قلنا مقرون بالتحدي لئلا يتخذ الكاذب معجزة من تقدمه حجة
لنفسه ولتخرج الكرامة وما في معناها وانما قلنا مع عدم المعارضة ليتميز عن
السحر والشعبذة واذا حققت النظر فيما ذكرناه في حد المعجزة علمت شروطها
لكن ينبغي لك ان تعرف ان المعجزة لا تكون دليلا الا في حق من علم وجود الباري
تعالى وانه قادر عالم مريد موصوف بصفات الكمال حتى يتاتى منه الارسال
والتصديق والتكليف ومهما لم يعرف الناظر هذه الامور بادلة عقلية لم تعرف
المعجزة ولم العلم بالتصديق للنبي واما وجه دلالتها فهو ان الشاهد
للمعجزة المتحدي بها اذا علمها وعلم شروطها علم على الضرورة ان الله تعالى قصد
بتلك المعجز تصديق المدعي ويتبين هذا بمثال وذلك انه لو فرضنا ملكا
عظيما اجتمع له اهل مملكته في مجلسه واهل المملكة مصغون لما يامرهم به
ذلك الملك فقام رجل من بين يديه وقال اني رسول هذا الملك اليكم
وقد امرني ان ابلغكم امره ونهيه وانا صادق في قولي هذا ثم يقول يا ايها
الملك ان كنت صادقا فيما اقول عنه فخالف عادتك وقم عن سريرك قياما
تخالف به المعتاد من فعلك فاذا فعل الملك ذلك عند تحدي المدعي فان اهل
المجلس يضطرون الى العلم فان الملك قصد بذلك الفعل تصديقه
ولا يعتريهم في ذلك ريب ولا توقف فتنزلت اذا تلك الافعال بتلك الشروط
منزلة قوله صدقت انا ارسلتك وهذا بين بنفسه عند كل موفق منصف

معلوم

معلوم على القطع فاذا تقرر ذلك فمن ادعى على شخص الرسالة واستدل
عليها بمثل ما ذكرناه كان بحسب دعواه صادقا في قوله لا يجوز لعاقل ان يتخلف
عن متابعته سوا ادعى عموم رسالته او خصوصها ورسولنا محمد صلى الله عليه
وسلم قد ادعى عموم رسالته واستدل على صدقه بالمعجزات على الشروط
التي ذكرناها فهو صادق ولا يجوز لعاقل بلغه امره ان يتخلف عن متابعته
وتصديقه وسنذكر ان شاء الله تعالى بعض ما امكن ذكره من معجزاته فانه صلى الله
عليه وسلم قد ايد بمعجزات كثيرة حتى اذا جمعت وتتبعت علم منها ان الله تعالى
قد جمع له اكثر معجزات الانبيا قبله وخصه بمعجزات لم يشاركه فيها غيره
وستقف ان شا الله تعالى على اكثر ذلك فهذه المقدمة الاولى واما المقدمة الثانية
فالغرض منها ان نبين فيها ان عيسى عليه السلام ظهرت المعجزات على يديه وتحدى
بها الخلق ليومنوا انه رسول الله ولا ليومنوا بانه اله وان النصارى غير
عالمين بمعجزات عيسى عليه السلام اذ لم يتواتر عندهم فنقول وبالله التوفيق
ان النصارى غايتهم ان يسندوا معجزات عيسى عليه السلام لما في ايديهم من
الانجيل وهو لم يتواتر نقله ولا امن التحريف والغلط عليه على ما تقرر قبل
واذا كان هذا فكل ما في ايديهم من الاخبار عنه في الانجيل لا يفيد العلم
القطعي وغايته ذلك ان يفيد غلبة الظن والظن في الاعتقاد بمنزلة الشك
بل هو شك فاذا هم من معجزات عيسى في شك وهم لا يشعرون بذلك
الافك ومما يدل على انهم في كتابهم وشرعهم على غير علم ما استفاض في كتب
التواريخ عندنا وعندهم وذلك ان عيسى عليه السلام لما بعثه الله تعالى
دعا بني اسرايل للايمان فاجابه من شا الله منهم فلما رفعه الله تعالى اليه [illegible]
الله كلامه بعد ذلك حتى بلغ عددا بني اسرايل سبعمايه رجل فكانوا يجاهدون
في بني اسرايل ويدعون الى الايمان فقام بولس اليهودي وكان هو
الملك في بني اسرايل فحشد عليهم الاجناد وخرج عليهم وقاتلهم فهزمهم واخرجهم
من بلاد الشام حتى انتهى بهم الى الدروب فاعجزه فقال بولس الملك
لجنده ان كلام هولا مستجلي وقد قدموا على عدوكم وسترجعونهم في ملتهم د

فيكنزون علينا فيخرجون الينا ويخرجونا من بلاد الشام ولكني ارى لكم رايا
قالوا وما هو قال تعاهدوني على كل شي كان خيرا او شرا ففعلوا فترك
ملكه ثم لبس لباسهم وخرج اليهم ليضلهم حتى انتهى الى عسكرهم فاخذوه وقالوا
الحمد لله الذي اخزاك وامكن منك فقال لهم اجمعوا روسكم فانه لم يبلغ مني
جمعي ان اتيكم الا ومعي برهان فاجمعوا روسهم فقالوا ما لك فقال اني لقيني
المسيح منصرفي عنكم فاخذ سمعي وبصري وعقلي فلم اسمع ولم ابصر ولم اعقل
ثم كشف عني فاعطيت الله عهدا ان ادخل في امركم فاتيت لاقيم فيكم
واعلمكم التوراة واحكامها فصدقوه فامرهم ان يبنوا له بيتا ويفرشوه رمادا
ليعبد الله ويعلمهم التوراة ففعلوا وعلمهم ما شا الله ثم اغلق الباب دونهم
فاطافوا به وقالوا نخشى ان يكون راى شيا نكرهه ثم فتحه بعد يوم فقالوا ارايت
شيا نكرهه قال لا ولكني رايت رايا واعرضه عليكم فان كان صوابا فخذوه
وان كان خطا فردوه عنه قالوا هات قال هل رايتم سارحة تسرح الا من ربها
ويخرج الامر حيث تومر به قالوا لا قال فاني رايت الصبح والليل والشمس والقمر
والبروج انما تجي من ها هنا وما اوجب ذلك الا وهو احق الوجوه ان يصلى اليه
قالوا صدقت فردهم من قبلتهم ثم اغلق الباب بعد ذلك بيومين ففزعوا
اشد من الاول واطافوا به ففتحه فقالوا ارايت شيا نكرهه قال لا ولكني رايت
رايا قالوا هات قال الستم تزعمون ان الرجل اذا اهدى الى الرجل الهدية واكرمه
بالكرامة فردها شق ذلك عليه وان الله سخر لكم ما في الارض وجعل ما في السما لكم
كرامة فالله احق ان يرد عليه كرامته فما بال الاشيا حلال وبعضها حرام ما بين
البقة الى الفيل حلال قالوا صدقت ثم اغلق بعد ذلك ثلاثا ففزعوا اشد
من الثانية ثم فتح لهم قال لهم اني رايت رايا قالوا هات قال ليخرج كل من في البيت
الا يعقوب ونسطور وملكون والمومن ففعلوا فقال هل علمتم احدا من الانس
خلق من الطين طيرا فصار نفسا قالوا لا قال فهل علمتم ان احدا من الانس
ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى قالوا لا قال فهل علمتم ان احدا من الانس
ينبي الناس بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم قالوا لا قال فاني ازعم انه الله تعالى

يجلي

يجلي لنا ثم احتجب فقال بعضهم صدقت وقال بعضهم لا ولكنه ثلاثة والد
وولد وروح القدس وقال بعضهم الله ولد وقال بعضهم هو الله تجسم لنا
فافترقوا على اربعة فرق فاما يعقوب فاخذ بقول بولش ان الله هو المسيح
وانه كان ثم تجسم وبه اخذت شيعته وهم اليعقوبية واما نسطور فقال
المسيح ابن الله على جهة الرحمة وبه اخذت شيعته وهم النسطورية الا ان شيعته
لم تعتقد انه سمي ابنا على جهة الرحمة بل على ما تقدم واما ملكون فقال ان الله ثلاثة
وبه اخذت شيعته وهم الملكية الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اقانيم فقام المومن
وقال لهم عليكم لعنة الله والله ما حاول هذا الا افسادكم ونحن اصحاب المسيح
قبله وقد راينا وسمعنا منه ونقلنا عنه والله ما حاول هذا الا اضلالكم
وفسادكم فقال بولش قوموا بنا نقاتل هذا المومن ونقتله هو واصحابه والا
افسد عليكم دينكم فخرج المومن الى قومه وقال لهم اليس تعلمون ان المسيح
عبد الله ورسوله وكذا قال لكم قالوا بلى قال فان هذا الملعون قد اضل هولا
القوم فركبوا في اثرهم فقاتلوهم فهزم المومن واصحابه وكان اقلهم تبعا
فخرج مع قومه الى الشام فاسرتهم اليهود فاخبروهم الخبر وقالوا انما خرجنا
اليكم لنامن في بلادكم وما لنا في الدنيا من حاجة انما نلزم الكهوف والصوامع
ونسيح في الارض فخلوا عنهم ثم ان قوما من اولئك الذين كفروا افعلوا
مثل ما فعل قوم المومن اتخذوا الصوامع وساحوا واظهروا البدعة فهو قول الله
عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغا رضوان الله فما رعوها
حق رعايتها يعني التوحيد اختلفوا فيه الا فرقة المومن وفيهم نزلت
فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين بالحجة وظهور محمد صلى الله
عليه وسلم وكان مهرب المومنين منهم الى جزيرة العرب وادرك النبي صلى الله عليه
وسلم وسلم منهم ثلاثون راهبا فامنوا به وصدقوه وتوفاهم الله على الاسلام
كان هذا والله اعلم بعد المسيح باربعين سنة او نحوها ثم لم يزل امر المومن
واصحابه هو وغيرهم من الفرق يختلفون ويتحاربون ولم يستقر لهم
قدم الى ان قسطنطين قيصر الملك بن
وذلك بعد رفع

المسيح بمائتين وثلاث وثلاثين سنة وذلك انه كثر عدوه وكاد ملكه يذهب
باختلاف رعاياه عليه وضعفهم وكسلهم عن نصرته فرام جمعهم على شريعة
ينتظم بها ملكهم ويولف بها متفرقهم فاستشار من لديه من اهل النظر فوقع
اختيارهم على ان يعبد القوم بطلب دم ليكون ذلك اقوى لارتباطهم
معه واوكد لجدهم في نصره فوجدوا اليهود يزعمون ان في بعض تواريخهم
خبرا عن رجل منهم وهم هموا ان ينسخ حكم التوراة وينفرد بان ورد فيها
فعمدوا اليه وبعد في نفر ممن اتبعه فظفروا بواحد منهم وشهد لديهم رجل
واحد انه ذلك المطلوب فطلبوه وما عندهم تحقيق لكونه ذلك المطلوب
بعينه الا عندهم اياه من جنبه فعند ذلك عمد قسطنطين الى من ينتسب
الى دين المسيح فوجدهم قد اختلفت اراؤهم ومرجت اديانهم فاستخرج
ما بقي من رسم الشريعة المنسوبة للمسيح وجمع عليها وزاد فيها ما شاء منها
وحكم فيها باختياره حسب ما راه موافقا كالقول بالصلب ليسعد قومه بطلب
دم والقول بترك الختان لانه شان قومه ثم اكد ذلك وشده بمنامة اختلقها
وادعى انه اوحي اليه فيها وذلك اول شي اظهره من هذا الامر لمجمع النصارى
ورعاياه من الروم وذلك على راس سبع سنين من ملكه وقال لهم انه
كان يرى في منامه ان اتاه فقال له بهذا الرسم تغلب وعرض عليه
هيئة صليب فاعتمد ذلك العامة وانفعلت لما سمعت منه ثم بعث
الى امراة في ذلك الزمان يقال لها هيلانة كاهنة وكانت ذات جاش وقوة
فشهدت له اشارات مثل ما راى فقوي تصديق العامة لذلك وهم في هذا كله
لا يعلمون لذلك الرسم تاويلا ولا كان قسطنطين كشف لهم شيئا من امره
فخرج بهم الى عدوه ووعظ قومه وهول عليه امر الرسم فحصل له كلما اراده من
جد القوم واجتهادهم معه فلما عادوا الى اوطانهم بعد الظفر بعدوهم
سالوه عن تاويل ذلك الرسم والحوا عليه فيه فقال قد اوحي الي في نومي انه كان
اسما لما هبط من السماء الى الارض فصلبته اليهود فيالهم ذلك كثيرا مع ما حصل
عندهم من تصديقه وعظم عليهم الخطب فيه فانقادوا الى قسطنطين

انقيادا

انقيادا حسنا وصح له منهم ما اراد وشرع لهم هذه الشرايع التي بايديهم اليوم
اكثرها وقد ظهر لجماعة من اهل العلم باحوال الامم وبنوازل الازمان ان
هذا الشخص الذي يعظمه النصارى ويصفه بالالهية لم يكن له وجود في العالم
ولكن قسطنطين ابتدع ذلك كله واتفق مع نفر من اليهود من احبارهم على ان
بذل لهم ما شاءوا من متاع الدنيا وليشهدوا له عند قومه بان ذلك الشخص
كان عند اليهود فصلبته ففعلوا وكتبوا في اخباره شيئا فتلقى ذلك
النصارى وقبلوه ودانوا به ولعله اكثر الانجيل الذي بايديهم اليوم ولنعلم
ان هذه الاخبار التي ذكرناها لا يمكنهم انكار جملتها وان انكروا البعض تفاصيلها
لكون هذه القصص معروفة على الجملة عندهم فانهم لا يقدرون على جحد
محاربة بولش اليهودي واجلايهم من الشام ودخول بولش في دينهم وكذلك
ملك قسطنطين مما لا ينكرون اشهاره لكنهم ثم لو قدرنا ان هذه الوقايع
لم تصح ولم نعلم صحتها ولا كذبها فشرعهم فاسد امثالها فان معظم معتمدهم في امور
دياناتهم انما هو الانجيل ونقله غير متواتر لا سيما والاحداث عندهم في اكثر الاحيان
بمنامات يدعونها يجعلونها اصولا يعملون عليها ومحافل يجتمعون فيها
فيتحكمون باراءهم ولا يستندون بشي من كتبهم ولا الشي من كلام انبيائهم
وان شئت ان ترى هذا عيانا فانظر كتب اجتماعاتهم ومحافلهم فانهم يحشدون
لمواضع مخصوصة في احيان مخصوصة ويخترعون فيها احكاما وامورا لا مستند
لها ولا اصل الا التحكم على الماكل والتحكم على العامة بمارع الاقاويل وسنبين
ذلك اذا ذكرنا جملا من احكامهم واذا كان هذا مبنى شرعهم فكيف يوثق
بشي من ٢ واذا تقرر ذلك فليعلم ان اتخاذهم المسيح الها انما سببه
ما سبق ذكره ولا يقدرون ان ينسبوا شيا من ذلك الى عيسى عليه السلام
بل قد نقلوا عنه في انجيلهم ما يدل دلالة قاطعة من حيث اللفظ على انه انما ادعى
النبوة وعليها استدل بمعجزاته وفي دعواه النبوة كذب اليهود ونحن الان نذكر
ما وقع في انجيلهم من دعواه الرسالة بحول الله سبحانه من ذلك ما جاء في الانجيل
عنه انه قال حين خرج من السامرية ولحق بجليل انه لم يكرم احد من الانبيا

وفي انجيل لوقا انه لم يقتل احد من الانبيا في وطنه فكيف تقتلونني وهذا
نص لا يقبل التاويل في انه انما ادعى النبوة العامة وفي انجيل مارقس ان
رجلا اقبل الى المسيح وقال له ايها المعلم الصالح اي خير اعمل لانال الحياة الدائمة
فقال له المسيح لم تقل لي صالحا انما الصالح الله وحده وقد عرفت الشروط
وذلك ان لا تسرق ولا تزني ولا تشهد بالزور ولا تخون واكرم اباك وامك
وفي انجيل يوحنا ان اليهود لما ارادت القبض عليه وعلم بذلك رفع بصره الى
السما وقال قد دنا الوقت يا الهي فشرف وليك واجعل لي سبيلا الى ان
املك كل من ملكتني الحياة الباقية وانما الحياة الباقية ان يومنوا بك الها
واحدا وبالمسيح الذي بعثت فقد عظمتك على اهل الارض واحتملت بالامر الذي امرتني
به فشرفني لديك وفي انجيل متا انه قال لتلاميذه لا تنسبوا اباكم
على الارض فان اباكم الذي في السما وحده ولا تدعوا معلمين فانما معلمكم
المسيح وحده معقوله لا تنسبوا اباكم على الارض اي لا تقولوا انه على الارض ولكنه
في السما ثم انزل نفسه حيث انزله الله تعالى وقال لا تدعوا معلمين فانما
معلمكم المسيح وحده فها هو قد سمى نفسه معلما في الارض وشهد ان الههم في
السما واحد ونهاهم ان ينسبوه للالهية وفي انجيل لوقا الحين احيا الميت
بباب مدينة نايم حين اشفق لامه لشدة حزنها عليه فقالوا ان هذا النبي لعظيم
وان الله قد تفقد امته ولم يقولوا ان هذا الاله العظيم وفي انجيل يوحنا ان عيسى
قال لليهود لست اقدر افعل من ذاتي شيا لكنني احكم بما اسمع لاني لست
انفذ ارادتي بل ارادة الذي بعثني وفي انجيله ايضا انه اعلن صوته في البيت
وقال لليهود قد عرفتموني وموضعي ولم اتي من ذاتي ولكن بعثني الحق وانتم تجهلونه
فان قلت اني اجهله كنت كاذبا مثلكم وانا اعلم اني منه وهو بعثني فانظر
كيف اخبر عن نفسه انه معلوم عند اليهود واخبر عن الله ان اليهود لا تعرفه وقال
انه لم يات من ذاته ولكن الله بعثه وهكذا كانت دعوة من قبله من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وحاشاهم ان ينسبوا الى ما ينفرد به ذو الجلال والاكرام وفي الانجيل
ايضا انه قال لليهود بعد خطب طويل مذكور في الانجيل حين قالوا انما ابونا ابراهيم
فقال

فقال ان كنتم بني ابراهيم فاقتفوا اثره ولا تريدوا قتلي على اني رجل اديت
اليكم الحق الذي سمعته من الله تعالى غير انكم تقتفون اثر ابائكم قالوا انا
اولاد زنا انما نحن ابنا الله فقال لو كان الله اباكم لحفظتموني لاني رسول منه
خرجت مرسلا ولم اقبل من ذاتي ولكن هو بعثني لكنكم لا تقبلون وصيتي
وتعجزون عن سماع كلامي انما انتم ابنا الشيطان وتريدون اتمام شهواته
الى كلام كثير وفيه ايضا انه كان يمشي يوما فاحاطت به اليهود وقالوا له الى
متى تخفي امرك ان كنت المسيح المنتظر فاعلمنا بذلك ولم تقل له ان كنت الها
لانه لم تعلم من دعواه ذلك ولا اختلاف عند اليهود ان الذي ينتظرونه
انما هو نبي ليس بابن الاله كما يزعمون وفي الانجيل ايضا عنه
ان اليهود ارادوا القبض عليه فبعثوا اليه الاعوان وان الاعوان رجعوا الى
قوادهم فقالوا لهم لم لم تاخذوه قالوا ما سمعنا ادميا انصف منه فقالت
اليهود وانتم ايضا مخدوعون اترون انه امن به احد من القواد ومن روسا
اهل الكتاب انما امن به من الجماعة من يجهل الكتاب فقال لهم نقوذيموس العتيق
اترون ان كتابكم يحكم على احد قبل ان يسمع منه فقالوا له اكشف الكتب ترا انه
لا يجي من الجليل نبي فما قالت اليهود ذلك الا وقد ادل لهم منزلة نبي فقط ولو علمت
من دعواه الالهية لقالت يومئذ ومثل هذا كثير في الانجيل لو ذهبت اذكره لطال
امره وقد تقدم من كلام شعيا ان الله قال في المسيح هذا غلامي المصطفى وحبيبي
الذي ارتضت به نفسي ومن كلام عاموص النبي ان الله قال على لسانه دون
اقبل الخطايا من اسرائيل والرابعة لا اقبلها لبيعهم الرجل الصالح ولم يقل لبيعهم اباي
ولا قال لبيعهم الاهي وباسمي فهذا المسيح لا يخلو اما ان يكون هو المسيح
كما يزعمون فقد قالوا فيه كما قال انه رجل صالح ولا تقولوا انه اله معبود واما ان
يكون المسيح غيره فهو الذي شبه لليهود فباعوه وصلبوه ويلزمكم انكار
صلبهم المسيح وهو كفر عندكم وقد ذكرنا هذا المعنى في هذا الكتاب مرارا لكون
النصارى على اختلافهم فرقهم يعتقدون له الالهية على اختلاف في كيفية
ذلك كما تقدم ويحكى انه ذهبت طايفة منهم الى مقالة لم يسمع قط في الكتاب

العالم واطرافه من احتووا على النبوة بها ونحن نستغفر الله تعالى قبل حكاية
ونتبرأ الى الله من مذاهبهم الفاسدة ومن التفاوه بها وذلك اني وقفت على رسالة
بعض الاقسة كان بطليطلة سنة من العرط قال فيها هبط الله بذاته من السما والتحم
في بطن مريم ثم قال فهو الاله التام والانسان التام ومن تمام رحمته على الناس انه رضي
بهرق دمه عليهم في خشبة الصليب فمكن اليهود اعداه من نفسه ليتم سخطه
فاخذوه وصلبوه وغاب دمه في اصبعه لانه لو وقع منه شي في الارض ليبست
الاشياء وقع منها خبثه في موضعه النوار لانه لم يكن في الحكمة الازلية ان ينتقم الله
من عبده العاصي ادم الذي ظلمه واستهان بعبدره فلم يزل عند الانتقام منه لاجل علو
منزلة السيد وسقوط منزلة العبد اراد ان ينتصف من الانسان الذي هو اله مثله
فانتصف من خطيئة ادم بصلب عيسى المسيح الذي هو اله مساو معه
فانظر تواقح هذا القائل واستخفافه بحق الله تعالى وجهله وتناقضه وحمقه فوالله
لو حكي مثل هذا القول السخيف عن مجنون او موسوس لما كان يعذر
مقوله وليود ان يضرب ويقتله حتى لا يجتري على مثله ونحن ربما اكثر المجانين والموسوسين
ان يتقولوا بهذا المذهب الخبيث النجس او ينتحلوا ركاكة هذا الدين السقيم
الا ان يكون مستغرقا في الوسوسة والجنون ٭ فالحمق انواع والجنون فنون ٭
وعند الوقوف على هذه المذاهب القبيحة والاوهام ٭ يتبين فضل دين الاسلام ٭
ونتحقق معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره
سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذه فيهم وفي مثل هذا يضرب المثل اذا جاء
الحين ٭ صم الاذن وعمي العين ٭ فالحمد لله الذي خص بكل الفضائل التي يقبلها
بفطرته الاول كل عاقل ٭ ويستحسنها كل ذكي فاضل ٭ فقد تحصل من الباب المتقدم بيان
معنى النبوة وبيان شروطها وان عيسى عليه السلام نبي رسول اذ قد كملت فيه شروط
الرسالة وانه ليس باله وان النصارى ليسوا عالمين بشي من احوال المسيح ولا من
معجزاته على التعيين والتفصيل وغايتهم انهم يعلموا امورا جملة لكثرة تكرار هذا المعنى
عليهم ثم تلك الاخبار التي يتحدثون بها عن المسيح ونتكرر عليهم لو كلفوا ان يسندوا
شيا منها لغير الانجيل مما ينقل متواترا لما استطاعوا شيا من ذلك ولا وجدوا

اليه

اليه سبيلا ٭ ومما يؤيد هذا المعنى ويوضحه ان اليهود كانوا رهطه وكفلته وعندهم
نشأ وهم تخالفونكم في كثير مما تنسبون اليه ولا يوافقونكم على نقلها من ذلك
ان اليهود تزعم انهم حين اخذوه حبسوه في السجن اربعين يوما وقالوا ما كان ينبغي
لنا ان نحبسه اكثر من ثلاثة ايام الا انه كان يقصده احد قواد الروم لانه كان يداخله
بصناعة الطب وفي انجيلكم انه اخذ صبح يوم الجمعة وصلب في الساعة التاسعة
من اليوم بعينه وكذلك تزعم اليهود كلهم انه لم يظهر لهم معجزة ولا بدت لهم منه آية
غير انه طار يوما وقد هموا باخذه فطار على اثره احد منهم فعلاه في طيرانه وتركه
فسقط الى الارض بزعمهم ومواضع كثيرة في انجيلكم تدل على ما قالته اليهود
وانه لم يات باية فمن ذلك ان اليهود قالت له ما ايتك التي نراها ونومن بك
وانت تعلم ان اباءنا قد اكلوا المن والسلوى في المفاوز فقال ان كان اطعمكم موسى
خبزا بالمفاز فانا اطعمكم خبزا سماويا يريد نعيم الاخرة فلو عرفت اليهود له معجزة لما
قالت ذلك ثم لم يحتجهم على قولهم بمعجزة ولا اية وفي انجيلكم ان اليهود جاءوا يسلونه
اية فقال ان القبيلة الفاجرة الخبيثة تطلب اية ولا تعطى ذلك وفيه ايضا انهم
كانوا يقولون له وهو على الخشبة يطلم ان كنت المسيح فانزل بنفسك نومن بك
يطلبون منه بذلك اية فلم يفعل ومثل هذا كثير فيه ثم ان اليهود عندهم من الاختلاف
في امره ما يدل على عدم تيقنهم لشي من اخباره فمنهم من يقول انه كان رجلا منهم
يعرفون اباه وامه وينسبونه لزنية وحاشى لله كذبوا ويسمون اباه بنديرا
الرومي وامه مريم الماشطة كذبوا لعنهم الله ويزعمون ان زوجها يوسف بن يهودا
وجد بنديرا عندها على فراشها وشعر بذلك فهجرها وانكر ابنها ومنهم من يتبرأ
عن هذا القول وينكره ويقول انما ابوه يوسف بن يهودا الذي كان زوجا
لمريم وفي انجيلكم اول من نبه على هذا المعنى واشار اليه وحكى اليهود من هذه
الفرية والكذب حيث نسبه ليوسف ثم ستره بان قال خطيب مريم ولقد كان
مؤلف الانجيل في غنى عن هذه النسبة بان فيها من الشناعة ان نسب المسيح
لغير ابيه وحكى اليهود من الافترا على امه وقول الفحش فيه ثم ان اليهود لعنهم الله
اطبقت على الطلاق عليه ثم اختلفوا في نسبه فمنهم من قال ما تقدم

ومنهم من ذكر سببا اخر وهو انهم زعموا انه كان يوما مع معلمه يشوع بن برخيا
وسائر التلامذة في سفر فنزلوا موضعا وجاءت امرأة من اهله وجعلت تبالغ في
كرامتهم فقال يشوع ما احسن هذه المرأة يريد فعلها فقال عيسى بزعمهم لعنهم الله
لولا عمش في عينيها فصاح يشوع وقال له يا ممزار رحمه ما سمه اتزني بالنظر
وغضب عليه غضبا شديدا وعاد الى بيت المقدس وحرم باسمه ولعنه في
اربعمائة قرن قالوا فحينئذ لحق بزعمهم ببعض قواد الروم وداخله بصناعة الطب
فقوي لذلك بزعمهم على اليهود وهم يومئذ في ذمة قيصر سارنوس وجعل
يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ويعرض عن بعضها الى ان كان من امره ما كان
ومنهم من يقول ان ذلك انما اطلق عليه لانه كان يوما يلاعب الصبيان في صغره
بالكرة فوقعت له بين جماعة من مشايخ اليهود فتضعضعت الصبيان عن استخراجها
من بينهم حياء من المشايخ فتعدى عيسى وتخطى رقابهم واخذها فقالوا له ما نظنك الا
عليه هذه السبه ولذلك يختلف في صنعة ابيه الذي يقولون انتم فيه
خطيب امه فمنهم من يقول يوسف بن يهودا النجار وبعضهم يقول انما هو حداد
وكذلك تختلفون انتم في اسم ابيه فبعضكم يقول يوسف بن يعقوب
وبعضكم يقول يوسف بن الي وكذلك اختلفتم انتم في ابائه وفي عددهم فمنكم
من يقلل ومنكم من يكثر على ما تقدم فهذا الاختلاف الكثير والاضطراب البين
السمج يدل على انكم واليهود في شك منه وانه لم يثبت عندكم خبر متواتر
عنه وانما هي ظنون كاذبة واوهام راسخة وتخمين مداخل الشك والاوهام عليهم في
قولهم بصلبه وتبين ان اليهود والنصارى في قولهم بصلبه كاذبون وانهم في ريبتهم
يترددون فلولا ان من الله بفضله علينا وعليكم معشر النصارى بان بعث
الى الجميع سيد المرسلين ليبين للجميع من امر عيسى ما يرى فنزه الله المسيح وامه على
بينه مما قالته اليهود فيهما من الاقوال الوحشية ونسبوه لهما من الهجاء والسبة
وكما شهد ببراءة المسيح وامه مما نسبته اليهود اليهما كذلك شهد ببراءتهما مما نسبتموها
انتم اليه وتقولتموه عليهما وذلك ان منكم طائفة يقولون ان مريم آلهة وقد اطبقتم
على ان المسيح اله وابن اله ونبينا عليه السلام يقول وامه صديقة ما المسيح ابن مريم الا رسول

قد

قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة واذا سمع العاقل قولنا فيهما علم بعقله
ان ذلك القول هو الحق وان كان من طالع الزبور ان الله قال لداود سيولد
لك ولد ادعى له ابا ويدعى لي ابنا فقال اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس
انه بشر فاعتبر قول داود حين ادعى ذلك وراعه كيف دعى الله ان يبعث جاعل
السنة الذي يعلم الناس ان ذلك الولد المدعوا انما هو بشر وكذلك قال المسيح
على ما حكاه انجيلكم اللهم ابعث البارقليط ليعلم الناس ان ابن الانسان بشر
والبارقليط هو محمد بالعربية فلما ضللتم وتفوهتم بذلك وزعمتم انه المعقول
وكلام الانبيا المنقول بعث الله جاعل السنة وكاشف الغمة محمدا صلى الله
عليه وسلم فاعلم الناس انه بشر ليس باله ولا ابن اله فقال مبلغا عن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل
قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
وقال تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض
الا آتي الرحمن عبدا ونذكر الان من اخبار النجاشي ليكون منبها للعاقل ومرشدا
للجاهل وذلك ان الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم اتبعه جماعة ممن
نور الله قلبه وشرح صدره وذلك في اول الامر فامنوا به والتزموا شرعه
واحكامه فكان كفار قريش والمخالفون لهم في اديانهم يؤذونهم ويعذبونهم
يرومون بذلك ردهم عن دينهم كما قد فعل باتباع الانبيا قبلهم فلما اشتد
عليهم الامر شكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يهاجروا الى الحبشة
ووعدهم بان يجعل الله من امرهم فرجا واخبرهم ان بها ملكا عظيما لا يظلم
عنده احد ففعلوا فقدموا على النجاشي واسمه اصحمة وكان على دين
النصرانية فلما قدموا عليه استقر بهم المنزل ووجدوه خير منزل فاقاموا هنالك
دينهم واغتبط النجاشي بصحبتهم وهم بجواره فلما راى كفار قريش ان قد وجدوا
بارض النجاشي امنا ودعة وجهوا اثنين منهم واصحبوهما هدايا حملاها الى النجاشي
واقسته وطلبوا منه ومن اساقفته ان يسلمهم فلما قدما ارض النجاشي دفعا

لاقسته هداياهم وطلبا منهم ان يبعثوا بهما على ردهم معهما اسلامهم اليهما
ثم دفعا للنجاشي هديته وقالا له ايها الملك قد صبوا الى بلدك منا غلمان سفهاء
فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاووا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت
وقد بعثنا اليك فيهم قومهم من ابايهم واعمامهم وعشايرهم لتردهم اليهم فهم اعلى
بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم فقالت بطارقته واقسته صدقا ايها الملك
قومهم اعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهم فغضب النجاشي ثم قال
لا والله لا اسلمهم اليهما ابدا ولا اكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني
على من سواي لا اسلمهم حتى ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان في امرهم
ثم ارسل الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاووا وقد دعا النجاشي اساقفته
فنشروا مصاحفهم حوله فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا
في ديني ولا دين احد من هذه الملك فكلمه جعفر بن ابي طالب فقال له ايها الملك
كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة وناتي الفواحش ونقطع
الارحام ونسيء الجوار وياكل القوي الضعيف فكنا على هذا حتى بعث الله الينا
رسولا نعرفه ونعرف نسبه وامانته وصدقه وعفافه فدعانا الى الله لنوحده
ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن واباونا من الحجارة والاوثان وامرنا بصدق الحديث
واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن
الفواحش واكل مال اليتيم وقذف المحصنات وامرنا ان نعبد الله ولا نشرك
به شيا وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام وعدد عليه امور الاسلام فصدقناه
وامنا به واتبعناه على ما جاء به عن الله فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن
ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان وان نستحل ما كنا نستحل من الخبايث
فلما قهرونا وظلمونا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك
ورجونا ان لا نظلم عندك فقال النجاشي هل معك مما جاء به عن الله شي
فقال له جعفر نعم فقال اقراه فقرا عليه جعفر صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي
حتى اخضل لحيته وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم
ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله

لا اسلمهم

لا اسلمهم اليكما ولا اكاد فلما خرجا من عنده وقد يئسا من مرادهما قال احدهما
وهو عمرو بن العاص لاثنيه عنهم غدا بما يهلكهم لاجله ثم غدا عليه من الغد فقال
ايها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فارسل اليهم ليسلهم
قالوا ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في
عيسى اذا سالكم قالوا نقول والله ما قال الله وما جانا به نبينا كاينا في ذلك
ما كان فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى بن مريم فقال له جعفر
ابن ابي طالب نقول فيه الذي جا به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه
وكلمته القاها الى مريم العذرا البتول قال فضرب النجاشي بيده الى الارض فاخذ
منها عودا ثم قال ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته
حوله حين قال ما قال فقال وان نخرتم والله اذهبوا فانتم سيوم رحمة امنون فهذا
قول اهل العلم من قبلكم العارفين بشبه بعثكم وما عداكم فسبحه بعشا واطار
اجنت من فوق الارض ما لها من قرار وسياتي ان شا الله تعالى قول هرقل اثر هذا
الباب ان شا الله تعالى كمل الجز الثاني بحمد الله وحسن عونه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

الفصل الاول من القسم الثاني في اثبات نبوة نبينا محمد صلى الله

عليه وسلم نقول ان محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي الاسماعيلي
رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما اخبر به عن الله تعالى لا يجوز عليه شي من
الكذب ونستدل على ذلك بادلة صادعة وبراهين قاطعة اصولها اربعة
الاول اخبار الانبيا قبله به ووصفهم له في كتبهم الثاني النظر في احواله الثالث
الكتاب العزيز الرابع ما ظهر على يديه من خوارق العادات فهذه اربعة انواع
النوع الاول من الادلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما قدمنا هذا النوع
وان كان غيره اولى بالتقديم لكون الانبيا المخبرين بعلاماته متقدمين عليه في
الزمان ولكون هذه البشاير كانت معروفة قبل مجيه ولكون السايل الذي كتبنا
هذا الكتاب جوابه لم يطلب منا لجهله الا الاستدلال بهذا النوع لا ينتفع به
الا من صدق بتلك الكتب وتواترت عنده ومن حكى عن شي من ذلك
لا ينتفع بشي منها ولا يستدل بها عليه واما ما بعد هذا النوع فيستدل به على كل
من انكر نبوته من ساير الفرق فاما هذا النوع فانما هو حجة على اليهود والنصارى
لادعايهم ان تلك الكتب تواترت عندهم وهذا النوع عندنا على التحقيق انما هو
داخل في باب الالزامات لهم ليظهر عنادهم وافحامهم ثم ليعلم انا انما نذكر اخبار
الانبيا المبشرة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم التي بايديهم وعلى ما ترجمها
مترجموهم من غير زيادة ولا نقصان فمن ذلك ما جا في التوراة ان الله تعالى
قال لموسى بن عمران اني اقيم لبني اسرايل من اخوتهم نبيا مثلك اجعل كلامي
على فيه فمن عصاه انتقمت منه فان قلت ان ذلك انما هو يوشع بن النون
فقد قال في اخر التوراة انه ولا يخلف من بني اسرايل نبي غير موسى فلا محالة
ان ذلك الذي بشرت به التوراة لا يكون من بني اسرايل لكن من اخوة بني
اسرايل فلينظر من هم اخوة بني اسرايل فلا محالة انهم العرب والروم
فاما الروم فلم يكن منهم نبي سوى ايوب وكان قبل موسى بزمان فلا يجوز ان
يكون الذي بشرت به التوراة فلم يبق الا العرب فهو اذا محمد عليه الصلاة والسلام

وقد

وقد قال في التوراة حين ذكر اسمعيل جد العرب انه يضع فسطاطه في وسط
بلاد اخوته فكنى عن بني اسرايل باخوة اسمعيل كما كنى عن العرب باخوة بني اسرايل
في قوله ساقيم لبني اسرايل من اخوتهم مثلك ويدل على ذلك ايضا قوله اجعل
كلامي على فيه فان هذا تصريح بالقران اذ هو كلام الله الذي جانا به محمد صلى الله عليه وسلم
وتلقيناه من فلق فيه ويدل ايضا على ذلك قوله من عصاه انتقمت منه اذ قد
فعل الله ذلك في صناديد قريش وعظما ملوك الروم وغيرهم فهم بين اسير
وقتيل ومعطي الجزية على وجه الصغار والذلة ولعذاب الاخرة اشق بمن خالفه
ومن ذلك ما جا فيها انه قال جا الله من سينا واشرق من ساعير واستعلن
من جبال فاران ومعه جماعة من الصالحين فمجيه من جبل سينا ان الله انزل
فيه التوراة وكلم عليه موسى واشراقه من جبل ساعير ان دين المسيح انما اشرق
من جبال ساعير وهي جبال الروم من ادوم واستعلانه من جبال فاران
ان الله بعث منها محمدا واوحى اليه فيها ولا اختلاف ان فاران مكة وقد قال في
التوراة ان الله اسكن هاجر وابنها اسمعيل فاران ومن ذلك ما جا فيها
ايضا ان الله قال لابراهيم قد استجبتك في اسمعيل وبركته وكثرته وانميه
جدا جدا يولد له اثني عشر عظيما واجعله ربا عظيما لشعب عظيم ولاشك
في ان الشعب العظيم هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم وامته اذ لم يكن في
ولد اسمعيل اعظم منهم وقد تفطن بعض النبهاء ممن امن من
اليهود وقرا بعض كتبهم فقال في التوراة موضعا يخرج منه اسم محمد بالعدد
على ما يستعمله اليهود فيما بينهم ثم ذكر ما قدمته من قول الله لابراهيم قد استجبتك
في اسمعيل فاما قوله جدا جدا فهو بتلك اللغة بماد ماد وعدد هذه الحروف
اثنان وتسعون وذلك ان البا عندهم اثنان والميم اربعون والالف واحد
والدال اربعة والميم الثانية اربعون والالف واحد والدال اربعة وكذلك
الميم من محمد اربعون والحا ثمانية والميم اربعون والدال اربعة واما قوله لشعب
عظيم فهو بتلك اللغة لغوى غدول فاللام عندهم ثلثون والغين ثلاثة وهي
عندهم مقام الجيم اذ ليس في لغتهم جيم ولا صاد والواو ستة واليا عشرة

والعين ايضا ثلاثه والدال اربعه والواو سته واللام ثلاثون فمجموع ذلك ايضا
اثنان وتسعون وهذا من رسوخ العلم وطلع البحث وعواص العلم وفي التوراة
ايضا ان ملك الرب قال لهاجر ستلدين ابنا وتدعين اسمه اسمعيل يده على
كل ويد كل به وسيحل على جميع حدود اخوته ولا محاله ان اسمعيل وولده لم يكن
ايديهم الا تحت يد اسحق لان النبوة والملك انما كانا في ولد اسحق فلما بعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم جعل يد بني اسمعيل فوق ايدي الجميع ورد النبوة
والملك فيهم وانماهم وعظمهم وبارك عليهم جدا جدا وفي التوراة ايضا اقبل
السيد من سينا ومن الساعير تراءى واقبل من جبال فاران ومعه الاف من
الصالحين ومعه كتاب ناري وهو حمى الاحاسن وجميع الصالحين في قبضته
ومن تواتا من قدميه نصب من علمه فمكر على اصناف وتبت من المجابي
المقبل من جبال فاران مع الاف من الصالحين ومن جا بالكتاب الذي ما منه
سورة الا وفيها الوعيد على المخالفه بالنار وعذابها وانكالها واغلالها فاذا
نظرت وطرحت عن نفسك الهوى والتعصب علمت انه لم يات بهذه الصفات
الا محمد صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما جا في الزبور الذي بايديكم انه قال
سبحوا الرب تسبيحا حدسا سبحوا الذي هيكله الصالحون ليفرح اسرائيل بخالقه
وبنات صيهون من اجل ان الله اصطفى لهم امه واعطاهم النصر وسدد الصالحين
منهم بالكرامه يسبحون الله على مضاجعهم ويكبرونه باصوات مرتفعه بايديهم
سيوف ذات شفرتين لينتقم الله بهم من الامم الذين لا يعبدونه يوثقون ملوكهم
بالقيود واشرافهم بالاغلال اخبرونا يا هولا الجاحدون للحق المعرضون عن اخبار
الصدق من هذه الامه التي سيوفها سيوف ذوات شفرتين ينتقم
الله بهم من الامم الذين لا يعبدونه ومن المبعوث بالسيف من الانبيا ومن الذين
يكبرون الله باصوات مرتفعه في الاذان وفي الزبور ايضا وذكر صفة محمد صلى الله عليه
وسلم قال ويحوز من البحر الى البحر ومن منقطع الانهار الى منقطع الارض وانه يخر
اهل الجزائر بين يديه على ركبهم ويلحس اعداوه بالتراب وياتيه ملوك بالقرابين
ويسجد له وتدين له الامم بالطاعه والانقياد لانه يخلص المضطهد البائس ممن هو اقوى
منه

منه وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ويراف بالضعفا والمساكين وانه يعطى
من ذهب بلاد سبا ويصلى عليه في كل وقت ويدوم امره الى اخر الدهر تامل اوصاف
النبي صلى الله عليه وسلم فهي على ما ذكر ما غادر منها واحدا ولم تجتمع هذه الصفات
والعلامات لاحد قبله على ما هو معروف في احوال الانبيا المتقدمين عند العلما
المصنفين غير الجاهلين المتعصبين وفي الزبور ايضا ان الله اظهر من صهيون
اكليلا محمودا والاكليل ضرب مثل للرياسه ومحمود هو محمد صلى الله عليه وسلم
وقد بلغ دينه صهيون وغيرها وفيه ايضا تقلد ايها الجبار السيف فان ناموسك
وشرائعك مقرونه بهيبة يمينك وسهامك مسنونه والامم يخرون تحتك تامل من الجبار
الذي شرائعه تظهر بالسيف والسهام فانك اذا تاملت ذلك لم تجد على هذه
الصفات احدا من عهد داود الا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم فهو المبشر به
لا محاله وقد تقدم قول داود اللهم ابعث جاعل السنه كي يعلم الناس انه بشر
فلينظر هناك فانه نص على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه جاعل السنة
وهو الذي اخبر بان المسيح بشر وليس باله وفي الزبور ترجمه وهب بن منبه
يقول الله لداود عليه السلام في المزمور الخامس اسمع ما اقول ومر سليمان فليقله
للناس من بعدك ان الارض لي اورثها محمدا وامته فهم خلافكم لم تكن صلاتهم بالطنابير
ولا يقدسوني بالاوتار وهذه انصح باسمه وبالسيد ونعته وصفات امته
في زبور وهب بن منبه هذا الذي نقلت منه اصح ما يوجد من كتاب الزبور فانه اوثق
واعلم من كل من ترجمه في سالف الدهور ولكن النصارى مع ذلك يكذبون بالحق
ومعاندون ومن ذلك ما جا في الانجيل الذي بايديكم ان المسيح قال ان كنتم
تحبوني فاحفظوا وصاياي وساطلب الى الرب في ان يبعث اليكم روحا
البرقليط ليكون معكم الى الابد روح الحق الذي لا يستطيع الدنيا لانها لا تراه ولا
تعرفه وانتم تعرفونه انه نازل عليكم وعندكم لابث ولست ادعكم ايتاما وفيه
ايضا عن يوحنا ان المسيح قال سيتعلمون ذهابي لاني ان لم اذهب لا ياتيكم
البرقليط وان ذهبت سابعثه اليكم واذا قدم سيعرف الدنيا بالاثام والعدل
والحكم فاما الاثام فتركهم الايمان بي واما العدل فذهابي الى الاب ولا تروني

بعدها واما الذي يحكم ان فيها فانه يحكم على صاحب الدنيا ويقهره وقد بقيت
لي اشيا كثيرة اعلمكم بها الا انكم لا تحملونها الان فاذا قام الروح الصادق فهو يعرفكم
بالصواب وليس يعلمكم من ذاته الا بما يسمع وسيعلمكم بما يكون وسيعظمني
لانه يصيب مني ويعلمكم **وفيه** ايضا ان المسيح قال للحواريين الذي يبغضني
يبغض ابي فلولم اطلع عندهم من العجايب مالم يطلع غيري لم يكن عليهم ذنب ولكنهم
الان قد عابوا وكرهوني ليتم ما كتب في كتبهم حيث قال انهم كرهوني بلا ذنب فاذا
اقبل الفرقليط الذي ابعث اليكم من عند الاب الروح الصادق المنبثق من الاب
هو يؤدي الشهادة عني وانتم ستشهدون لانكم كنتم معي اول الامر وانما اقول
لكم هذا لئلا يوقعكم الشكوك فالفرقليط بالرومية هو احمد بالسريانية
وهو محمد بالعربية فتامل هذه البشاير التي لا ينكرها الا معاند مجاهر فقد اخبر به
المسيح بالعين والاسم والافعال فماذا بعد الحق الا الضلال **وقوله**
ايضا انه قال لليهود وتقولون لو كنا في ايام ابائنا لم نساعدهم على قتل الانبيا
فاتموا كيل ابائكم يا ثعابين بني الافاعي كيف لكم النجاة من عذاب النار
وساابعث اليكم انبياء وعلما وستقتلون منهم وتصلبون وتجلدون في جماعتكم
وتطلبونهم من مدينة الى اخرى ليتكامل عليكم دما المومنين المهراقة على الارض من دم
هابيل الصالح الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه عند المذبح امين امين اقول انه
سياتي جميع ما وصفت على هذه الامة يا اورشليم اورشليم التي تقتل الانبيا وترجم
من بعث اليك قد اردت ان اجمع بنيك جمع الدجاجة فراخها تحت
جناحها وكرهت انت ذلك سافقر عليكم بيتكم وانا اقول لكم لا ترون الان حتى
تاتي من تقولون مبارك على اسم الله تامل فبشارته بالنبي محمد صلى الله
عليه وسلم وتوعده لهم بالانتقام منهم على يديه فان تامل هذا على جهة الانصاف
لاح الحق لك والا فمن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا
وقوله ساابعث في المواضع تحويفا به بل قوله فيما تقدم سارغب الى الاب
في ان يبعث اليكم روح الفرقليط فقد صرح هنا بان الباعث له هو الله لا هو
وهو الحق اذ قد تبين ان المسيح لا يفعل شيا من ذاته وانما يفعل بامر الله تعالى

وقد

وقد تقدم قوله لست انفذ ارادتي وانما انفذ اراده الاب **وفيه** ايضا ان
المسيح قال ان التوراة وكتب الانبيا تتلو بعضها بعضا بالنبوة والوحي
حتى جا يحيى واما الان فان شيتم فاقبلوا فان ايليا مزمع ان ياتي فمن كانت
له اذنان سامعتان فليسمع **ف** ايليا هو الله تعالى ومجيه هو مجي رسوله بكتابه
وامره كما قال في التوراة جا الله من سينا واقبل من فاران وما اشبه ذلك
فان **قلت** قوله فان ايليا مزمع ان ياتي وقوله حتى ياتي من تقولون له مبارك
انما اراد من كان بعده من الانبيا مثل بارسا وسمعون ولوقوس وما ماثل
هولا انبيا انطاكيه ومن بيت المقدس اغيانوس ومن فلسطين
جورجيس فالجواب انه لا يصح لكم ان تعترفوا بنبوة واحد من هولا بل ينبغي لكم
ان تكفروا بهم لانكم ترون انه لا نبي بعد المسيح وتستندون في ذلك الى كتبكم
فاما ان تكذبوا بقولكم لا نبي بعد المسيح او تنكروا نبوة من ذكرتم ثم لو سلمنا
انهم انبيا فليسوا المرادين بما ذكرتم لانهم ما اتوا بكتب من الله ولا بامر ونهي وانما
احكموا كتب الانبيا قبلهم والساان الله فيما ذكر انما هو عبارة عن اتيان نبي
من انبيايه بكلامه وكتابه كما ذكر حيث قال جا الله من سينا واشرق من ساعير
واستعلن من فاران وهذا واضح للمنصف وقد زعم بعض المعاندين المجاهرين
ممن ينتمي الى دينكم ان المبشر به في دينك المواضع انما المراد به رجوع بعض
من مضى من الرسل وعودهم الى الارض والى الناس وهو قول باطل
صدر عن معاند جاهل اذ لم يثبت شي من ذلك على لسان نبي فاضل
الا ما صح على لسان نبينا من رجوع عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه اذا
خرج الدجال وقتله له **وفي** انجيلكم اشارة الى هذا وهذا عندنا مبني على ان الله
تعالى رفع المسيح اليه ولم يقتل ولم يمت بل رفعه الله اليه على ما ياتي عند ذكر
الصلوبيه وانما يموت اذا قتل الدجال عند باب لد وبعد ان يهلك الله تعالى
ياجوج وماجوج على يديه **وفي** الانجيل ايضا انه ضرب مثلا للدنيا فقال مثل
الدنيا كمثل رجل اغترس كرما وسيج حوله وجعل فيه معصرة وشيد فيه قصرا
ووكل به اعوانا وبعد عنه فلما دنا قطافه بعث عبيده الى اعوانه الموكلين

بالكرم فضرب المسيح عليه السلام مثلا للانبياء بالنعمه ثم قال سراج علم وكلاح
وتعطاه الامة المطيعة العاملة ثم ضرب مثلا بصخرة وقال من سقط على هذه
الصخرة سينكسر ومن سقطت عليه تهشم يريد بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم
من عاداه وحاربه لظهره الله عليه وكذلك قد ازاح الله ملككم وازاله عنكم
واعطاه امة محمد صلى الله عليه وسلم حيث افتتحوا عليكم بلاد الشام وبلاد المغرب
وردوكم في اكثر الارض اهل ذلة وصغار واخذوا منكم الجزية بعد القتل
الذريع والاسترقاق الشديد بعد ان كان ملككم راسخا وجبلا شامخا فهد الله
بنيه قواعده ولسعد الله مواعده واعظم شاهد على ان الله ازاح ملككم
عنكم كما قال المسيح ان الله اعطانا بيت المقدس واظهرنا عليه وان كرهتم
والحج اليه عندكم من اعظم شرايعكم وشرايع اليهود ثم ان الواحد منكم لا يصل اليه
حتى يلحقه من الذلة والصغار ما لا يخفى عليكم والله متم نوره ولو كره الكافرون
وفي صحف شعيا النبي التي بايديكم قال ستملى البادية والمداين من قصور آل
قيدار يسبحون ومن رؤوس الجبال ينادون هم الذين يجعلون لله الكرامة ويبثون
تسبيحه في البر والبحر وفي صحف حزقيال النبي عن الله تعالى يقول اي موعد
قيذار بالملائكة وقيذار ولد اسمعيل بغير شك فانظر اي بادية بين
البادية التي امتلات من قصور آل قيذار الذين ينادون بالاذان والتلبية
من رؤوس الجبال ويجعلون لله الكرامة بالصلوة والحج والصوم والزكاة وغير ذلك
وقد ثبت ان الملائكة قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن على ما يأتي
وقال شعيا النبي عن الله عبدي الذي سرت به نفسي انزل عليه وحيي فيظهر
في الامم عدلي يوصي الامم بالوصايا لا يضحك ولا يسمع صوته في الاسواق يفتح العيون
العور ويسمع الاذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطيه غيره احمد
يحمد الله كثيرا ياتي من اقصى الارض يفرح البرية وسكانها يهللون الله على كل شرف
ويكبرونه على كل رابية لا يضعف ولا يغلب ولا يميل الى الهوى ولا يسمع في
الاسواق صوته ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوي الصديقين
وهو ركن للمتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفى ولا يخصم حتى يثبت في الارض حجتي

ويقطع

ويقطع به العذر وان توراته سعادة الحق فاعتبر هذا التصريح باسم محمد
وصفاته وان هذه العلامات المذكورات على ان هذا النبي لا يصح بحال ان توجد لغيره
ولم تكن الا له فان قلت هو المسيح قيل لك نعم لفظ الكلام ومساقه وحينئذ
يحكم بانه محمد قطعا وذلك انه قال فيه يوصي الامم وهذا تصريح ببعثته للناس
كافة وعيسى انما بعث للخاص من بني اسرائيل خاصة بدليل قوله في الانجيل
اني لم ابعث الى الاخاص وانما بعثت الى الغنم الرابضة من نسل اسرائيل
وكذلك قال للحواريين لا تسلكوا سبل الاخاص ولكن احضروا الى الغنم الرابضة
من بني اسرائيل ثم قال يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية وهذا اخبار
باذانهم وتلبيتهم وليس هذا لاحد غيره ثم قال لا يضعف ولا يغلب وانتم تزعمون
ان المسيح غلب على نفسه وحمل على خشبة وسمرت يداه فيها وقتل عليها بعد
صفع واهانة عظيمة ولا درجة في الغلبة والضعف والذلة تزيد على هذا واما نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم بعد فتح الله عليه فتحا مبينا ونصره نصرا عزيزا واظهره على
كل عدو ومعاند حتى اعلى الله دينه واوفى توحيده وعصمه من كل الشرور
ووقاه كل مخوف وكل محذور وفي اول ما في كلامه على ان نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم هو المبشر به قوله لا يخصم حتى تثبت في الارض حجتي فان هذا
تصريح بالقران الذي جاء به اذ قد عجز عن الاتيان بمثله او سورة جميع البشر وان
كان فيهم الفصحاء والمهرة الحكماء فثبتت في الارض حجة الله وعلم انه من عند الله
وسياتي بيان هذا المعنى ان شاء الله وفي صحف حبقوق النبي التي بايديكم قال جاء
الله من التيمن وتقدس من فاران وامتلات الارض من تحميد احمد وتقديسه
وملك الارض برقبته وقال ايضا تضيء لنوره الارض وستنزع في قسيك
اغراقا وترتوي السهام بامرك يا محمد ارتواء فيا محنة الخاطئين انظر واعتاد
هولاء الجاحدين وانكار هولاء الباهتين وتواقح هولاء الجاحدين كيف خالفوا بهم
النصوص القاطعة والدلالات الصادعة محكمين في ذلك اهواهم وهم يعرفون
ابناهم وفي صحف شعيا النبي قال قيل لي قم فانظر فما ترى تخبر به قلت
اري راكبين مقبلين احدهما على حمار والآخر على جمل يقول احدهما لصاحبه

سقطت بابل واصنامها البيرة فصاحب الجمل هو محمد عليه الصلاة والسلام
وصاحب الحمار باتفاق منا ومنكم هو المسيح وليس محمد بركوب الجمل اشهر من عيسى
بركوب الحمار وانما سقطت عبادة الاصنام ببابل من دون اسود بذب اوثانها
بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وامته لا بعيسى ولا بغيره فما زالت ملوك بابل
يعبدون الاوثان من لدن ابراهيم الى زمان النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحف ايضا
ليفرح اهل البادية العطشى ولتبتهج البراري والفلوات لانها ستعطى باحمد محاسن
كمثل حسن الشاكر والرياض ثم نص على اسمه ووصفه وبلده بحيث لا ينكره
الا وقاح مجاهر بالباطل الصراح وفي صحف شعيا النبي انه ايام الاعصارات
ايام الكمال ثم قال اعلموا يا بني اسرائيل الجاهلين ان الذي تسمونه ضالا هو صاحب
النبوة تغترون ذلك على كثرة ذنوبكم وعظيم فجوركم وفي الصحف المنسوبة الى نبي
سا ان الله سيحلي من القبلة ونطق كلمة القدس من جبال فاران ظهورا ابديا
ويحمد الله على ذلك في السموات والارض وكلمة احمد تملا الارض وفي صحف
حزقيال النبي التي بايديكم يقول عن الله بعد ما ذكر معاصي بني اسرائيل
وسهم كرمه عدايا وقال لم يلبث تلك الكرمة ان قلعت بالسخط ورمى
بها على الارض واحرقت السمائم حرها فعند ذلك غرس غرس في البدو وفي
الارض المهملة العطشى وخرجت من اغصانها الفاضلة نار اكلت تلك حتى
لم يوجد فيها غصن قوي ولا قضيب اعتبر بها العاقل فان المثل على جهة الاعتصاف
يكاد ينكشف الحظا والزلل فان الكرمة مثل لدين المسيح ورسالته وذلك ان مقامه
كان في قومه زمانا يسيرا ورفعه الله عن اتباع يسير واحد عشر على ما زعموا
ثم اساعهم على شرعهم المستقيم يسير ثم بعد ذلك بنحو الاربعين سنة اعتراهم
التبديل الكثير والتغيير العظيم حتى احرقت رياح الكفر تلك الكرمة فلم يبق
منهم الا بقايا قليل عددهم وخفي موضعهم بعث الله نبيه في ارض البدو
التي هي ارض اسمعيل ومنشاؤه ووصفه لها بالعطشى تصريح بوصفها
فانها صحراء وكونها مهملة انما هو من النبوة فانه لم يكن فيها نبي من عهد
اسمعيل الى عهد محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه شبه ما نصر به النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم من الحرب والرعب بالنار التي تاتي على كل شيء تاكله دين نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم اظهره الله بالحجة والسيف على الدين كله ولو كره المشركون وقد قدمت
ان في صحف دانيال الحكيم وقد نعت الكذابين وقال لا تمتد دعوتهم ولا تتم
قربانهم واقسم الرب بساعده الا يظهر الباطل ولا يقوم لمدع كاذب دعوة اكثر من
ثلاثين سنة وهذا دين الاسلام الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم له ستمائة ونيف
من الاعوام وهو باق الى اخر الايام والحمد لله على ما اولى من الفضل والانعام وقال
دانيال النبي وقد ساله الملك بخت نصر عن منام رآه وطلب ان يخبره بها ثم
بتفسيرها فقال ايها الملك رايت صنما بارع الجمال اعلاه من ذهب ووسطه
من فضة واسفله من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه من فخار فبينما انت
تنظر اليه قد اعجبك اذ دقه الله بحجر من السما فضرب راس الصنم فطحنه على خلطه
ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره ثم ان الحجر ربا وعظم حتى ملا الارض كلها
قال له بخت نصر صدقت فاخبرني بتاويلها فقال دانيال اما الصنم فامم مختلفة
في اول الزمان وفي وسطه وفي اخره فالراس من الذهب انت والفضة ابنك
من بعدك والنحاس الروم والحديد الفرس والفخار امتان ضعيفتان تملكهما امراتان
باليمن والشام والحجر هو دين نبي وملك ابدي في اخر الزمان يغلب الامم كلها
ثم يعظم حتى يملا الارض كلها كما ملاها ذلك الحجر قلت ولا يصح لك يا ايها المخدوع
ان تدعي انه المسيح فانه لم يغلب الامم كلها بل غلب فانه استضعف فاختفي
فصلب ولم يبعث الى الامم كلها عامة بل الى قوم باعيانهم خاصة وانما الذي قهر
غلب كل الامم العرب والعجم على اختلاف اصنافها وشتى ضروبها واصنافها
فجعل الكل حزبا واحدا والزمهم دينا واحدا وصيرهم امة واحدة وجعلهم على
اختلاف لغاتهم متكلمين بلغة واحدة اعني اذا قرؤا القرآن فلا محالة ان العرب
والفرس والنبط والقبط والاكراد والترك والديلم والبربر واهل الهند والسند
والسودان وغيرهم من اسلم منهم على كثرتهم ينطقون بلغة واحدة اذا قرؤا القرآن
اذ لا يمكن ان ينقل عن لسان العرب الى لسان غيرهم فان ترجم بلسان اخر فليس
ذلك هو القرآن وانما هو تفسير القرآن فيا ايها الجاهل الشاك عن الحق العادل

فقد كنت ذكرت في كلامك ان المسلم ان اقام شاهدا من كتب الانبيا ان فيها محمدا
منتظرا فدينه حق ودين النصارى باطل وقد اقمنا والحمد لله الشواهد من كتب الانبيا
الاوايل على الذي طلبت على نحو ما رسمت بل هذه الشواهد في دلالتها نبوة محمد اوضح واصح
مما استدللت انت بها على نبوة المسيح وقد وكلت العاقل المنصف للنظر في اي
الدلالات ابين واوضح ادلالاتنا ام دلالاتكم وبعد الوصول الى هذا القدر
والوقوف على تلك الشواهد الغر يتعين ان دين النصارى واليهود باطل وانهم اما
معاندون او جاهل ولقد جا في كتاب اشعيا النبي من نعوته واوصافه وذكر
مكة بلدة وحج الناس اليها ما لا يسع معه ريبة ولا اشكال فمن ذلك انه قال
ابشري واهتزي ايها العاقر التي لم تلدي وانطقي بالتسبيح وافرحي اذ لم تحبلي
فان اهلك سيكونون اكثر من اهلي هذه من اسه مخاطبة لمكة على ما يقتضيه
مساق كلامه ثم شبهها بالعاقر من اجل انها التي لم تلد من حيث ان مكة لم يبعث
منها نبي من بعد اسمعيل الا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان يكون العاقر بيت
المقدس لانها كانت مقر الانبيا وقوله اهلك سيكونون اكثر من اهلي يعني باهله
اهل بيت المقدس وفي صحفه ايضا انه قال حاكيا عن الله تعالى سابعث قوما
فياتون من المشرق افواجا كالصعيد كثرة ومثل الطين الذي يدوس برجله
وفيها ايضا انه قال حاكيا عن الله قد اقسمت بنفسي كقسمي ايام الطوفان
ان لا اغرق الارض بالطوفان كذلك اقسمت ان لا اسخط عليك ولا ارفضك وان الجبال
تزول والتلاع تنحط ورحمتي عليك لا تزول ثم قال يا مسكينة يا مضطهدة ها
قد انا بالجص حجارتك ومزينك بالجوهر ومكلل باللولو سقفك وبالزبرجد ابوابك
وستبعدين من الظلم فلا تخافي ومن الضعف فلا تضعفي وكل سلاح يصنعه صانع
لا يعمل فيك وكل لسان زلق يقوم معك بالخصومة تفلجين ويسميك الله اسما
جديدا وكذلك كان اسمها الكعبة فسماها الله المسجد الحرام ثم قال يا عاقر اشرقي
فانه قد دنى زندك ووقار الله عليك انظري الى بنيك حولك فانهم مجتمعون ياتونك
بنوك وبناتك عدو الجنينة [illegible] يسرن ويزهرن ويفزع عدوك ويتسع قلبك
كل غنم قيدار يجمع اليك وسادات نبايوت يخدمونك ويفتح ابوابك الليل والنهار

فلا

فلا تغلق ويتخذونك قبلة وتدعين بعد ذلك مدينة الرب فها هو عليه السلام
قد وصف مكة باوصافها التي لا يصح ان توجد في غيرها ومن ابين ذلك وادله قوله
وكل غنم قيدار يجمع اليك وسادات نبايوت يخدمونك وقيدار ونبايوت ولد
اسمعيل واغنامهم هي التي تساق الى مكة هدايا يهديهم اهل مكة وخدام البيت
وليس بعد هذا بيان وكذلك قوله ويتخذونك قبلة وهذا اشارة بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام
فانها لم تتخذ قبلة الا على عهده صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله بالخصومة تفلجين انما هو
اشارة الى كتاب الله الذي جا به محمد رسول الله الذي افحم كل خصم واسكت كل منطيق
وكذلك قال اشعيا ايضا في موضع اخر من صحفه ارفعي الى ما حولك بعينك
فستبتهجين وتفرحين من اجل انه يميل اليك عساكر الامم ويحج اليك عساكر الامم
حتى يعمرك قطار الابل المؤبلة تضيق ارضك عن القطارات التي تجمع اليك وتساق
اليك كباش مدين ويا تيك اهل سبا وتسير اليك اغنام قيدار ويخدمك
رجال نبايوت فاعتبر هذه الاوصاف البينة والاعلام المتصلة الظاهرة التي لا توجد
في بلد الا في مكة ولا يصح شي منها ان يوجد في بيت المقدس ولا في غيرها وقال
ايضا عن الله اعطي البادية كرامة لبنان وبها جبل الكرمل فالبادية بلد ولبنان الشام
وبيت المقدس وقال على اثر ذلك وتشق في البادية مياه وسواقي في ارض الفلاه
ويكون الغيافي والاماكن العطاش ينابيع ومياه ويصير هناك محجة وطريق الحرم
لا يمر به انجاس الامم والجاهل لا يضل هناك ولا يكون به سباع ولا اسد ويكون هناك
ممر المخلصين وقال اشعيا ايضا عن الله اما وهو بيت الله الحرام مستقره في زاويته مكرمة
في كل ان مدنها فلا تستعجل وهذا اخبار منه عن الحجر الاسود المقدس الذي في الركن اليماني
وهو الحجر الذي انزله الله من الجنة وكان ابيض فاسود لاجل خطايا بني ادم وسيكون
للجبل [illegible] ثم فهذه دلايل واضحة وشواهد راجحة لا يعدل عنها الا من حرم التوفيق
فانسد عليه الطريق ولا سد بها وسهم معانيها الا من اعترها التوفيق وساعده
الفهم والتحقيق فهذا ما اردنا ان نبينه هنا من شواهد نبوته صلى الله عليه
وسلم من الكتب المتقدمة وفيها من الشواهد اكثر من هذا ولو وقف عليهم
على ما في الكتب قضى في عباد المخالفين العجب ه

النوع الثاني الاستدلال على نبوته بقرائن احواله صلى الله عليه وسلم

فاول ذلك ما ظهر على ابيه عبد الله بن عبد المطلب وذلك انه لما اراد الله خلقه وقرب
وقته وحان خروج نطفته من صلب ابيه جعل بين عيني ابيه نور فكان يراه
الرائي كغرة الفرس وقد ثبت في كتب نبوته على الالسنة النقلة الثقات العدول
الاثبات الذين يدينون بتحريم الكذب ويعتقدون وجوب الصدق ولا ياخذهم
في الله لومة لائم ان عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان له امراتان احدهما امنة ام رسول الله صلى الله عليه وسلم وامراة اخرى فعمل
يوما في طين له بساتة فتعلق به اثار الطين فمر بتلك المراة فدعاها الى نفسه
فابت لما كان عليه من الطين فخرج من عندها فاغتسل وغسل ما به من اثر
الطين فدعته تلك المراة الى نفسها فابا عليها ثم خرج عامدا الى امنة فدخل عليها
فاصابها فحملت بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر بامراته تلك فقال لها هل لك
قالت لا انك مررت بي وبين عينيك غرة مثل غرة الفرس فدعوتك رجاء
ان يكون لي فابيت ودخلت على امنة فذهبت بها ثم لما حملت به امنة امه
است فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع على الارض فقولي
اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورات حين حملت به انه خرج
منها نور رات به قصور بصرى من ارض الشام ولقد قالت ام عثمان الثقفية
حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايت البيت حين وضع قد امتلا نورا
ورايت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي وولد صلى الله عليه وسلم
مختونا وكانت امه تحدث انها لم تجد حين حملت به ما تجد الحوامل من ثقل ولم
ولا غير ذلك ولما وضعته امه وقع الى الارض مقبوضة اصابع يديه مشيرا
بالسبابة كالمسبح بها وذكر ابن دريد انه القت عليه جفنة لئلا يراه احد قبل
جده فجاء جده والجفنة عليه قد انفلقت عنه ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب
ابوه ان توفي وام رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به فكفله جده عبد المطلب
وقيل لجده لم سميت ابنك محمدا وليس من الاسم لاحد من ابائك
وقومك فقال اني لارجو ان يحمده اهل الارض كلهم وذلك انه كان يرى في منامه

كان

كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض
وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور
واذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فعبرت له بمولود يكون من صلبه
يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء واهل الارض فلذلك سماه محمدا
قال حسان بن ثابت رضي الله عنه والله اني لغلام يفعة ابن سبع سنين او ثمان
سنين اعقل كل ما سمعت اذ سمعت يهوديا على اطم يثرب يصرخ باعلى صوته
يقول يا معشر يهود فلما اجتمعوا اليه قالوا له ويلك ما لك قال طلع الليلة نجم احمد
الذي ولد به ثم التمس له المراضع فاسترضع له امراة من بني سعد بن بكر اسمها حليمة
بنت ابي ذويب قالت حليمة خرجت من بلدي مع زوجي وابن لي في نسوة من بني
سعد نلتمس الرضعاء قالت وفي سنة شهباء لم تبق لنا شيئا قالت فخرجت
على اتان لي قمراء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا مع صبينا
من بكائه من الجوع وما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيه ولكنا نرجو
الغيث والفرج فلقد حبست الركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا
مكة نلتمس الرضعاء فما منا امراة الا وقد عرض عليها محمد بن عبد الله فتاباه اذا
قيل لها انه يتيم وذلك انا انما كنا نرجو المعروف من ابي الصبي فكنا نقول يتيم
فما عسى ان يصنع امه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امراة قدمت معي
الا اخذت رضيعا غيري فلما اجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي والله اني لاكره
ان ارجع من بين صواحبي ولم اخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك اليتيم
فلاخذنه فقال افعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت اليه
فاخذته وما حملني على اخذه الا اني لم اجد غيره قال فلما اخذته رجعت به الى رحلي
فلما وضعته في حجري اقبل على ثدياي بما شاء من اللبن فشرب حتى روي وشرب
معه اخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك وقام زوجي الى شارفنا
فاذا بها لحافل فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا
بخير ليلة قال يقول صاحبي حين اصبحنا تعلمي يا حليمة لقد اخذت نسمة
مباركة قلت والله اني لارجو ذلك ثم خرجنا فركبت اتاني وحملته عليها معي فوالله

لقد قطعت بالركب ما تقدر على شيء من حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لي يا ابنة
ابي ذويب ويحك اربعي معنا اليست هذه اتانك التي كنت خرجت عليها
فاقول لهن بلى والله فيقلن لي والله ان لها لشانا قالت ثم قدمنا منازلنا
من بني سعد وما اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي
حين قدمنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة ولا يجدها في
ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي
بنت ابي ذويب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا
لبنا فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان
يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا قالت فقدمنا
به على امه ونحن احرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته فكلمنا امه وقلت
لها لو تركت بني عندي حتى يغلظ فاني اخشى عليه وبا مكة قالت فلم نزل بها
حتى ردته لنا قالت فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا باشهر مع اخيه
لفي بهم لنا خلف بيوتنا اذ اتانا اخوه يشتد فقال لي ولابيه ذاك اخي القرشي
قد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه
يعني يخلطانه قالت فخرجت انا وابوه نحوه فوجدناه منتقعا وجهه قالت
فالتزمته والتزمه ابوه فقلنا ما لك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض
فاضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا لا ادري ما هو قالت فرجعنا به الى
خبائنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب
فالحقيه باهله قبل ان يظهر ذلك به فاحتملناه فقدمنا به على امه فقالت ما اقدمكما
به وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك فقلت قد بلغ الله بابني وقضيت
الذي علي وتخوفت الاحداث عليه فاديته اليك كما تحبين قالت ما هذا شانك
فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى اخبرتها قالت افتخوفت عليه الشيطان
قالت قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لبني لشانا افلا
اخبرك خبره قلت بلى قالت رايت حين حملت به انه خرج مني نور اضاء له
قصور بصرى من ارض الشام ثم حملت به فوالله ما رايت من حمل قط كان اخف

منه

منه علي ولا ايسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض رافع راسه
الى السماء دعيه عنك وانصرفي راشدة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع امه امنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه
ينبته نباتا حسنا لما يريد به من الكرامة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ست سنين توفيت امه امنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده
عبد المطلب وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون
حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه احد من بنيه اجلالا قال فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فياخذه
اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا راى ذلك منهم دعوا ابني
فوالله ان له لشانا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع
فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين هلك عبد المطلب جده فكان
مع عمه ابي طالب فكان يحنو عليه ويحفظه فبينا هو عنده يوما اذ قدم مكة
رجل عائف من ازد شنوءة وكان ذلك الرجل اذا قدم مكة اتاه رجال قريش
بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم ويتفرس وكان ماهرا في ذلك معروفا به
مجربا عليه الاصابة في ذلك فاتاه ابو طالب به وهو غلام قال فنظر العائف
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شيء فلما فرغ قال الغلام علي به
فلما راى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام
الذي رايت انفا فوالله ليكونن له شان ثم ان ابا طالب خرج في ركب
تاجرا الى الشام فلما تهيا للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له
ابو طالب وقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا افارقه ابدا وكان يحبه
حبا شديدا فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وبها
راهب يقال له بحيرا في صومعة له وكان اليه علم النصرانية ولم يزل في
تلك الصومعة منذ قط راهب يصير اليه علم النصرانية لاجل كتاب فيها فيما
يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرون
به قبل ذلك فلا يعرض لهم ولا يكلمهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا قريبا من

صومعته صنع لهم طعاما كثيرا عن شي راه في صومعته وذلك انه راي رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صومعته وهو في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم
اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت
اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم استظل تحتها فلما راي ذلك
بحيرا نزل من صومعته وقد امر بذلك الطعام فصنع ثم ارسل اليهم فقال اني
صنعت لكم طعاما فقال له رجل والله يا بحيرا ان لك اليوم لشانا ما كنت
تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شانك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان
ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتاكلوا منه كلكم
فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه
في رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير الصفة التي يعرف
ويجد عنده قال يا معشر قريش لا يتخلفن احد منكم عن طعامي فقالوا له يا بحيرا
ما تخلف عنك احد ينبغي له ان ياتيك الا غلام هو احدث القوم سنا فتخلف
في رحالهم قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فجا وقد احتضنه
رجل من القوم فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشيا من جسده
قد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه
بحيرا فقال له يا غلام اسالك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتني عما اسالك
عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه قد كان سمع قومه يحلفون بهما فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تسالني باللات والعزى فوالله ما ابغضت شيا قط
بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال له سل عما بدا لك
فجعل يساله عن اشيا من حاله في نومه وهيئته واموره فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فراي خاتم النبوة
بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده وكان مثل اثر المحجم فاقبل
على عمه ابي طالب فقال ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هذا بابنك وما
ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات
وامه حبلى به قال صدقت فارجع بابن اخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله

لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شان
عظيم فاسرع به الى بلاده فخرج به عمه ابو طالب سريعا حتى اقدمه مكة حين
فرغ من تجارته ثم ان زريرا وتماما ودريسا وهم نفر من اهل الكتاب قد كانوا
راوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما راى بحيرا في ذلك السفر الذي كان فيه
مع عمه ابي طالب فارادوه فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب
من ذكره وصفته وانهم ان اجمعوا لما ارادوا به لم يخلصوا اليه حتى عرفوا ما قال
لهم وصدقوه فيما قال فتركوه وانصرفوا فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكلوه الله ويحفظه من اقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ
اذ كان رجلا افضل قومه مروة واحسنهم خلقا واكرمهم حسبا واحسنهم جوارا
واعظمهم امانة وابعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تكرما وتنزها
حتى ما اسمه في قومه الا الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة فلما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وعرفت امانته وصدق
حديثه وظهرت بركته عرضت عليه خديجة بنت خويلد مالا يخرج به مسافرا الى
الشام وتعطيه افضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له
ميسرة فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في ذلك المال وخرج معه
ميسرة حتى قدم الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبا من
صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب الى ميسرة فقال من هو الرجل الذي
تحت هذه الشجرة فقال ميسرة هذا رجل من قريش من اهل الحرم فقال له
الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلعته التي خرج بها واشترى ما اراد ان يشتري ثم اقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة
فكان ميسرة اذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس
وهو يسير على بعيره فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جا به فاضعف او قريبا
وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من اظلال الملكين اياه وكانت
خديجة امراة حازمة شريفة لبيبة مع ما اراد الله بها من كرامتها فلما اخبرها ميسرة بما
اخبرها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا ابن عم اني قد رغبت

فيك لقرابتك ووسطتك في قومك وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت
عليه نفسها وكانت خديجة يومئذ وسط نساء قريش نسبا واعظمهن شرفا
واكثرهن مالا كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه فلما قالت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه حمزة بن عبد المطلب حتى
دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها وقد كانت خديجة بنت خويلد قد
ذكرت لورقة بن نوفل وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس
ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلانه
فقال ورقة ان كان هذا حقا يا خديجة فان محمدا لنبي هذه الامة قد عرفت انه
كائن لهذه الامة نبي ينتظر هذا زمانه فجعل ورقة يستبطئ الامر ويقول حتى متى
فلما تقارب زمن مبعثه كثرت احاديث الكهان عن نبوته والاخبار بذلك فيبشر
بقرب ظهوره جماعة من الكهان واما اليهود فكانت تكون بينها وبين العرب شرور
وحروب فربما اصابت العرب منهم فكانت اليهود تقول قد قرب زمان نبي يبعث
الان نقتلكم معه قتل عاد وارم ثم لم يلبثوا حتى ظهر وعرفوه كما يعرفون ابناءهم
فلما بعث فمنهم من آمن به ومنهم من كفر حسدا وعنادا كما فعلتم انتم ولقد قدم المدينة
نفر من اليهود يلتمسون هجرته اليها وكونه فيها من ذلك ما يحكى عن ابن الهيبان
حبر من احبار يهود وممن كان ينتهي اليه علمهم وكان فاضلا في دينه مجاب الدعوة
من علم ذلك منه بكثرة تجربته ذلك فقال لليهود يوما ما ترون اخرجني من الشام ارض الخمر
والخمير الى ارض البؤس والجوع قالوا الله اعلم قال فاني قدمت هذه البلدة اتوكف
خروج نبي قد اظل زمانه هذه البلدة مهاجره فكنت ارجو ان يبعث فاتبعه وقد
اظلكم زمانه فلا تسبقوا اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري
والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر
بني قريظة قال نفر من اليهود يا بني قريظة والله انه للنبي الذي كان عهد اليكم فيه ابن الهيبان
قالوا ليس به قال بلى والله انه لهو بصفته فنزل نفر منهم واسلموا وشملهم الكثير
ومن اوضح ذلك وابينه قصة سلمان الفارسي وذلك انه كان قد تنصر وقرا الكتب
وبحث عن جماعة من اهل دينهم اعني الذين كانوا متمسكين بدين المسيح فلم يزل يبحث عنهم

واحدا

واحدا بعد واحد ويخدمهم حتى يحضرهم الوفاة فكان الواحد منهم اذا حضرته
الوفاة وصاه بان يلحق بمن هو على مثل دينه وحاله ويعينه له ويدله عليه
الى ان وصل الى عمورية الى ارض الروم الى راهب نصراني كان هناك قال سلمان
فاقمت عند خير رجل على هدي اصحابه يعني الذين كانوا دلوا عليه الى ان حضرته
الوفاة فقلت له يا فلان اني كنت مع فلان ثم اوصاني فلان الى فلان ثم اوصاني
فلان اليك فالى من توصي بي انت وبم تامرني قال اي بني والله ما اعلم اصبح
احد على مثل ما كنا عليه من الناس امرك بان تاتيه ولكنه قد اظل زمان نبي هو
مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى ارض بين حرتين بينهما نخل
به علامات لا تخفى ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان
استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل قال ثم مات وغيب ولحق سلمان
بالمدينة الارض التي عين له فاقام هنالك حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مهاجرا ففحص عن تلك العلامات التي رسمت له فوجدها كما رسمت له فامن به
واتبعه وصدقه وكان معه على دينه الى ان توفاه الله رضي الله عنه ولو ذهبت
الى الاستقصاء لطال الكتاب فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا فكان اول ما ابتدئ
به من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح
ثم حبب الله اليه الخلوة فكان ينقطع الى الكهوف والغيران ويأوي اليها
فكان يخلو بغار حراء وكان في ذلك لا يمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى
الا الشجر والحجارة تكلمه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع
ما شاء الله ان يمكث ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في رمضان
فمن ذلك الوقت ظهرت اياته وعمت بركاته وتواترت رسالاته ومعجزاته
واذ ذلك جمع الله له كل خصال الكمال وخصه بصفات الشرف والجلال فقد
جمع الله الكمال الظاهر والباطن بما خلق فيه من الفضائل والمحاسن وينبغي الآن
ان نعرف الجاحد والجاهل ببعض ما خص به من صفات الكمال والفضائل

ثم اوصاني الى فلان ثم

اعلم ان الكمال البشري ضربان ظاهر وباطن وكل واحد من هذين الضربين
ضربان ضرب يكون الانسان مجبولا عليه ولا اكتساب له فيه وضربا يكون مكتسب
لان الانسان يحصل له بسعيه وكسبه فقد انحصرت صفات الكمال في اربعة اقسام
كمال ظاهر ضروري وكمال ظاهر مكتسب وكمال باطن ضروري وكمال باطن مكتسب
وقد جمع الله هذه الاربعة الاصناف لنبينا صلى الله عليه وسلم ونحن نذكرها جملة ثم
نشرع بعد في التفصيل ان شا الله تعالى اعلم انا انما نذكر من صفات كماله وجلاله
المشهور على شرط الاختصار خوفا من التطويل والاكثار ولو ذهبنا الى الاستقصا
لعجزنا عن الاحصا فمن ذلك كمال خلقته وجمال صورته وفصاحة لسانه وشرف
نسبه وعزة قومه وكرم ارضه وقوة عقله وصحة فهمه ومتن علمه وجميل صبره وعظيم
حلمه وحسن تواضعه وعدله وجزيل زهده وفضله وعميم جوده وكرمه ووثيق
عهوده وذممه ووافر سمته وادابه وطهارة ذاته ونسبه وعظيم شجاعته ونجدته
وكثرة حيائه ومروته وجملة امره صلى الله عليه وسلم انه اكمل الناس خلالا وافضلهم
حالا واعلمهم بحدود الله واخوفهم من الله فاما كمال خلقته وجمال صورته فشي معلوم
لم يذهب احد من اعدايه الى خلاف ذلك ولا استطاع ان ينسب له نقصا ولا شينا
في شي من ذلك لكن اعترف الكل بانه كان ازهر اللون ادعج ابلج اشكل اهدب
الاشفار افلج ازج اقنى مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية يملا صدره موصول
ما بين اللبة والسرة بشعر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل
العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سايل
الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة مربوع القد ليس بالطويل البابن ولا
بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله
رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب
الغمام اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم
ولا بمكلثم متماسك اللحم قال البرا ما رايت من ذي لمة في حلة حمرا احسن منه
صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا في الجدر
اكمل الناس من بعيد واحسنهم من قريب من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة

احبه

احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله طيب الرايحة والعرف ولقد كان
صلى الله عليه وسلم يعرف طريقه برايحته وان لم ير ولقد كان يتطيب بعرقه
ويوضع في الطيب فيتم الكرمه ولقد كان يضع يده على راس الطفل رحمة له
فكانت تنم عليه رايحة طيبه صلى الله عليه وسلم ولقد اشتهر وصح انه صلى الله
عليه وسلم بعد موته طال مكثه في البيت قبل ان يدفن يومين وليلة في المشهور
وكان موته في شهر الطول ومع ذلك فلم يتغير له ريح ولا ظهر عليه شي مما يظهر على
الموتى حتى كانت الصحابة تقول له طبت حيا وميتا ولقد روي ان ام سلمة
قالت وضعت يدي على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ميت
فمرت علي جمع لا اكل ولا اتوضا الا وجدت ريح المسك في يدي فان قيل
نسلم انه كما وصفت لكن اي فضيلة لحسن الصورة الظاهرة واي مزية لها على
غيرها اذ رب قبيح المنظر حسن الفعل والمخبر ورب حسن الظاهر والمنظر قبيح
الفعل والمخبر فنقول هذا الذي ذكرت يندر ويقل بل لا يبعد ان يقول قايل لا يوجد
كامل الصورة الظاهرة الا وهو كامل الصورة الباطنة اذ كلاهما انما يجب
بحسب ما اجرى الله العادة مزاج معتدل فكانا بامر واحد ولاجل هذا والله اعلم
لم يسمع قط عن نبي من انبيا الله تعالى ان الله خلقه ناقص الخلقة او مشوها اللهم
الا ما طرات على بعضهم افات لاسباب شاها الله تعالى مثل ايوب وغيره وليس
الكلام في الطاري انما الكلام في اصل الخلقة ثم ان الحكما والعقلا قد استدلوا
بحسن الخلق على حسن الخلق حتى ان بعض الحكما قال اقصدوا لحوايجكم سماح الوجوه
فانه انجح لها او فانه احرى ان يقضي وايضا فان الجمال والحسن محبوب بالطبع
ومرغوب فيه والقبيح منفور عنه ومقصود الله تعالى ان يحب الانبيا وان
لا ينفر منهم والحسن موجب لذلك وايضا فان صفة نبينا هذه هي صفة جده
ابراهيم خليل الرحمن حتى كانه هو على ما ثبت في صفة ابراهيم في كتب الانبيا عليهم
الصلاة والسلام واما فصاحة لسانه فلقد اطلع من الفصاحة على كل نهاية وبلغ من
البلاغة كل غاية فلقد اوتي صلى الله عليه وسلم سلاسة الطبع وبراعة
وعذوبة اللفظ وحسن الايراد وجزالة القول وصحة المعاني مع اتقان اللفظ وقلة

التكلف واوتي صلي الله عليه وسلم جوامع الكلم وبدايع الحكم فلقد كان يخاطب
كل حي من احيا العرب بلغتهم ولم يكن يقتصر علي لغة واحدة مع انه انما نشا
علي لغة بني سعد وقريش وكان يعرف لغات غيرهم حتي كانوا يتعجبون منه
ويقولون ما راينا بالذي هو افصح منه وهذا معلوم عند الفصحا العرب العربا
وتقف علي معرفة ذلك بالذوق والمباديه من كان عارفا بلسان العرب
ولغتهم ووقف علي شي من كلامه معجمه ومجازه وبهم واما نسبه فمعلوم لا يجهل
ومشهورا لا ينكر جده الاعلي ابرهيم والاقرب عبد المطلب كابرا عن كابر وشريفا
عن شريف فهم انبيا فضلا ومن شرفا حكما وهذا كله مسلم لا يمنع ومقبول لا يدفع
فهو صلي الله عليه وسلم من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا وذلك ان الله اصطفي
من ولد ادم ابرهيم واصطفي من ولد ابراهيم اسمعيل كما قد شهدت التوراة
وعبرها لذلك واصطفي من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفي من بني كنانة قريشا
واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاه صلي الله عليه وسلم من بني هاشم
فهو خيار من خيار من خيار وكذلك الرسل صلي الله عليهم تبعث في اشرف
انساب قومها صلي الله عليهم ذلك ليكون اميل للقلوب الخلق اليهم والله اعلم
واما عزة قومه فقد كانوا في جاهليتهم لم يتملكهم سلطان ولا ظفرت بهم الاعدا ولا دخلوا
في اغلب ازمانهم تحت قهر غيرهم بل كانوا قد حازوا الشرف الباهر والمفاخر والماثر
اوفر الناس عقولا واعلاهم فضولا وافصح الناس مقالا واكرمهم فعالا هم
الشجعان الكرما والحكما الادبا اما مستحسنات الاخلاق ودنيها فهم مبرون عنها
واما حسنها وعليها فهم احرص الناس عليها والموصوفون بها وكفي دليلا
علي ذلك ما علم من حسن جوارهم وكرم عهودهم وعظيم بذلهم وجودهم وكل
ذلك من اوصافهم معروف ولغالب منهم بذلك موصوف وحتي لقايلهم ان يقول
لنا الشرف الذي يطا الثريا مع الفخر الذي بهر العبادا
واما ارضه فناهيك بارض اسس بنيتها ابراهيم الخليل وامره ان يلان يدعو
الناس اليها الملك الجليل وتولي عمارتها والمقام فيها النبي اسمعيل وتوارثها
الاشراف جيلا بعد جيل وكفي بلدته شرفا ما فعل الله بملك الحبشة الذي جا

لهدمها فلما قرب منها وعزم علي هدمها ووجه فيله اليها ارسل الله عليهم طيرا اشباه
الخطاطيف مع كل واحد منها ثلاثة حجر في منقاره وحجران في رجليه فرمت
الطير ذلك الجيش بتلك الحجارة فكل من اصابه من تلك الحجارة شي هلك مكانه
واصاب ملكهم منها حجر فهلك بعد ان تناثر لحمه وتساقط انمله انملة وتفرقوا
في كل وجه واهلكهم الله كل هلاك وبددهم اي تبديد وكل هذا معروف
لا ينكر ومشهور لا يجهل فهي الارض علي محلها وجدبها وشظف عيش اهلها
خير البلاد عند ربها دل علي ذلك كلام الانبيا والرسل وما جا من ذلك في
متقدمي الكتب ولا يظن الجاهل ان خير بلاد الدنيا عند الله اكثرها خصبا
واعظمها فاكهة فان هذا ظن من ليس له نطق ولا فهم وهمه ما يجعل في بطنه
كالبهم بل خير البلاد عند الله ما يوجد فيه السعادة التي توصل الي ما عند الله
من الدرجات وكانت مع ذلك مما قدس وانتشرت منه الديانات
وكل ذلك في حق ارضه معلوم من جهة النبوات وسياتي ما ذكر الله في حكمة
بلوح عليه السلام علي لسان اشعيا عليه السلام واما قوة عقله وعلمه فلقد اوتي
منهما من حسن السياسة واحكام امور الرياسة والاخذ في العلوم العقليات
من غير اكتساب شي مما يحتاج اليه من المقدمات حتي اتخذ ارباب كل علم كلامه
في ذلك العلم اصلا يرجع اليه ويعول في صناعته عليه فتارة يكون كلامه في
بعض العلوم منشا ممهدا واخري متمما ومويدا وان اردت ان تعلم ذلك
علم اليقين فتامل تامل المتيقظان ما تضمنه ذلك الكتاب والسنة فبها كثرت الخيرات
وعظمت المنة فانك تجدهما قد جمع له فيهما علوم الاولين والاخرين علي
اختلاف علوم العالمين من الرياضيات علي اختلاف اصنافها والالهيات
مع تعذرها علي اكثر الافهام واعتياصها والسياسات علي حسب اصنافها
اما الامور المصلحية التي يعبر عنها بالقوانين الشرعية فتقضي العقلا منها العجب
فانه اطلع منها علي اعلي المراتب والرتب وذلك ان احكام شريعته صلي الله عليه
وسلم انقسمت الي امور تعبدية مثل الصوم والصلوة والحج وغير ذلك
مما لا يدرك معانيها الا من امده الله بتوفيق خاص فنور للمعارف باطنه

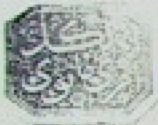
وزين بالاعمال ظاهره والى امور مصلحية يدرك معانيها الخمس والجمهور من
اهل الديانة الحنيفية ثم انه اعتبر اصول مصالح العالم فاوجبها واعتبر اصول
مفاسد العالم وحرمها واصول المصالح انما هي خمس المحافظة على صيانة الدما
ء والاموال على ملاكها والانساب على اهليها والعقول على المتصفين بها
والاديان التي بها يحيى النفوس وركانها فاصول الشريعة وان تعددت صورها
فهي راجعة الى هذه الخمسة فاما بمرتبة واحدة او بمراتب على ما يعرف في موضعه
اما الدما فحفظها بان من شرع ان من قتل قتل ومن جرح جرح ومن فقا عين انسان
فقئت عينه وهكذا فاذا علم القاتل انه يفعل به مثل ما يفعل انكف عن القتل
فحصلت حياة النفوس وصيانة الدما ولاجل ذلك قال الله تعالى ولكم في القصاص
حياة يا اولي الالباب ثم سوى في القصاص بين الكبير والصغير والشريف
والمشروف اشعارا بان مراتب التساوي في حقها لا مبالاة عند الله وان الشرف
انما هو بالدين والتقوى ولاجل ذلك هذا قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وقال عليه السلام الناس كاسنان المشط فيه بذلك ان الاحكام
متساوية بينهم وانهم فيها سواء واما الاموال فحفظها على ملاكها بان
شرع قطع يد السارق بنصاب وقتل المحارب وغرم مثل المتلف او المغصوب
ان كان مثليا فاذا علم السارق او المحارب انما يعاقب بما يناسب
جنايتهما ارتدعا وانكفا فحفظت الاموال واما العقول فحرم استعمال ما يودي
الى تلفها واذهابها كالخمر وذلك ان مناط التكليف العقل وهو الذي
به يعرف الله تعالى وهو الذي به ينتظم مصالح الدنيا والدين فاذا ذهب
الاثر فالخمر وما في معناه وقد يعرض لاسقاط التكليف والكفر بالله تعالى
بل لكل المفاسد ولاجل هذا قال الله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلاة فهل انتم منتهون ثم اكد الكف عن الخمر بان شرع على شربه حدا هو
ضرب بالسوط ليكون ذلك ابلغ في الردع والزجر واما حفظ الانساب وصيانته

اختلاط

اختلاط المياه في الارحام فشرع النكاح وحرم السفاح لينتسب كل
ولد لوالده وتمييز الولد عن صادره ولسعطف كل الى شيعته وتحقق نسبته
بقبيلته ولاجل هذا قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ولو لم تكن ذلك لارتفع التعارف
ولم يسمع ولا تسع فتق لا يرتقع واما المحافظة على الاديان وصيانتها فهو
المقصود الاعظم والمستند الاعصم فحرم الكفر والفسوق والعصيان واوجب
الطاعات والايمان واوجب قتل الكافر وتوعد بالعذاب الدايم والهوان
ولا يخفى على من معه ادنى مسكة اذا تامل بادنى فكره ان الايمان راس
المصالح والخيرات والكفر راس القبايح والهلكات ولاجل وجوب الايمان
وتحريم الكفران ارسل الله الرسل وانزل الكتب ولاجل ذلك قال الله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان
يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فهذه الاصول الخمسة بها
يتم نظام العالم وباضدادها يخرب العالم وبنظام العالم يتم نظام الاديان
وتحصل النجاة من عذاب النيران والفوز بنعيم الجنان مع رضى الرحمن
فهذا بيان انموذج من اصول السياسات الشرعية فاما الرياضيات فيكفيك
منها مثال واحد من الطبيات وذلك انه عليه السلام قال المعدة بيت الداء
والحمية اصل الدواء واصل كل داء البردة ولقد سمع بعض اطبا الهند هذا الكلام
فقال لم يترك نبيكم من الطب لاحد شيا او كلاما هذا معناه وتتبع ما يستفيد
من جهته من العلوم بحر لا ساحل له وليس هذا موضع استيفائه ومقصود
هذا الكلام ان هذا النبي الرفيع عند الله العظيم القدر لديه كان اميا منسوبا
الى ولادة الام ومعنى هذه النسبة انه بقي على ما كان عليه حين ولدته امه اي لم
يتعلم علما من احد ولا الكتابة ولا الخط كما بيمينه وهذا معروف من حاله
عند الموالف والمخالف وربما كان اذا اراد ان يحسب شيا عدده باصابعه
فكان يقول انا امة امية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا
يشير بيديه ثلاثا والشهر هكذا وهكذا وهكذا ويحبس باحدى

اصابعه يعني في الثالثة ومع ذلك فقد اوتي جوامع الكلم وبدائع الحكم
وعلوم الاولين فاخبر عن القرون الماضية والامم السالفة فاحاره حتى عند
ارباب العلوم والانبار ما عدا احد منهم فيها بل اذا سمعوا اذعنوا للتصديق بها
ولم يكذبوه في شي منها وكذلك اخبر عن الامم الآتية والوقايع المنتظرة اخبار الاتي وصل
اليها بالكتاب وانما ذلك باعلام العليم الوهاب فجاءت على نحو ما اخبر وما به بشر
وانذر وسياتي من ذلك مواضع يتبين فيها ذلك ان شاء الله تعالى وهذا دليل
من ادلة نبوته ولا يخفى على متامل وبالله التوفيق هل نقول انه ليس في القوة
البشرية والجبلة الانسانية الوصول من العلوم والمعقول الى مثل ما وصل
هو اليه اذ قد علم امور الا يستقل العقل بدركها واخبر بها وعند هذا يعلم
ان ذلك بتوفيق الاهي ونور رباني ولاجل هذا قال الله وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما واما صبره وحلمه فيكفيك من ذلك انه كسرت
رباعيته يوم احد وشج في وجهه فشق ذلك على اصحابه فقالوا له لو دعوت الله
عليهم فقال اني لم ابعث لعانا وانما بعثت رحمة ثم قال اللهم اهد قومي فانهم
لا يعلمون فانظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر على السكوت عنهم حتى
عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله
لقومي ثم اعتذر عنهم لجهلهم فقال انهم لا يعلمون وكذلك جاءه اعرابي جلف
جاف وكان على النبي صلى الله عليه وسلم برد غليظ الحاشية فجذبه الاعرابي
برداءه جذبا شديدا حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عنقه ثم قال يا محمد
احملني على بعيرين من مال الله الذي عندك فانك لا تحملني من مالك ولا من مال
ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وقال المال مال الله وانا عبده
ثم قال له لم فعلت بي ما فعلت قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل على بعير شعير وعلى اخر تمر وكذلك قال
له اعدل يا محمد فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم ويلك ان لم اعدل فمن يعدل يامنني الله على خزائنه ولا تامنوني وكذلك

سحره



سحره لبيد بن الاعصم اليهودي فاعلمه الله بسحره وحيث هو فاستخرجه
فبري فقيل له الا تقتله فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس
شرا وكذلك قدمت اليه يهودية ذراع شاة مسمومة فاكل منه النبي صلى الله عليه
وسلم فعافاه الله في ذلك الوقت من ذلك السم فاستحضر المراة وقال
لها ما الذي حملك على ذلك فقالت اردت ان كنت كاذبا ارحت منك
وان كنت صادقا فلا يضرك فعفى عنها وقد قال بعض اصحابه ما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله
وما ضرب بيده شيا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا ضارب خادما ولا امراة
وجي اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع
لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنه يتقاضاه دينا له
عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له فانتهره عمر وشدد له
في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج تامرني بحسن القضا وتامره بحسن التقاضي
ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه المال ويزيده عشرين صاعا
فكان سبب اسلامه والاحاديث في هذا الباب اكثر من ان ياتي على حصرها
هذا الكتاب وعلى الجملة فقد تواتر صبره على اذى قريش وسعوا اخراجه
من بلده ونيل الاذى حتى بلغوا منه مبلغا لا يصبر عليه الا من هو مثله
فلما اظفره الله بهم قال لهم ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
اذهبوا فانتم الطلقا ولقد ثبت عنه انه لما كذبه قومه جاءه جبريل عليه السلام
فقال ان الله قد سمع الله قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال
لتامره بما شيت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شيت
ان اطبق عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم ارجو ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا ولقد هبط ثمانون رجلا من التنعيم
صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم

ومثل هذا الكثير وعند هذا يتبين انه صلى الله عليه وسلم احلم الناس عند مقدرة
واصبرهم عند مكرهه وانه امتثل امر الله حيث قال له خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وحيث قال له فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين واما
تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس
تواضعا وابعدهم عن كبر وحسبك ان الله خيره بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
فاختار ان يكون عبدا نبيا فقال له اسرافيل عليه السلام عند ذلك فان الله قد
اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيامة واول من تنشق
الارض عنه واول شافع قال ابو امامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
متوكيا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا
وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب
الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقرا ويجيب دعوة العبد
ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وقال عليه السلام
لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وجاءته امراة
فقالت ان لي اليك حاجة فقال لها اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت
اجلس اليك حتى اقضي حاجتك فجلس اليها حتى فرغت من حاجتها وكان
يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف وكان يدعى الى
خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب وقد حج وكان عليه قطيفة ما تساوي اربعة
دراهم هذا كله وقد اقبلت عليه الدنيا بحذافيرها والقت اليه افلاذ كبدها فلم يلتفت
اليها ولا عاناها وكان صلى الله عليه وسلم في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب
شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه
ويعقل البعير وياكل مع الخادم ويعجن معها ويطحن معها ويحمل بضاعته من
السوق وكانت الامة من اما اهل المدينة حتى تقضي حاجتها ودخل عليه
فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة
من قريش تاكل القديد وقال ابو هريرة دخلت السوق مع النبي صلى الله
عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر قصة قال فوثب
الى

الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم
بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال
صاحب الشي احق بشيئه ان يحمله واما عدله وصدقه صلى الله عليه وسلم
وامانته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس
واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف بذلك محادوه وعداه وكان
يسمى قبل النبوة الامين وذلك لما جعل الله فيه من الاخلاق الصالحة ويدل
على ذلك ان قريشا لما بنت الكعبة اختلفت فيمن يضع الحجر الاسود موضعه
فحكموا بينهم اول داخل عليهم فاذا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم داخلا فقالوا
هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وذلك قبل ان يبعث ولقد اجتمع الاخنس
ابن شريق مع ابي جهل يوم بدر وكلاهما مخالف له وعدو له قد اجتمع على قتله
وقتاله فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
فاخبرني عن محمد اصادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمد الصادق وما كذب
محمد قط ولقد سال هرقل ابا سفين وهو على شركه ومخالفته فقال له هل
كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا فقال هرقل قد اعلم انه لم يكن
ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وقال النضر بن الحرث لقريش وهو عدوه
ومخالفه قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم حديثا
واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم انه كذاب
وانه ساحر لا والله ما هو بساحر ولا بكذاب فهكذا كان حاله يعترف اعداوه
بمناقبه ولا يقدرون على انكار شي من فضائله ومن ادل دليل على عدله وعظيم
تواضعه وفضله انه كان قد انتهى به الامر الى ان تهابه الملوك وتفرق منه الجبابرة
ومع ذلك فانه كان يوفي لكل ذي حق حقه ويعرف لذي الفضل فضله حتى كان
يقول اني اريد ان القى الله تعالى وليس احد منكم يطالبني بمظلمة في اهل ولا مال
ولاجل ذلك اقاد عكاشة بن محصن من نفسه وذلك انه صلى الله عليه وسلم
ضربه بقضيب في ظهره قاصدا لضربه فقال له عكاشة انك قد اوجعتني فاقدني
معناه مكني منك حتى اضربك كما ضربتني فكشف له عن ظهره وناوله القضيب

وقال اضرب فاك بكاشه على ظهره وقال انما اردت ان يمس جلدي جلدك
والاخبار في هذا اكثر من ان يحيط بها هذا الكتاب واما زهده صلى الله عليه وسلم
فلقد كان ازهد الناس واورعهم وحسبك شاهدا على ذلك ما علم من حاله صلى
الله عليه وسلم وذلك انه اعرض عن الدنيا وزهرتها ولم يلتفت الى شيء منها
مع اقبالها عليه وسوقها اليه وذلك ان الدنيا سيقت اليه بحذافيرها
وترادفت عليه فتوحها ومع ذلك لا يعرج عليها ولا يلتفت اليها الى ان مات
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم
اجعل رزق آل محمد قوتا ويقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني
في جملة المساكين ولقد صحت الاخبار عنه انه ما شبع ثلاثا تباعا حتى مضى
لسبيله ولقد روي انه ما شبع من خبز الشعير يومين متواليين وما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وما ترك الا
بغلته وسلاحه وارضا جعلها صدقة وكان يقول ما احب ان لي مثل احد ذهبا
يمضي ثالثه وعندي منه دينار الا دينارا ارصده لدين ولقد قال صلى الله عليه
وسلم عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب بل اجوع
يوما واشبع يوما فاذا جعت تضرعت اليك ودعوتك واذا شبعت شكرتك
وحمدتك ولقد حكى عنه جماعة من الصحابة انه كان يبيت هو وعياله الليالي
المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وقال انس خادمه ما اكل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط
ودخل عليه عمر بن الخطاب فوجده مضطجعا على رمل حصير قد اثر في جنبه قال
عمر فنظرت في بيته فلم ارى فيه شيئا فبكيت لما رايت برسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحاجة والفاقة فقال ما شانك يا ابن الخطاب فقلت
يا رسول الله ذكرت كسرى وقيصر وما اعطاهما الله فقال افي شك انت يا ابن
الخطاب اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة وقالت عائشة لم يمتلي
جوف نبي الله شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب
اليه من الغناء وان كان ليظل جائعا يلتوي طول الليل من الجوع فلا يمنعه

صيام

صيام يومه ولو شاء سال ربه كنوز جميع الارض وثمارها ورغد عيشها
ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي
وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا
على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي قالت فما اقام بعد ذلك الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم
ولقد شكى بعض الصحابة الجوع وكشف له عن بطنه عن حجر فكشف صلى الله عليه وسلم
وهذا معلوم قطعا من احواله لا يقدر على جحده احد من اعدائه ولا اوليائه
واما كثرة جوده وكرمه فشيء معروف من شيمه فلقد تواتر انه كان اكرم الناس
واجودهم حتى انه ما سئل قط شيئا فمنعه اذا كان ذلك الشيء المسئول مما
لا يمنع شرعا وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير
واجود ما يكون في شهر رمضان وكان اجود بالخير من الريح المرسلة ولقد سأله رجل
فاعطاه غنما بين جبلين فرجع ذلك الرجل الى قومه فقال اسلموا فان محمدا
يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى اناسا كثيرين مائة من الابل واعطى صفوان
مائة ثم مائة واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وسيق له صلى الله عليه
وسلم تسعون الفا فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا
حتى فرغ منه وكان صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلا جاءه وربما كان السائل
لا يجد عنده شيئا فياخذ له بالدين ويعطيه السائل حتى يقضيه النبي صلى الله
عليه وسلم ولقد جاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي بدين فاذا
جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما قال له عمر فقال له رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف
من ذي العرش اقلالا فتبسم وعرف بشر ذلك القول في وجهه وقال بهذا
امرت ولقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية وان لم يحتج اليها ويثيب عليها
باضعافها وروي ان معاذ بن عفرا اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم طبقا فيه رطب

وقتا فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم ملء كفه حلما وذهبا وكان صلى الله عليه وسلم
لا يخون بها الغدر ولقد ثبت عنه انه كان يقول ما يسرني ان عندي مثل احد
ذهبا يمضي على ثالثة وعندي منه دينار الا شيا ارصده لدين وما سيق له
قط شي فقسم ذهبا كان او غيره الا قسمه ولم يبت عنده وهكذا كان المعروف
من خلقه قبل مبعثه وكان هذا معروفا عند قومه الذين نشا فيهم حتى لقد قال له
ورقه وكان امرا تنصر وقرا الكتب العبرانيه وكان قد تفطن واستشعر بنبوته
عليه السلام لما راى من العلامات التي علمها من الكتب المتقدمه فقال انك لتحمل
الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق وهذا كله من اخلاقه
معروف حاصل لا يتمارى فيه منصف عاقل واما وفاه بالعهد فلا يتمارى فيه
الا خسيس وغد فقد كان صلى الله عليه وسلم احفظ الناس للعهد واوفاهم
بميثاق ووعد واحسنهم جوارا واصدقهم قولا واخبارا روي عن عبد الله بن
ابي الحمسا انه قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث
وبقيت له بقيه فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجيت
فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ها هنا منذ ثلاث انتظرك
وذلك للميعاد الذي كان بينهما وكان المعلوم من سيرته صلى الله عليه وسلم
انه كان يعقد العهود والمواثيق بينه وبين اعدائه وغيرهم فيفي بها ويودهم بانقضا
عند تمامها ولم يغدر قط في شي منها ولقد كان هذا معروفا عند اعدائه كما هو
معروف عند اوليائه ولقد روي ان هرقل ملك النصارى لما سال كفار قريش
عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم قال هل يغدر فقالوا له لا فقال لهم كذلك
الرسل لا تغدر وكيف يغدر صلى الله عليه وسلم وهو قد قال صلى الله عليه وسلم
وهو قد قال ينصب لكل غادر لوا يوم القيامه يعرف به يقال هذه غدرة فلان
ولقد جاء المغيرة بن شعبه مسلما وجا معه بمال قوم من اهل الجاهليه كان قد
صحبهم ثم قتلهم واخذ اموالهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل
واما المال فلست منه في شي ولم يقبله وقال صلى الله عليه وسلم وقد عرض له بعض
اصحابه بغدر المشركين لما لم نف لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم وفي خبر الجلندى
ملك

ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال
الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن
شي الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي
بالعهود وينجز الموعود اشهد انه نبي يا هذا اما لعقلك اين هذا مما يحكي
اليهود والنصارى عن موسى عليه السلام في كتبهم من ان موسى عليه السلام لما اراد
الخروج من مصر استعار حلي بني اسرائيل ثم هرب به ليلا وعند الانتباه لهذا المقام
يعلم العاقل ما في كتب القوم من الاباطيل والاوهام وموسى عليه السلام مبرا عن
النقايص والاثام ومن وفايه بالعهد وقيامه في حفظه بالجد انه قدم عليه وفد
النجاشي فقام صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك
فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم وقال صلى الله عليه وسلم
حسن العهد من الايمان وحقيقه الوفا بالعهد تتميم ما ربط من العقد ومراعاه ما تقدم
من الود ومكافاه من له يد وقد كانت هذه الخصال جمعت فيه ولا ينازع في
ذلك احد وان كان يناويه واما حسن سمته وكثرة حيايه ومروته
فشي لا يجحد ولا يجهل ولا يخفى في شي من ذلك احد ولئن بذل غاية جهده لم
يكمل فهو بالمحجة كما قال الشاعر الاول

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا ولم يلاموا ولم يالوا

كان صلى الله عليه وسلم كثير الصمت والوقار طويل الاطراق والاعتبار
يكسوه هيبته ووقاره جلساه حتى كانوا اذا جلسوا بين يديه كان على رووسهم
الطير اعظاما له وهيبة منه مجلسه اوقر المجالس لا يسمع فيه صخب الاصوات
ولا اختلاط اللغات ليس فيه مرا ولا جدال ولا لغو ولا فحش فيه مجال لا توبن في مجلسه
الحرم ولا تنقص فيه من الاقدار والقيم بل كان مجلس علم وحلم وحكم وفهم اصحابه
يتعظون في مجلسهم معه حرمات الله ويتعلمون منه احكام الله فتارة يعلمهم
بامور الاخرة حتى كانهم ينظرون اليها واخرى يعلمهم احكام شرعيه لكي يعملوا بها
كان صلى الله عليه وسلم يكثر السكوت ليعتبر ويسلم ويتكلم ليبلغ عن الله فيعلم
ويغنم قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر

يعلم الجاهل المسترشد ويدنيه ويطرد المعاند المتكبر ويقصيه يتواضع للفقراء
ويتواضع لذريه الامرا كان صلى الله عليه وسلم اشد حيا من العذرا في خدرها
الرفيعة الشريفة في قومها كان اذا سمع ما يستحيي منه ظهر نور احمر على وجهه
ولذلك مر صلى الله عليه وسلم على رجل وهو يعتب اخاه على الحيا فقال صلى الله عليه
وسلم دعه فان الحيا من الايمان وقال الحيا خير كله والحيا لا ياتي الا بخير وقال استحيوا
من الله حق الحيا وكان صلى الله عليه وسلم ضحكه تبسما ولم ير قط في ضحكه
مستغرقا ولا مسرعا كان كلامه فصلا يفهمه كل من سمعه وربما تكلم بالكلمة ثلاثا حتى
تفهم عنه وكان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه وكان اذا سلم على قوم سلم عليهم
ثلاثا كان صلى الله عليه وسلم يحافظ على مروته وعلى استقامة حالته وحسن
هيئته يمشي هونا كانما ينحط من صبب اذا مشى مشى مجتمعا واذا جلس
جلس محتبيا وقرب اليه طعام ومتكا فقال لا اتكي انما اكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد كان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة
ويستعملها ويحض عليها ويقول ان الله جميل يحب الجمال ويامر بالسواك وغسل
البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة ويأخذ بذلك ويعمل به وكان صلى الله
عليه وسلم لكثرة محافظته على خلال مروته اذا عطس غطى وجهه وخفض بها صوته
وما عسى ان يقول القاصر فيمن جمعت فيه كل الفضايل والماثر بل غاية التفصيح
الا ان يسعى الى قول الشاعر

ماذا اقول وقول فيك ذو حصر ... وقد كفيتني التفصيل والجملا
ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا ... او قلت زانك ربي فهو قد فعلا

واما شجاعته ونجدته فكان صلى الله عليه وسلم بالمكان الذي لا يجهل
وحظه منها الحظ الاوفى الافضل قد كان فارس الضراب ووقف المواقف
الصعاب فلا يبالي بكثرة العدد ولم تعد قط امام احد وما من شجاع الا وقد
احصيت له فرة وان كان لا بعد ماكره الا هو صلى الله عليه وسلم فلم يدبر قط
منهزما ولا فارق مكرا ملتزما وكان علي بن ابي طالب يقول انا اذا اشتد البأس
وحميت الحرب اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى

العدو

العدو منه ولقد رايتنا يوم بدر نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
اقربنا الى العدو ولقد كانت الصحابة تقول ان الشجاع منا الذي يقوم بجانبه
يستتر به وقيل لانس افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر قال لقد رايته على بغلته البيضا
وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول

انا النبي لا كذب ... انا ابن عبد المطلب

قيل فما رئي يومئذ احد كان اجرا منه ولا اشد وقد روي عنه انه نزل عن
بغلته متوجها نحو العدو قال العباس بن عبد المطلب لما التقى المسلمون والكفار
يوم حنين ولى المسلمون مدبرين فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار قال العباس وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو
سفيان اخذ بركابه ثم نادى المسلمين وذكر الحديث وقال انس كان النبي صلى الله
عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس ولقد فزع اهل المدينة
ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا قد سبقهم الى الصوت وقد استبرا الخبر على فرس عري لابي طلحة وفي
عنقه السيف وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا وجدناه بحرا يعني الفرس لكثرة جريه
وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول
ضارب ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد
كان للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم
وقام من ذره اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شا الله
فلما راه يوم احد شد ابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال
من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه خلوا طريقه وتناول النبي
صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا
عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم
فطعنه بها طعنة تدأدأ منها عن فرسه وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه
فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس عليك فقال لو كان

باني بجميع الناس لتقتلهم اليس قال لي انا اقتلك ان شاء الله والله لو بصق
علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الي مكة ومما يدلك علي عظم شجاعته انه يوم احد
وقعة الناس فاستقبل العدو في نفر قليل من اصحابه فكسر عتبة بن ابي وقاص
رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى وشجه في جبهته قال عبد الله بن شهاب الزهري
وضرب عمرو بن قميئة وجنته فادخل حلقتين من حلق المغفر في وجنته وهو في
ذلك كله لا يزول عن موضعه ولا يولي ظهره ولم يزل كذلك حتى انزل الله عليه نصره
حين راي صبره وفي ذلك الموضع وفي تلك الحال نهض نفر من اصحابه لقتال العدو
واقتحموا مع كثرة عددهم فانهدت مقابل واحد منهم موضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم خده لذلك الرجل علي قدمه حتى مات وهذا يدلك علي غاية شجاعته
وكثرة الجلد وقلة المبالاة بالعدو ولقد كانت غزوة احد هذه التي جرى فيها ما ذكر
من اول الشواهد علي نبوته صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما التقى هو والمشركون
قال النبي صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه وكانوا رماة انضحوا عنا الخيل بالنبل لا ياتونا
من خلفنا واثبتوا مكانكم كانت لنا او علينا وقد كان امر عليهم عبد الله بن جبير
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فهزموا المشركين وولوا ادبارهم
حتى سقط لواءهم صرعا فلما راي اصحاب عبد الله الهزيمة قالوا الهزيمة الهزيمة
تعالوا بنا نصيب ما يصيبه الناس فقال لهم عبد الله الم يقل لكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تبرحوا من مواضعكم فقالوا له قد هزم الله فلم يلتفتوا لكلامه فزالوا
عن مواضعهم فاسهم الله بان رجع العدو عليهم فقتل منهم من قتل لمخالفتهم
لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحص الله في تلك الغزوة المؤمنين ومحق الكافرين
والمنافقين وفي تلك الغزوة فقئت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت علي وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وسياتي ذكر هذا وما
شاكله بعد هذا ان شاء الله تعالى واما خوفه من الله واجتهاده في عباداته فلقد
بلغ من ذلك الي حد لم يبلغه احد من الخليقة وذلك ان الله تعالى كلفه من وظايف
العبادات ما لم يكلفه احدا علي الخصوص ومع ذلك لا يقصر في شي منها بل كان يبذل غاية
اجتهاده ووسعه في ادائها فمن العبادات التي كلفها الله له تحمل اعباء الوحي ومشقته

ثقله

ثقله فلقد كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه
ليتفصد عرقا ولاجل هذا قال الله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقال له فاذا
قراناه فاتبع قرانه وهذه مشقة لا يعرفها علي التحقيق الا الرسل ولاجل عظم هذا الامر
جاءه جبريل عليه السلام وهو يتعبد بغار حراء وذلك قبل ان يوحى اليه فقال له اقرا
فقال ما انا بقارئ فاخذه فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله فقال له اقرا فقال
ما انا بقارئ ففعل به مثل ذلك مرتين فقال له في الثالثة اقرا باسم ربك الذي
خلق الايات فقراها ثم رجع الي خديجة يرجف فواده فقال زملوني فدثروه فانزل
الله عليه وهو في تلك الحال يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر الايات ثم تتابع نزول الوحي
امر بتبليغه وتبيينه للناس والصبر علي ما يصيبه من اذى قومه فكان صلى الله
عليه وسلم يعرض نفسه ودينه علي قبايل العرب وعلي وفودها اذا قدموا مكة لمواسم
الحج فيعيب الهتهم ويسفه احلامهم ويظهر ضلالهم ويوبخهم علي جهالاتهم
فيردون عليه قوله ويكذبونه ويسبونه ويوذونه باقصى ما يمكنهم من انواع الاذى
فيصبر علي ذلك ويحتسب ما يلقاه علي الله فلم تزل الحال تشتد والانفاس تخفى من
التقصير وامر الله يتصعد

ما بالي اذا رضيت الهي ۞ اي امر من الامور دهاني

فلم يزل راضيا صابرا علي انواع البلاء حتى كان لسان حاله يقول

۞ عذب التعذيب عندي وحلا ۞

فاقام علي ذلك بمكة ثلاث عشرة سنة او نحوها يدعو الناس من غير قتل ولا قتال
وذلك كله ليظهر الاسلام وتنتشر دعوته لئلا يكون لاحد حجة علي الله ورسوله وبعد
ذلك امر بالهجرة من مكة الي المدينة ففارق اهله وعشيرته وماله وولده وبلده
ولم يعظم عليه مفارقة شي من ذلك في ذات الله فترك كل ذلك الي الله فوقع اجره
علي الله فلما حل بالمدينة افترض الله عليه القتال فقاتل في ذات الله جميع من كفر
بالله غير مقصر في ذلك ولا مفرط بل جاهد حق جهاده حتى اظهر الله دينه وارغمت
انوف الجاحدين وفي كل ذلك الزمان كان يقوم بوظايف الشريعة وعباداتها
عبادة عبادة فيصلي حتى تورمت قدماه وانتفخت ويصوم حتى كان القايل

يقول لا يفطر لكثرة ما كان يرى من صومه ووصاله وكان يذكر الله ويعظمه ويمجده
ويشكره على كل احواله من غير تقصير ولا فتور ولا يشغله عبادة عن عبادة ولا عمل
زمان عن عمل زمان اخر كان عمله ديمة ولذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم
خير العمل ادومه فكان يراعي انفاسه مع الله ولا يضيع شيا مما كلفه خوفا من
الله فكان ربما يتفكر في عظيم امر الله وعزه وسلطانه فيستعظم ما يعرف من
هول المطلع فكان يقول والله اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية وكان يقول
يا امة محمد والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات
تجارون الى الله وما تلذذتم بالنسا على الفرش لوددت اني شجرة تعضد ولذلك
كان يقول اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تئط
ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله وكل ذلك
يدل على كثرة معرفته بالله تعالى وشدة خوفه منه ورهبته له ولذلك كان
يبكي ويسمع لجوفه صوت كصوت المرجل من البكا وكذلك صح النقل عنه
انه كان متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة وكان يقول يا ايها
الناس توبوا الى الله فاني اتوب الى الله في اليوم مايه مرة وروي عن علي ابن
طالب انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة
راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله فخري
والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والصبر
زادي خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث اخر وثمرة فوادي في ذكره وغمي لاجل
امتي وشوقي الى ربي ووصف خوفه يطول ومعرفة ذلك من حاله لا ينكره حليم
ولا جهول اذا كان من اهل الانصاف وعلى الجملة فمما قبل البشر يعد لا تحصى
وما خص به من الاخلاق الكريمة عديد الحصى كيف لا وقد قال الله تعالى له انك
لعلى خلق عظيم وما عظمه العظيم فهو عظيم وكيف لا يكون ذلك وقد بعثه
الله متمما لمكارم الاخلاق الاولين وقد خصه بجميع صفات المحسنين فلو جاز
مصورا ان يعبد احد من البشر لكمال خلاقه وكرم اوصافه وطيب اعراقه لكان هو
اذ قد اعطي من ذلك ما لم يعط احد من البشر ولا دخل لهم تحت كسب ولا ورد

خاتمة جامعة في صفاته وشواهد صدقه وعلامات نبوته وذلك
ان ابا سفيين وكفار قريش قدموا الشام تجارا فارسل اليهم هرقل وكان
ملك النصارى وعظيمهم واليه ينتهي علمهم فجاوه ودخلوا عليه في مجلسه وحوله
عظما الروم فقال لترجمانه قل لهم ايكم اقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي
فان كذب فكذبوه قال ابو سفيين فوالله لولا الحيا من ان ياثروا عني كذبا لكذبت
عليه قال ابو سفيين فكان اول ما سالني عنه ان قال كيف نسبه فيكم قلت
هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم احد قط قبله قلت لا قال
فهل كان من اباييه من ملك قلت لا قال فاشراف الناس اتبعوه ام ضعفاوهم
قلت بل ضعفاوهم قال ايزيدون ام ينقصون قلت بل يزيدون قال
فهل يرتد احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل ان يقول ما قال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري
ما هو فاعل فيها قال ولم تمكني كلمة ادخل فيها شيا غير هذه الكلمة قال فهل قاتلتموه
قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال
ينال منا وننال منه قال ماذا يامركم قلت يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به
شيا واتركوا ما يقول اباوكم ويامرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة
قال هرقل لترجمانه قل له سالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك
الرسل تبعث في نسب قومها وسالتك هل قال احد منكم هذا القول قبله
وسالتك هل كان من ابايه من ملك فذكرت ان لا قلت لو كان من ابايه من ملك
لقلت رجل يطلب ملك ابيه وسالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان
يقول ما قال فذكرت ان لا فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب
على الله وسالتك اشراف الناس اتبعوه ام ضعفاوهم فذكرت ان ضعفاهم
اتبعوه وهم اتباع الرسل وسالتك ايرتد احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت
ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وسالتك ايزيدون ام ينقصون
فذكرت انهم يزيدون وكذلك امر الايمان حتى يتم وسالتك هل يغدر فذكرت
ان لا وكذلك الرسل لا تغدر وسالتك بم يامركم فذكرت انه يامركم ان تعبدوا

لا تشركوا به شيا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم بالصلاة والصدق والعفاف
فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت اعلم انه خارج
ولم اكن اظن انه منكم فلو اني اعلم اني اخلص اليه لتجشمت لقاه ولو كنت
عنده لغسلت عن قدمه ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان
قد بعث به مع دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراه فاذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام
على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يوتك
الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين يعني المقتدين به ويا
اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به
شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون قال ابو سفين فلما قال ما قال وفرغ من قراة الكتاب كثر عنده
الصخب وارتفعت الاصوات واخرجنا فقلت لاصحابي حين اخرجنا لقد
امر امر ابن ابي كبشة انه ليخافه ملك بني الاصفر فما زلت موقنا انه سيظهر حتى
ادخل الله علي الاسلام وكان ابن الناطور صاحب ايليا يحدث ان هرقل حين
قدم ايليا اصبح يوما خبيث النفس فقال له بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك
وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم فقال لهم حين سالوه اني رايت الليلة حين نظرت في
النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الامة قالوا ليس يختتن من هذه الامة
الا اليهود فلا يهمنك شانهم واكتب الى مداين ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود
فبيناهم على ذلك اتي هرقل برجل ارسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا امختتن هو ام لا
فنظروا اليه فحدثوه انه مختتن وساله عن العرب ايختتنون فقال هم يختتنون
فقال هرقل هذا ملك هذه الامة قد ظهر ثم كتب هرقل الى صاحب له برومية
وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى اتاه كتاب من صاحبه
يوافق راي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي فاذن هرقل لعظما الروم
في دسكرة له بحمص ثم امر بابوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في

الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش
الى الابواب فوجدوها قد غلقت فلما راى هرقل نفرتهم وايس من ايمانهم قال ردوهم
علي وقال اني قلت مقالتي انفا اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رايت
فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك اخر شان هرقل فتامل ايها القس ان كنت
من اهل العقل والحدس كيف كان العلما منكم يعرفونه بعلاماته ويستدلون
على صحة نبوته بحسن اوصافه وهيباته ولهذا دخل جماعة من عقلا اهل الكتاب
وغير واحد من ذوي الالباب مثل عبد الله بن سلام والفارسي سلمان
ونصارى الحبشة واساقفة نجران ولا تشك ان كنت منصفا انهم كانوا
اعلم بالكتب منك واعرف برسل الله وعلاماتهم من عشيرتك ولعلمهم بكتب الله
وما جا فيها من علامات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاهم ما عرفوا امنوا
وصدقوا فقالوا ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين
ولجهلكم بكتب الله وبعلامات رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاكم الحق كفرتم
به فلعنة الله على الكافرين ومن اعظم اياته واوضح دلالاته ما جرى له مع
قومه وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما جاهر قومه بتبليغ ما امره الله من الرسالة
وصدع بامره فسفه احلامهم وعاب الهتهم وبين لهم فساد ما هم عليه شق
ذلك عليهم واجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصمهم الله منهم بالاسلام كانوا اذ
ذاك قليل مستخفين فارادت قريش قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقتل من معه والوثوب عليهم فحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمه ابو طالب ومنعه منهم لشرفه في قومه وعزته فلم يقدروا ان يصلوا الى النبي
مما ارادوه فلما راوا انهم لا يقدرون على ان يصلوا الى ضره لمنع عمه له منهم اجتمعوا
فقالوا لابي طالب ان ابن اخيك قد سب الهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا
وضلل ابانا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن
عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم ابو طالب قولا رقيقا وردهم ردا جميلا
ثم قال له يا ابن اخي ان قومك قد جاوا فقالوا لي كذا وكذا الذي قالوا له فابق يا ابن
اخي علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا اطيق فلما سمع رسول الله صلى الله

عليه وسلم القول منه ظن انه سيسلمه اليهم وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه
فقال له يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر
حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى
ثم قام فلما ولى ناداه ابو طالب عمه وقال له اقبل يا ابن اخي واذهب فقل ما احببت
فوالله لا اسلمك لشيء ابدا فلما رات قريش ان ابا طالب لا يسلمه عزمت على حربه
وقتاله فتهيا ابو طالب لقتالهم وجمع قومه وعشيرته لذلك ثم انهم تصالحوا فيما بينهم
واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حاله ذاكرا عيب دينهم وتسفيه عقولهم وذم
آلهتهم لا يرده عن ذلك راد ولا يصده عما يريد صاد فاجتمع اشراف قريش يوما
فقالوا ما راينا مثل صبرنا على ما نلقى من امر هذا الرجل انه قد سفه احلامنا وشتم اباءنا
وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على امر عظيم فبينا هم
يقولون ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم
الركن ثم مر بهم طايفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول فتغير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال لهم اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح
قال واخذت القوم كلمته وهيبته حتى ما منهم رجل الا ناكس راسه كان على راسه
طايرا واقعا حتى ان اشدهم عليه وطاة ليلقاه بالقول ويقول له احسن ما يجده
من الكلام حتى انه يقول انصرف يا ابا القسم فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم حتى اذا كان الغد اجتمعوا فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم
وما بلغكم عنه حتى اذا اسمعكم ما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليهم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون له انت
الذي تعيب آلهتنا وديننا فيقول نعم انا الذي اقول ذلك فاخذ الجميع رداءه وجبذوه
جبذا شديدا وهو مع ذلك يقول لهم انا الذي اعيب ما انتم عليه لم يزد على ما راى منهم
ولا ناله ذلك بل صبر على ما ناله حتى نصره الله عليهم واظهر دينه على دينهم فتامل ايها العاقل
ان كنت منصفا فرقا ما بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبين ما تحكيه النصارى
عن المسيح في انجيلهم وذلك انها تحكي فيه ان المسيح لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال
قد جزعت نفسي الآن فماذا اقول يا ابتاه فسلمني من هذا الوقت وانه حين رفع في

الخشبة

الخشبة صاح صياحا عظيما وقال ايلي ايلي عرساني وترجمته الهي الهي لم اسلمتني
وهذا غاية الجزع والخور تنزه عنه عيسى بل هو من اكاذيبهم عليه وكذلك ذكرت في
انجيلها ان عيسى لما اخذته اليهود وحملته الى قايد القسيسين قال له استحلفك
بالله الحي ان تصدقنا ان كنت المسيح بن الله فقال له المسيح انت قلته وهذا كلام يدل
على انه كتم نفسه وسترها ضعفا وجبنا ثم ان كفار قريش لما اعجزهم امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعظم عليهم شانه تشاوروا في كيف امره فقال لهم عتبة بن ربيعة
يا معشر قريش الا اقوم لمحمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه ايها
شاء ويكف عنا وذلك لما لم يقدروا على ان يصلوا اليه بمكروه فقالوا له بلى فقام اليه عتبة
فقال له يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في
النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم
وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني اعرض عليك
امورا لعلك تقبل منا بعضها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل اسمع فقال
له يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى
تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت
تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك
طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبريك فلما فرغ قال له النبي صلى الله عليه وسلم
قد فرغت قال نعم قال فاستمع مني قال افعل فقرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم
لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة حتى اذا بلغ السجدة
فسجد ثم قال قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه
فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس
اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط
والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها بي خلوا
بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبا عظيم فان تصبه
العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس

قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه فقال هذا رايي فيه فاصنعوا ما بدا لكم
فانظر ان كنت عاقلا كيف بذلوا له الاموال فلم يقبلها وعرضوا عليه ملك الدنيا فلم يعرج
عليها بل صدع بامر الله وبلغ ما امره به الله وكذلك اجتمع كفار قريش وساداتهم
فعرضوا عليه مثل الذي عرض عليه عتبة وقالوا له مثل قوله فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بي ما تقولون شيء وما جئتكم اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك
عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا
فبلغتكم رسالات الله ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة
وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم والاخبار في هذا النوع كثيرة
ومن اوضح اياته واشهر علاماته ما اكرمه الله بعد وفاته وذلك انه قد اشتهر
انه صلى الله عليه وسلم لما توفاه الله اختلف غاسلوه في تجريده للتغسيل فلما اختلفوا
في ذلك القى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وضع ذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية
البيت لا يدرون من هو ولا يرون احدا ان اغسلوا النبي وعليه ثيابه وكذلك روي
ان عليا والفضل حين انتهيا في الغسل الى اسفله سمعوا مناديا يقول لا تكشفوا
عورة النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك روي من طرق كثيرة صحاح ان اهل بيته
سمعوا وهو مسجى بينهم قائلا يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهل البيت
ان في الله عوضا من كل تالف وخلفا من كل هالك ودركا من كل مصيبة فاصبروا
واحتسبوا ان الله مع الصابرين وهو حسبنا ونعم الوكيل قال فكانوا يرون انه
الخضر عليه السلام وقد آن ان نمسك العنان اذ قد حصل الشفاء على ان غرض الكلام نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وعلاماته مما لا نحصيها الا الله ولا نحيط بعلمها اجمعا ان
وقد نجز القول في النوع الثاني من ادلة نبوته والحمد لله ونشرع الان في النوع الثالث

النوع الثالث الاستدلال على نبوته صلى الله عليه وسلم بالكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

ولقد كان ينبغي ان نقدم الاستدلال بهذا النوع لكونه اعظم المعجزات واوضحها
واشهرها لكن قدمنا النوع الاول لسكات اليهود والنصارى وقالسنا وقدمنا
النوع الثاني لمناسبة فنقول ايضا بحمد الله نبتدي وبه نستهدي وهو حسبنا

ونعم

ونعم الوكيل محمد بن عبد الله رسول الله صادق فيما يقوله عن الله والدليل على ذلك
انه قد جاء بالمعجزات وكل من جاء بها فهو صادق فمحمد اذا رسول من الله صادق فان قيل
لم قلتم انه جاء بالمعجزات قلنا قد نقل الينا متواترا بحيث لا نشك فيه انه جاء بالقران
وبمعجزات كثيرة فاذا هو صادق ونبدأ الان بالكلام على القران وبعد الفراغ منه
نشرع في الكلام على غيره من المعجزات ان شاء الله تعالى فان انكر منكر ان يكون جاء
بالقران فقد تبين عناده وسقط استرشاده ويقال له قد حصل العلم بذلك لكل
الامم واستوى في ذلك العرب والعجم وسبيلك ان كنت منصفا ان تعاشر الثقة عين
وتسالهم عن اخبار الماضين حتى يحصل لك العلم اليقين ولن ينازع في ذلك عاقل
منصف بل اما معتوه او متعسف فان قيل سلمنا انه جاء بالقران فلم قلتم انه معجزة
قلنا لانه قد به كافة الفصحاء البلغاء متقاصدين فلم يقدروا على معارضة
شيء منه فاذا هو معجزة بيان ذلك انه صلى الله عليه وسلم بعثه الله الى قوم كان
معظم علمهم الكلام الفصيح البليغ المليح فلقد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم
من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤته انسان ومن فصل الخطاب ما يتعجب منه اولو
الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقه فيهم غريزة ووضعا فياتون منه على البديهة
بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب
ويرتجزون به بين الطعن والضرب فربما مدحوا شيئا وضيعا فرفع وربما ذموا شريفا
فوضع فيصيرون بمدحهم الناقص كاملا والنبيه خاملا وذلك لفصاحتهم الرائقة وبلاغتهم
الفائقة فكانوا ياتون من ذلك بالسحر الحلال ويوردونه اعذب من الماء الزلال
فيخدعون بذلك الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون
الفتن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان فهم يعرفون اصناف الكلام
ما كان منهم نثرا وما كان ذا انتظام قد عمروا بذلك ازمانهم وجعلوا ذلك ميدانهم وشانهم
حتى بلغوا منه اعلى الرتب واطلعوا منه على غاية وسبب لا ينازعهم في ذلك منازع
ولا يدافعهم في ذلك مدافع فبينما هم كذلك اذ جاءهم رسول كريم بقران حكيم
فعرضه عليهم واسمعهم اياه واستدل على صدقه بذلك وقال لهم ان كنتم في شك من
صدقي فاتوا بقران مثله وعند سماعهم له واعجبهم ما سمعوا وعلموا انهم دون معارضته

قد انقطعوا، فلم يقدروا على ذلك ثم انهم طلب منهم ان ياتوا بعشر سور من مثله
فعجزوا ولم يقدروا ثم طلب منهم ان ياتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا وعند
ذلك اخبرهم وقال لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا يعني عونا فعند ذلك ظهر عجزهم
وتبلدهم وان كانوا اهم الالسن الفصحا البلغا وعند ظهور عجزهم ثبتت
حجته ووضحت محجته وهكذا حال غير واحد من الرسل الا ترى ان الله ارسل موسى
ابن عمران الى قوم كان معظم علمهم وعلم السحر فاتى بقلب العصي حية تسعى
فرام السحرة معارضته ومقاومته فلم يقدروا من ذلك على شي وعند عجزهم
تبين صدقه وانه رسول الله وكذلك عيسى عليه السلام بعثه الله في زمن كان معظم
علم اهله الطب فاتى باحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وعند عجزهم عن
الاتيان بشي من ذلك تبين صدقه وانه رسول من عند الله فعلم بالبرهان الذي
لا يتطرق اليه خلل ان محمدا رسول قد خلت من قبله الرسل فان قيل انه لا نسلم
انه لم يعارض بل لعله عورض ولم ينقل او نقل فاخفي والجواب من وجهين احدها
انا نقول لليهود والنصارى هذا السوال ينقلب عليكم في معجزات موسى وعيسى اذ
يمكن ان يقال ان سحرا من السحرة عارض موسى وانه اتى بعصي فقلبها ثعبانا
اعظم من ثعبان موسى والتقم ثعبان موسى ويمكن ان يقال للنصارى ان عيسى
عورض في احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص ولم ينقل الينا او نقل فاخفي وكذلك
نقول لغير اليهود والنصارى من الامم في معجزات انبيائهم فالذي يقولون
عن معجزات انبيائهم به بعينه نقول عن معجزة نبينا عليه السلام وجملة ما قيل
في جواب هذا او عورض ينقل والعادات تقتضي ذلك فان هذا الامر مهم عظيم
يكثر للعامة فيكثر نقله لا سيما في شريعتنا فانهم قيل لهم ان لم تصدقوا ولم تعارضوا
فاذنوا بحرب فلم يومنوا ولم يعارضوا اقاتلهم فقتلهم وسبي ذراريهم
وانتقم منهم غاية الانتقام ولو قدروا على المعارضة لعارضوا ولو عارضوا النقل
نقلا متواترا فان هذا الامر من اهم المهمات عند العقلا هو
الوجه الثاني من الجواب وهو الانفصال الحق والكلام الصدق ان يقول من
وقف

وقف على القران وسمعه وفهم معانيه وكان عارفا باصناف كلامهم علم عجز
الخلايق عن الاتيان بمثله ضرورة كما نعلم عجز الاطبا عن احيا الموتى وابرا
الاكمه والابرص بنفس العلم بهذه الامور والوقوف عليها وكذلك من شاهد
قلب العصي ثعبانا مبينا تلقف ما جاوا به من السحر والتخيلات حصل له
العلم القطعي فان قلب العصا ثعبانا تعجز عنه الخلايق اجمعون اذ ذلك
خارج عن مقدورهم فان مثل احيا الموتى وقلب العصي وما يترك لها جلي
لا يشك فيه من شاهده عام بالاضافة الى كل العقلا لا يبقى معه ريب لاحدهم
بل يحصل لهم العلم القطعي بذلك وليس كذلك عماد جاه نبيكم من اعجاز
القران اذ لا يحصل العلم باعجازه لكل احد بل انما يحصل العلم بذلك عندكم
وعلى زعمكم للفصحا من العرب واما من ليس فصيحا لو كلف ان يتكلم بكلمة واحدة
من لسان العرب لم يقدر على ذلك فعدم قدرته على ذلك لا يدل على صدق
المتحدي به ولذلك من ليس فصيحا من العرب لو كلف ان ياتي بكلام فصيح لم
يقدر عليه فلا يكون ذلك معجزا في حقه الجواب ان نقول سنبين ان شا الله
وجوه اعجازه وانها متعددة وان منها ما يدركه الحكما ويشترك في معرفة
اعجازه اهل الحصافة والعقلا فيكون هذا النوع كقلب العصي واحيا الموتى ولو سلمنا جدلا
انه معجز من حيث بلاغته واسلوبه المخالف لاساليب كلامهم لقلنا ان العلم
باعجازه واحيا الموتى وقلب العصي لا يحصل لكل العقلا على حد سوى ولا في زمن
واحد بل يحصل ذلك لمن علم وجه اعجاز ذلك الشي المعجز حين يعرف انه ليس
مما يدرك تحصيله بشر به ولا يتوصل الى ذلك بالاطلاع على خاصية وقد لا يبعد ان
يقوم شبهة عند جاهل بصناعة الطب والسحر تمنعه من تحصيل العلم بالاعجاز
فيقول لعل موسى اطلع من السحر على شي لم يعلمه السحرة ولا اطلعوا عليه وكذلك
عيسى لعله وقع على خاصية لبعض الاحجار وبعض الاشجار الموجود فكان يفعل
بها ما ظهر على يديه وهذه الشبهة انما يمكن ان يظهر للجاهل بالطب والسحر واما العالم
بالطب والسحر فلا يكون هذه شبهة في حقه لعلمه فان الذي جا به ليس مما يدرك
بحيلة صناعية ولا بالوقوف على خاصية بل هو صنع خالق البرية وانه اراد به التصديق

لهذا المدعي والصنعة فيحصل من هذا ان العلم باعجاز احيا الموتى وقلب العصي
انما يحصل اولا للسحرة والاطبا ولا يحصل لكثير من الجهال بالطب والسحر الا عنا
فلذلك باعجاز القران ولا فرق يحصل العلم به لمن يعلم لسان العرب بالذوق ضرورة
الفرق الذي بينه وبين لسان العرب فيعلم انه ليس داخلا تحت مقدور العرب
واذا عجز عنه العرب الفصحا البلغا فغيرهم اعجز كما انا نقول اذا عجز الاطبا
عن احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص فغير الاطبا اولى واذا عجز السحرة عن قلب
العصي ثعبانا فغير السحرة اعجز واعجز ومن قال انما يعجز عنه العرب لا العجم معارض
بان يقال لهم انما يعجز عن احيا الموتى الاطبا لا غيرهم وانما يعجز عن قلب
العصي السحرة لا غيرهم فبالذي يفصلون به نفصل بل نرد عليهم في الانفصال
بوجوه رفع الاشكال فانا سنبدي وجوها في اعجاز القران ندركها على ان
عجميا كان او عربيا مجوسيا كان او كتابيا وسنبينها ان شا الله تعالى اثر هذا
فقد حصل من هذا الكلام كله العلم بان محمدا صلى الله عليه وسلم جا بالقران
وتحدى به وهو معجزة وكل من جا بالمعجزة وتحدى بها فهو صادق فالنتيجة
معلومة وهي ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق فان قيل فبينوا لنا
وجوه اعجاز القران وهل هو من جنس ما يقدر عليه البشر وصرفوا عنه او ليس
من جنس ما يقدرون عليه فالجواب ان نقول ذهب بعض علمائنا الى ان
وجه اعجازه انما هو من جهة ان صرفوا عن الاتيان بمثله وانه من جنس مقدور البشر
لكن لم يقدروا عليه وهذا ان كان فهو بليغ في الاعجاز وذلك ان المعجزات ضربان
ضرب خارج عن مقدور البشر كانفلاق البحر وانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع
وضرب يكون من جنس مقدور البشر الا انهم يمنعون من فعله ولا يقدرون
عليه فلو ان نبيا ادعى انه رسول الله واستدل على صدقه بان قال لقومه
انكم لا تقدرون اليوم على القيام فكان كذلك فهذا دليل على صدقه وهو معجزة جليلة
ابلغ في الاعجاز من الاتيان بما ليس بمقدورهم ولا يبعد ان يكون اعجاز القران
من هذا القبيل فان البشر قد صرفوا عن الاتيان بمثله او عن الاتيان بآية طويلة
من اياته ومن نازع في ذلك فعليه ان ياتي بقران مثله او بسورة من مثله
وهذا

وهذا من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وذلك ان معجزته موجودة بعده
وحاضرة ومشاهدة في كل وقت لم تنقطع بانقطاع وجوده ولا ماتت بموته
بل هي موجودة مستمرة الى قيام الساعة فكل من ابدى نكيرا في نبوته او قدحا
في رسالته قيل له ان كنت صادقا في تكذيبك له فعارض قرانه ومثله فان لم تفعل
تبين للعقلاء انه متواقح مبطل ثم نقول والذي ذهب اليه اكثر علمائنا ان القران
خارج عن مقدور البشر وليس من جنس مقدورهم وان القران وان كان كلاما
فليس بينه وبين كلام العرب من المناسبة والالتقا الا كما بين الحية التي
انقلبت عصى موسى عنها وبين حيات السحرة التي كانت تخيل للناظر اليها انها
حيات تسعى ووجوه اعجازه كثيرة لكنا نبدي منها اربعة ونقتصر عليها لبيانها وظهورها
الوجه الاول فنقول ان لسان العرب مباين للسان غيرهم ومتميز عنه بامور
يعلمها العارفون بالالسنة واللغات لا يشكون فيها ومن غالط في ذلك وانكره
فعليه ان يعلم لسان العرب والسنة غيرهم حتى يحصل الفرق بينه وبينها ذوقا
ومشاهدة ضرورية وتلك الامور التي باين بها غيره من الالسنة خفة اللفظ على
اللسان وعذوبته وسهولة المخارج والتعبير عن المعنى الثقيل الدائر في الضمير بابلغ
عبارة واوضح تعبير وكما تميز لسان العرب عن لسان غيرهم فكذلك تميز لسان محمد
صلى الله عليه وسلم باساليب اخر ومناهج لم تكن العرب قبله تستعملها على نحو
ما استعملها هو حتى ان من لم يعرف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سمعه
وكان عربيا الفرق بينه وبين كلام غيره من الفصحا فانه يدل على بلاغة البلغا
وسنف في حكمته على جميع الحكما ولذلك كانت العرب تقول له ما راينا بالذي هو
افصح منك وهذه المناهج المعروفة في كلامه انما يعرفها على التحقيق من باشر كلامه
وتتبعه وتفهمه وكان عارفا بلسان العرب وكما تميز كلامه عن كلام العرب وزاد
عليهم فكذلك تميز كلام الله عن كلامه باساليب اخر حتى انه كان اذا تكلم بكلامه ادرك
الفرق بينه وبين كلام الله حين تلاوته وتكلم به حتى كان العاقل الفصيح
اذا سمعه قال ليس هذا من كلام البشر ولا مما يقدرون عليه وسنذكر ما نقل الينا
عن فصحائهم لما سمعوا القران فمن الوجوه الذي به ماز القران كلام النبي وكلام العرب

فصاحته الرايقة وبلاغته المونقة وجزالته الفايقة حتى يسمع الكلمة الواحدة
منه تجمع معاني كثيرة مع عذوبة ايرادها وجزالة مساقها وصحة معانيها
مثل قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولما نزلت هذه الاية
قال ابو جهل وكان من اشد الاعدا على محمد خير الانبيا ان رب محمد لفصيح
وهذه الاية بما تضمنت من الاحكام وتغيير الحلال والحرام والاعراض عن اهل
الجهل والاجرام والامر بالبر واخلاق الكرام تدل دلالة قاطعة على انها كلام العزيز
العلام مع ما هي عليه من اللفظ الجزل الذي يروع قلوب العارفين ويثلج قلوب
القارئين والسامعين وكذلك قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ولما سمع
المغيرة هذه الاية وكان من اعداية الذين يريدون اطفا نوره واذهاب بهاية
قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
مورق وما يقول هذا بشر وهذه الاية قد تضمنت بحكم عمومها وصحة مفهومها
معاني كتب المتقدمين وشرايع الماضين وتذكرة الحاضرين وتخويف
المفسدين وترغيب المجتهدين مع ما هي عليه من حلية الكلام ومع عذوبة المساق
والجزالات وكذلك قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفايزون حكي ان امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينا هو يوما
قايم في المسجد اذ وقف على راسه رجل يتشهد بشهادة الحق فاستخبره
فقال اني كنت من بطارقة الروم وكنت ممن يحسن كلام العرب وغيرهم فسمعت
اسيرا من المسلمين يقرا اية من القران فتاملتها فاذا هي قد جمع فيها ما انزل
الله على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا والاخرة ثم قرا عليه ومن يطع الله ورسوله
الاية المتقدمة وكذلك قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا
خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين حكي ان الاصمعي سمع كلام جارية من العرب فتعجب
من فصاحتها فقالت وهل بعد قول الله تعالى فصاحة حيث قال واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني

انا

انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فانه جمع بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين وكذلك قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن الجاهلين حكي
ان اعرابيا لما سمعها سجد فقيل له لم سجدت فقال سجدت لفصاحته
ولا يظن الجاهل انا نستدل على فصاحته بكلام هولا الاعراب كلا لو كان ذلك
لكانت الحجة اضعف من السراب بل نعلم انه معجز بفصاحته علم ضرورة يحصل
لمن عنده سماعه وقراته والبلغا اذا وقفوا عليه وسمعوه لذلك العلم مضطرون
بحيث لا يرتابون ولا يشكون كيف لا والعربي الفصيح [illegible] ثم يجد ذلك
اخذا في اسلوب يخالف هذا فتامل ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون
ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله
ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم هكذا الى ان فرغ من هذا النمط ثم شرع
في نمط اخر على ما يعرفه من وقف عليه وتدبره وتامل في هذه الايات على الخصوص
في هذا المقام لما تضمنته من الاخبار عن عيسى ومريم عليهما السلام حتى تعلم النصارى
بطلان ما يقولونه عليهما من الكذب والاوهام فانظر ان كنت عاقلا منصفا
كيفية هذا النظم الشريف البديع المنيف كيف عادل بين رؤوس الاي
بحروف تشبه القوافي وليس بها والتزمها ثم عدل عنها الى غيرها مع ان السورة
واحدة بخلاف ما يفعل الشاعر فانه اذا خرج الى قافية اخرى يبطل شعره وخرج
الى شعر اخر وبخلاف ما يفعل الناثر فانه لا يلتزم قوافي ولا فواصل والقران
العزيز روايات لها فواصل ومقاطع ورؤس تشبه القوافي فقد عرفت
انه خلاف نظم كلام العرب ونثرها فهو منهاج اخر واسلوب لم تكن العرب
تعرفه ولا سمعته العرب ووعتهم يتحدث كل واحد منهم بانه يقدر على معارضته
انه منه بل حارت فيه عقولهم وذهلت دونه احلامهم ولذلك قال الوليد بن المغيرة
لملا قريش يا معشر قريش انه قد حضر موسم الحج وان وفود العرب ستقدم
عليكم وقد سمعوا امر صاحبكم ولا بد ان يسالوكم عنه فماذا تقولون لهم فاجمعوا
فيه رايا واحدا لئلا يكذبكم العرب اذا اختلفتم فيه فقالوا نقول انه كاهن
فقال لهم والله ما هو بكاهن ولقد راينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه

قالوا فنقول انه مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد راينا الجنون وعرفناه والله ما هو
بمجنون لقد راينا الجنون بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول انه شاعر
قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه ومقبوضه ومبسوطه فما هو
بالشعر قالوا فنقول انه ساحر قال ما هو بساحر لقد راينا السحرة وسحرهم فما هو
بنفثه ولا عقده وما انتم قائلون شيئا من هذا الا كذبتكم العرب وعرفت انه
باطل قالوا فما تقول انت قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله
لعذق وان فرعه لمثمر وان اقرب القول فيه ان تقولوا انه ساحر جاء بقول
هو سحر يفرق به بين المرء واخيه يعني ان هذا تقبله العرب فانها لا تعرف السحر
فعولوا على ان تقولوا انه سحر فتفرقوا وفي الوليد انزل الله تعالى ذرني
ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا
فانظر كيف عرفوا انه ليس من جنس كلامهم ولا من جنس كلام الكهنة والسحرة
ولم يمنعهم من الايمان به الا ما سبق لهم من الشقوة والعناد والحسد والجفوة وكذلك
قال لهم عتبة بن ربيعة لما سمع سورة حم تنزيل من الرحمن الرحيم قال والله ما سمعت
مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقد تقدم بكماله فليتطلع هناك
وكذلك قال انيس اخو ابي ذر الغفاري وكان شاعرا مفلقا ناقض الشعراء وعارضهم
فلما سمع القران قال لاخيه ابي ذر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد
وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد يعني انه شعر والله انه لصادق
وانهم لكاذبون والاخبار الصحيحة في هذا المعنى اكثر من ان يحيط بها هذا الكتاب
فقد اتضح من هذه الوجوه التي قبله ان القران العزيز معجز بمجموع فصاحته
ونظمه وقد تبين انهما وجهان متغايران ثم هل كل واحد من هذين الوجهين
معجز بانفراده او انما يكون معجزا باجتماعهما هذا فيه نظر ولعلنا ننبا فيه قولا ان ليس
هذا موضع استيفائها ولا حاجة في هذا الكتاب الى بيانها اذ قد عرف وتحقق
انه بفصاحته ونظمه معجز ومن يشكك في ذلك او يدا فيه او بعد الوقوف على القران فهو
منكر لما هو ضروري والذي يبطل عناده ويظهر حصيم جهله ان يقابل له اية بسورة
من مثله والله ولي التوفيق وهو ينور قلوب اوليائه بتحقيق **الوجه الثالث**

من وجوه الاعجاز القران ما تضمنه من الاخبار بالمغيبات قبل ان يعلمها احد من البشر
بعلمها وبوقوعها كما اخبر جمل وجوها وذلك مما لا يتوصل الى العلم به الا من جهة
الصادق فمن الذين يخبرون عن الله تعالى ونحن نذكر منها ما هو اوضح على شرط التقريب
والاختصار ونعني عن التطويل والاكثار فمن ذلك قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون وهذه الاية من اوضح معجزاته
صلى الله عليه وسلم وذلك ان الله وعد بان يدخلوا المسجد الحرام هو وقومه في حالة
امن وتفتح عليهم مكة على احسن حال فانهم كانوا ينتظرون ذلك حتى بلغ وقته وصدق
وعده فدخلوها كما وعدهم وفتحوها كما اخبرهم ومن ذلك قوله تعالى الم غلبت الروم
في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل
ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله
لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهذه من اعظم معجزاته
وذلك ان هذه الاية لما نزلت كانت فارس قد غلبت الروم وكان المسلمون يحبون ظهور
الروم على فارس لكون الروم اهل كتاب وكانت قريش تحب ظهور فارس على الروم
لانهم واياهم ليسوا اهل كتاب ولا ايمان فلما انزل الله هذه الاية خرج ابو بكر الصديق
رضي الله عنه يصيح في الناس في نواحي مكة بهذه الاية ويقراها على مشركي قريش
فقال ناس من قريش زعم صاحبكم ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين افلا نراهنك
على ذلك فقال بلى قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان
وقالوا لابي بكر كم تجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين فسم بيننا وبينك
وسطا ننتهي اليه فقال فسموا بينهم ست سنين قال فمضت الست سنين قبل ان
يظهروا فاخذ المشركون رهن ابي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس
فعاب المسلمون على ابي بكر تسمية ست سنين لان الله تعالى قال في بضع سنين قال واسلم
عند ذلك ناس كثير ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا وقد
فعل الله ذلك بهم وامته فملكهم الارض واستخلفهم فيها واذل لهم ملوكها تحت

سيف القهر بعد ان كانوا اهل عز وكبر واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم ومنحهم
رقابهم ووعد الله لا يخلف الله الميعاد ومن ذلك قوله تعالى هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يريدون ليطفئوا
نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فان قيل كيف يصح لكم قوله ليظهره
على الدين كله ومعلوم ان ملك النصارى لم ينقطع في حياته ولا بعد موته وهذا ملكهم قائم
لم يظهر دينكم على دينهم فلا معنى لقوله ليظهره على الدين كله الجواب ان الله
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة والى جميع اهل الملل عامة نصرانيهم
ويهوديهم وغير ذلك فبلغهم ما امره الله به فكلهم ناصبوه العداوة وابدوا له صفحة
الخلاف وهموا باخمال دعوته واطفاء كلمته وبذلوا في ذلك غاية جهدهم واستفرغوا
اقصى جهدهم فنصبوا الحرب وعزموا على حربه وقتله وسبه وسلبه فقال الله بلغ ما انزل
اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فاول
من حاربه كفار قريش فاظفره الله بهم واظهره عليهم ثم حاربته يهود فامكنه الله منهم وملكه
ارضهم واموالهم وديارهم فقتل وسبا واسر فعلا عليهم وظهر ثم حاربته النصارى في
غزاتهم بتبوك ودخل عليهم بلادهم وافتتح في طريقه حصونا لهم واخذهم واظهره الله
عليهم وضرب على كثير من ملوكهم الجزية ثم ان اصحابه بعده لم يزالوا على مثل
حاله يقتلون كل من كفر بالله ولا يخافون لومة لائم في الله فلقد صيروا ملوك الروم
وغيرهم اذلة اهل صغار وجزية وذلة ثم لم يزل دين الاسلام مع مرور الايام ينتشر
بكل مكان ويظهر وغيره من الاديان يقل ويصغر وحسبك شاهدا على ذلك
فتح هذه الجزيرة الاندلسية على يدي جماعة من العرب قليل عددهم وعددهم كسير وبهم
وعدوهم على اعداد من النصارى لا تحصى وجنود لا تستقصى ولكن صدق الله وعده
وانجز له وعده وهزم الاحزاب وحده فامكنهم الله منكم واظهرهم عليكم باجدادكم عنوة هم
بين اسير وقتيل وتحت صغار الجزية ذليل وهذا اصدق شاهد على ظهور دين الاسلام
على دينكم وجميع الاديان فلقد غلبتم على بيت حجكم ومسجد قرابينكم البيت المعظم والمسجد المكرم
بيت المقدس حيث اراد الله ان يطهره من ارجاسكم وينزهه عن جهالاتكم وخباثتكم
فافتتحه المسلمون واظهر دين الله على الدين كله ولو كره الكافرون ومن ذلك

قوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فقوله في الافاق يريد
بذلك فتح الامصار وقوله في انفسهم يعني به فتح مكة وقوله سنريهم يرجع الى
كفار قريش ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فرايت مشارقها
ومغاربها وان ملك امتي سيبلغ ما زوي لي منها ومعنى زوي جمع ومن ذلك
قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر يريد بذلك والله اعلم جمع كفار قريش
وكذلك فعل بهم وذلك انهم خرجوا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير موطن فهزمهم الله
وولوا الادبار وكانت عاقبتهم الخسار والبوار ولذلك قال في ايات اخر قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد وفي اية اخرى لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فهذه الاية اقتضت بشارتين
احدهما انهم لن يصلوا الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بضرر الا من السب
والثانية انهم يغلبون ويولون الادبار وكذلك كان على نحو ما انزله في الغزوات والسرايا
والايات في القران بهذا النوع كثيرة ومن ذلك قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون يعني بالذكر القران العزيز اخبرنا الله تعالى في هذه الاية انه انزله
وانه تولى حفظه فهذا كتاب الله محفوظ بحفظه لا يقدر احد على تغيير كلمة واحدة من
لفظه على كثرة من سعى في تغييره واطفاء نوره لاسيما القرامطة فانهم كانوا قد جمعوا
كيدهم واستنفدوا في تغييره وتحريفه جهدهم ولم يزل ذلك دابهم ودأب
غيرهم من اعداء الدين وعتاة الملحدين ويابى الله الا ان يعلي كلمته ويطهر
شريعته وقد قدمنا اسباب حفظ القران فلا معنى لاعادتها مع الاختصار
ومن ذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر
وكان هؤلاء المستهزئون نفرا من الكفار معروفين باعيانهم واسمائهم ينفرون الناس
عنه ويؤذونه ويهزءون به فانزل الله على نبيه هذه الاية يبشره باهلاكهم وهم احيا
فكان سبب اهلاكهم من اعجب ايات النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه كان منهم
الاسود بن عبد المطلب رمى في وجه النبي صلى الله عليه وسلم بورقة خضراء فعمي
ومنهم الاسود بن عبد يغوث اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم الى بطنه فاستسقى
بطنه فمات حبا ومنهم الوليد بن المغيرة اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى

اثر جرح كان باسفل كعبه كان اصابه قبل ذلك بيسير من خدش سهم وكان
قد برا فتجدد حتى قتله الله به ومنهم العاصي بن وايل اشار النبي صلى الله عليه وسلم
الى اخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطايف فرماه حماره على الارض فدخلت
في اخمص رجله شوكة فقتلته ومنهم الحرث بن الطلالة اشار النبي صلى الله عليه
وسلم الى راسه فاستحال دمه قيحا فقتله فانظر بعقلك هذه الامور العجيبة
وهذه الاحوال الغريبة التي لا تمحى بالافكار وتحار فيها اولوا الابصار بل تشهد
عندها العقول ان المقصود بها تصديق الرسول فوالله لو لم تكن له من
المعجزات الا هذه الاية لكان فيها اعظم كفاية ولحصل من تصديقه على
ابعد غاية وفي كتاب الله من هذا القبيل ما تحتاج استقصاوه الى تكثير وتطويل
وحسبك ما تضمنه من كشف اسرار المنافقين وفضيحة اليهود الضالين
فلقد تقضي الناظر فيها من تلك العجب العجاب وتحقق انه من عند الله من
غير شك ولا ارتياب **الوجه الرابع** من وجوه اعجاز القران ما تضمنه
من الاخبار عن الامم السالفة والقرون الماضية والشرايع الداثرة والقصص
الغابرة التي لا يعلم منها بعضها الا الاحاد من علماء ذلك الشان الذين
قد انقضت اعمارهم في تعلم تلك العلوم ازمان فيورده النبي صلى الله عليه وسلم
في القران على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وتصديق
قصته مع العلم بان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينل ذلك بتعليم ولا
الكتب ذلك بواسطة معلم ولا حكيم بل حصل له ذلك باعلام العزيز العليم
والا فهو امي لا يقرا ولا يكتب ولا يسحب ولا يحسب ومع ذلك فقد جعلت له
علوم الاولين والاخرين وصار كتابه وكلامه منبع علوم العالمين فلقد كان اهل
الكتاب يجتمعون اليه ويلحون بالاسولة عليه فينزل عليه باجوبتهم القران فما انكر
شيا من ذلك منهم انسان بل يعترف بذلك ولا ينكر شيا مما يسمع هناك
هذا مع شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وهو مع ذلك يحتج عليهم بما في كتبهم
ويقرعهم بما انطوت عليه مصاحفهم ويبين لهم كثيرا مما كانوا يخفون من شرايع
كتبهم ووصايا رسلهم وهم مع ذلك يرومون تعنيته ويقصدون باسولتهم

تبكيته

تبكيته مثل سوالهم عن الروح وعن ذي القرنين وعن اصحاب الكهف وعن عيسى
ابن مريم وعن حكم الرجم وعن ما حرم اسراييل على نفسه وعما حرم عليهم من الانعام
وعن طيبات احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وغير ذلك من امورهم التي نزل في
القران جوابا عنها فلم ينكروا شيا منها حين ذكرها لهم على وجهها ونحن نذكر
بعض ذلك على ما يقتضيه الاختصار ونقتصر على ما صح من الاثار وساقه الجمع
الكثير من رواة الاخبار فمن ذلك ما استفاض ذكره واشتهر نقله ان قريشا
لما اهمهم شان رسول الله صلى الله عليه وسلم واكربهم امره بعثوا النضر بن الحرث
وكان من شياطين قريش وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود بالمدينة يسالانهم
عن امره فجاءا المدينة من مكة وقالا لاحبار يهود انا جيناكم نسالكم عن شان هذا الرجل
فانكم اهل الكتب وعندكم من العلم ما ليس عندنا ووصفا لهم خبره واخبرا ببعض
قوله فقالت لهما احبار يهود سلوه عن ثلاثة نامركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي
مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا في
الدهر الاول ما كان امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل
طواف في الارض وقد بلغ مشارق الارض ومغاربها وما كان نبوه وسلوه عن
الروح ما هو فان اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي وان لم يفعل فهو متقول فاقبل
النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فاعلماهم بما قالت لهم احبار يهود فجاؤا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عما اخبرتهم احبار يهود فانزل الله على
نبيه صلى الله عليه وسلم سورة اصحاب الكهف واخبره فيها بقصتهم واختلاف
الناس في عددهم ومدة لبثهم في كهفهم حتى اتى على اخر قصتهم واخبرهم
ايضا عن قصة ذي القرنين الى اخرها وعن قصة الخضر مع موسى وكيف
سال موسى السبيل الى لقايه وذكر فيها جوابهم عن الروح وذلك كله مع اللفظ الموجز
الفصيح والكلام الجزل الصحيح الذي لا يمله سامع ولا يطمع في معارضته
طامع ومن ذلك قصة اهل نجران وكانوا نصارى سالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن عيسى عليه السلام فانزل الله تعالى في القران ذلك نتلوه عليك من الايات
والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون

ومن ذلك ان نفرا من احبار اليهود جاوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
اخبرنا عن اربع نسالك عنهن فان فعلت اتبعناك وصدقناك وامنا بك
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن اخبرتكم
لتصدقنني قالوا نعم قال فسلوا عما بدا لكم قالوا اخبرنا كيف يشبه الولد امه وانما النطفة
من الرجل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله وبايامه عند بني اسرائيل
هل تعلمون نطفة الرجل بيضا غليظة ونطفة المراة صفرا رقيقة فايتهما علت
كان لها الشبه قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن نومك كيف هو قال انشدكم بالله وبايامه
عند بني اسرائيل هل تعلمون ان نوم الذي تزعمون اني لست به تنام عينه وقلبه
يقظان فقالوا اللهم نعم قال فكذلك نومي تنام عيني وقلبي يقظان
قالوا فاخبرنا عما حرم اسرائيل على نفسه قال انشدكم بالله وبايامه عند بني اسرائيل
هل تعلمون انه كان احب الطعام والشراب اليه البان الابل وانه اشتكى
شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه احب الطعام والشراب اليه شكرا لله
فحرم على نفسه لحوم الابل والبانها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن الروح قال انشدكم
بالله وبايامه عند بني اسرائيل هل تعلمونه جبريل وهو الذي ياتيني قالوا
اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك انما ياتي بالشدة وسفك الدما ولولا ذلك
لاتبعناك فانزل الله على نبيه قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله
مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ومن ذلك ان يهوديين
بالمدينة زنيا فامرت احبار يهود بهما وطيف بهما فمروا بهما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهما ما هذا تجدون في كتابكم قالوا نعم وقال فاتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاوا بالتوراة فتلوها فاذا فيها اية الرجم
فوضع الذي كان يقروها يده عليها وقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله
ابن سلام ارفع يدك فرفعها فاذا باية الرجم فاعترفوا بذلك فامر بهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرجما ثم قال لليهود ما حملكم على هذا فقالوا كنا اذا زنا الشريف منا
لم نقم عليه الحد واذا زنا الضعيف اقمنا عليه الحد فعظم علينا هذا فراينا ان نجتمع
على حد يشمل الضعيف والشريف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله

الذي

الذي جعلني اول من احيا امر الله تعطلته بالمعاصي فانزل الله عز وجل ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون الايات وفي هذا
المعنى او ما قاربه نزلت قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب والاخبار في هذا كثيرة ليس هذا موضع استيفائها
وفيما ذكرناه كفاية لمن كان ذا عقل ودراية وهذان وجهان لا يتصور ان ينكر عاقل
انهما غير داخلين تحت مقدور البشر بل هما خارقان للعادة افترى تحدي محمد صلى الله
عليه وسلم وعجز الخلائق عن معارضتها فهو نبي صادق فيما اخبر به عن الله مصدق
من جهة الله وما اخبر به عن الله ان الله بعثه الى الناس كافة يهودهم ونصرانيهم
ومجوسيهم فهو رسول الله اليهم والى كافة الناس عامة ومن كذبه فقد استحق
العذاب الابدي والعقاب السرمدي افمن حقت عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من
في النار ولا يظن الظان ان اعجاز القران انما هو من هذه الوجوه الاربعة فقط
بل وجوه اعجازه اكثر من ان يحصيها عد او يحيط بها حد ولو شينا لذكرنا منها
وجوها كثيرة لكن شرط الاختصار منع من الاكثار ومن لم ينفعه الكلام المفيد
القليل فهو معرض كسل عن الكثير وعلى الجملة فانا نقول لمن كذب محمدا
صلى الله عليه وسلم او شك في رسالته ما قال الله في كتابه محتجا على من اصر
على تكذيبه وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين

النوع الرابع الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بجملة من الايات الخارقة للعادات

نذكر ان شا الله تعالى في هذا الباب جملة كثيرة من اياته الواضحة وبراهينه
المصدقة الراجحة فنقول وبالله التوفيق ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
اوتي من المعجزات وجمع له من الايات ما لم يجمع لاحد من الانبيا قبله ولم يعط
احد مثله فكان لذلك اوضحهم دلالة واعمهم رسالة ولذلك لم يعط الله نبيا
من الانبيا معجزة الا اعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مثلها او اوضح منها

او ما يقاربها وسترى ذلك عيانا ان شاء الله تعالى ولو كان منهجنا نذكر ما نقل الينا
من اياته وواضح معجزاته طال الكتاب وفي القليل الواضح كفاية لذوي الالباب
فلنقتصر من ذلك على ما نقله علما الامصار والعدول من نقلة الاخبار
ما صح نقله واشتهر ذكره وحمله ونحن نذكر ذلك في فصول

الفصل الاول في انشقاق القمر اية له صلى الله عليه وسلم

فنقول نقل خلفنا عن سلفنا النقل الذي لا نشك فيه ان كفار قريش
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية وهو بمنى فاراهم انشقاق القمر
فصار فرقتين حتى راوا جبل حرا بينهما وقال ابن مسعود صار فرقتين فرقة
فوق الجبل وفرقة تحته فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهدوا فامن وصدق
من اراد الله نجاته وقال كفار قريش هذا سحر مستمر فقال ابو جهل هذا سحر
فابعثوا الى اهل الافاق حتى ينظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم راوه
منشقا فانزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اقتربت الساعة
وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل
امر مستقر وهذا الحديث قد نقله الجم الغفير والعدد الكثير منهم من الصحابة عبد الله
ابن مسعود وانس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم وغيرهم
وقد نقل الينا في القران نقلا متواترا محصلا للعلم بخبر عن ذلك المعنى من
الانشقاق كما تلوناه انفا فصحت الاية وعلت المعجزة والحمد لله فان قال قائل
جاهل او معاند او معاند مجادل كيف يصح هذا ولو كان هذا لم يخف على اهل
الارض اذ هو شي ظاهر لجميعهم ولو ظهر لهم لنقل عنهم ولكان مشهودا منقولا
على التواتر **فالجواب** ان نقول هذا الاستبعاد الوهمي يندفع بايسر امر
وذلك ان هذه الاية كانت آية ليلية والناس على عاداتهم المستمرة الغالب عليهم
النوم ومن كان منتبها كان منهم من قد انصرف عن ذلك ببعض اشغالهم وكان
منهم ايضا من راه على ما حكينا عن اهل افاق مكة وايضا فلعله انما كان ذلك
في اول طلوع القمر ولا شك ان الناس تختلف رؤيتهم للقمر وغيره من الكواكب
بحسب اختلاف ارتفاع البلاد والاقاليم وانخفاضها فليس كل من في معمور الارض
يراه

يراه في وقت واحد بل يختلف ذلك في حقهم فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على
آخرين وقد يطلع على قوم على حالة لا يشاهده الاخرون وقد يحول بين قوم وبينه
سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض ويكون في بعضها
جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المشتغلون بعلم ذلك ولا يحس
بها غيرهم لاسيما وهذه اية كانت بالليل والعادة من الناس ما تقدم من الهدو والسكون
وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف شيا من ايات السما الا من رصده
واهل ولكثير ما يحدث العامة بعجايب يشاهدونها من انوار وشهب ونجوم طوالع
عظام تظهر في احيان في السما ولا علم عند احد غيرهم منها وانشقاق القمر
من هذا القبيل ولم يكن دايما وانما كان سرا في زمن قريب ثم لا يبعد ان يكون الله
تعالى صرف الناس في تلك الساعة عن النظر اليه لتختص هذه الاية بمن هو اهل
لها ومن جاوزها من اهل افاقها فيكون صرف الناس عن ذلك من قبيل خوارق
العادات وذلك اوضح في المعجزات فقد صح ما رمناه وانتضى ما الزمناه والحمد لله
وعند الوقوف على هذه المعجزة الظاهرة والاية الباهرة يعلم انها اعظم
من انشقاق البحر الذي خص الله به موسى وان كان عظيما اذ انشقاق البحر لم يكن
قطعا في معظم البحر من احدى صفتيه الى الاخرى وانما كان قطع طرف
من بحر القلزم الى مغار سور والقمر انقسم فلقتين وصار شطرين

الفصل الثاني في حبس الشمس اية له صلى الله عليه وسلم

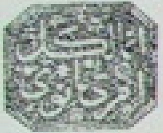
روي ايضا واهل العدالة منا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه
في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فلما ارتفع الوحي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعلي اصليت العصر قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قال الراوي
فرايتها غربت ثم وقفت على الجبال والارض وذلك بالصهبا من خيبر ذكر هذا
الحديث الطحاوي من طريقين قال عياض وهذان الطريقان ثابتان ورواتهما
ثقات حكاه السكري من هذا القبيل ما ذكره يونس بن بكير في زيادة المغازي
روايته عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه

بالوقت والعلامة التي راى في العير الذي راى مرة فقالوا له متى تجي فقال
لهم يوم الاربعا فلما كان يوم الاربعا الموعود به اشرف قريش ينظرون وقد ولى
النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فزيد له في النهار ساعة
وحبست عليه الشمس وهذه الآية اعظم من آية يوشع بن نون فانكم تقولون ان
يوشع استوقف الشمس فوقفت وفي بعض كتبكم انما استوقف ضياها ونبينا
عليه الصلاة والسلام استرجعها فرجعت واستزاد ساعة في النهار فزيدت ذلك
تقدير العزيز العليم فان اعترض معترض على معجزة نبينا بهذه بشي فان كان
كما عارضناه بمعجزة يوشع فالذي يفصل عن معجزة يوشع بمثله يفصل
عما اعترض به وان كان طبيعيا غير متشرع انتقل الكلام معه الى مواضع اخر ليس هذا موضع ذكرها

الفصل الثالث نبع الماء وتكثيره معجزة له صلى الله عليه وسلم

هذا الباب نوعان نوع نبع له الماء من اصابعه ونوع اخر نبع له الماء من غير اصابعه
فلنبدا بالاول فنقول روى الجم الغفير والعدد الكثير ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج في بعض اسفاره وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مع احد منكم ماء فاتي بماء في اناء فوضع يده في
ذلك الاناء وسمى الله قالت الصحابة فراينا الماء يخرج من بين اصابعه فتوضا
الناس حتى توضؤا كلهم قيل لانس كم تراهم قال نحوا من سبعين وقد اتفق
له مثل هذا مرة اخرى وكانوا نحوا من ثمانين وكذلك عطش الناس يوم
الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل
الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله
عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وكانوا
وكانوا خمس عشرة مائة قالوا ولو كنا مائة الف لكفانا فهذه ثلاثة مواطن وقد روي
عنه نحو هذا من طرق كثيرة لا يتطرق اليها الكذب ولم يردها احد من اهل العقل
والادب لكونها وقعت في جموع كثيرة وتناقلها جماعات عدول يتدينون بتحريم
الكذب ويرونه اقبح شيمة واشنع خلة بل يبادرون الى ذم الكاذب
واظهار فضيحته ولا يقرون شيا من الكذب بحال عند معرفته فهذا هو النوع الاول

واما



واما النوع الثاني فهو ما تواردت به الروايات عن الائمة الاثبات من ذلك
ما اتفق له في غزوة تبوك وذلك انهم وردوا عينا بتبوك وهي تبض بشي من ماء
مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع منه شي قليل ثم غسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير
فاستقى الناس بها حديث معاذ وقال ابن اسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس
الصواعق ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك يا معاذ ان طالت بك
حياة ان ترى ما ههنا قد ملي جنانا وكذلك صنع ذلك الموضع جنانا بعده صلى الله
عليه وسلم وهذا من باب الاخبار عن الغيب ومن ذلك ما اتفق له بالحديبية
ايضا وذلك انهم اتوا الحديبية وهم اربعة عشرة مائة وبيرها لا يروي خمسين شاة
قال البرا وسلمة بن الاكوع فنزحناها فلم نترك فيها شيا فقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على بيرها فمضمض ودعا بسهام من كنانته فوضعه في البير فجاشت العين
بماء كثير فارووا انفسهم وركابهم وهم الف واربعمائة ومن ذلك ما روى قتادة
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس شكوا اليه العطش في بعض
اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في حضنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب
الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم وكانوا اثنين وسبعين رجلا ومن ذلك
الحديث المشهور عن عمران بن حصين وذلك انهم كانوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بعض اسفاره فاصابهم عطش شديد فوجه رجلين من اصحابه
واعلمهم انهم يجدون امراة بمكان كذا المكان معين عينه لهم معها بعير عليه مزادتان ماء
فوجداها بالموضع الذي عين لهم على الصفة التي ذكر لهم فجاءا بها الى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخذ من ماء المزادتين وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين
ثم فتحهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيا الا ملؤه قال عمران
ويخيل الي انها لم تزدد الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملا ثوبها ثم قال
لها اذهبي فانا ما نقصنا من مائك شيا ولكن الله سقانا ومن ذلك
حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعا فرفع يديه فلم

برجوعها حتى قال الى انا نسكب فملؤا ما معهم من آنية ولم يجاوز ذلك المطر العسكر
ومن ذلك حديث عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
فضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال له اشرب والحديث في هذا النوع كثير وفيما
وفيما ذكرناه كفاية واذا تامل العاقل المنصف هذا الباب علم ان نبينا صلى الله
عليه وسلم اوتي مثل معجزة موسى التي هي نبع الماء من الحجر كما ذكرنا في هذا النوع
الثاني وزاد عليه نبع الماء من بين اصابعه كما ذكرناه في النوع الاول فان انفجار الماء
من اللحم اعجب من انفجاره من الحجارة فان رام اليهودي او النصراني ان يشككا في شيء
من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم او الحادا او ادعى ان هذا من قبيل السحر
عارضناه بمثل مقالته في معجزة موسى فبالذي يفصل بعينه نفصل
بل نقول ان طرق المطرق الجاهل اشباه هذه الاوهام والسهل ان هذه المعجزات
فمعجزة موسى في انشقاق الحجر اسهل السهل يقول الجاهل على ما روت اليهود وذلك
انهم رووا ان الحجر الذي كان ينفجر منه الانهار انما كان حجرا واحدا يحمله موسى حيث
سار وهذا محل تهمة الجاهل واما العالم فلا يبالي بهذه الاوهام ولا يتطرق الى
العلم الفهم ومعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انما كان يقول ايتوني
بانا اي باكان وربما اي ما كان كما قدمنا ولسنا ننكر اعجاز ما اتى به موسى
بل نحن نقول واحق بموسى منكم واعرف بقدره ومحله عند ربه وانما هذا الم
على جهة الالزام حتى يذعنوا بصحة معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الرابع تكثير الطعام معجزة له صلى الله عليه وسلم

من ذلك ما تظاهرت به الروايات واشتهر عند اهل الديانات ونقله العدول الثقات
من حديث ابي طلحة ان النبي صلى الله عليه وسلم اطعم ثمانين او سبعين من اقراص
شعير جاء بها انس تحت ابطه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بها ففتت
وقال فيها ما شاء الله ان يقول وكذلك اطعم يوم الخندق الف رجل من صاع
من شعير وعناق قال جابر بن عبد الله فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا
وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

بصق

بصق في العجين والبرمة ودعا بالبركة وكذلك صنع ابو ايوب الانصاري
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه
وما خرج منهم احد حتى اسلم ثم قال ادع ستين فاكلوا حتى شبعوا ثم قال
ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم قال ابو ايوب فاكل من
طعامي مائة وثمانون رجلا وكذلك حديث سمرة بن جندب ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتي بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم
ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام
وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد
حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعين وفضل
في القصعتين وحملته على البعير ومن ذلك الخبر المشهور في غزاة تبوك وذلك
انهم اصابتهم مجاعة شديدة حتى هموا بنحر جمالهم فجمع النبي صلى الله عليه وسلم
ما بقي من ازواد القوم فكان الرجل يجيء بكف ذرة وبكف تمر وبسط نطعا حتى
اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا عليها صلى الله عليه وسلم بالبركة
ثم قال خذوا في اوعيتكم فاخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه فقال عند
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله
لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة ومن ذلك خبره في تزويج زينب
وذلك انه امر خادمه انسا ان يدعو له الناس فدعاهم فاجتمعوا حتى امتلا البيت
والحجرة وقدم اليهم تورا من حجارة فيه حيس اهدته له ام سليم فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل انسان مما يليه قال
فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ودخلت طائفة اخرى حتى اكلوا كلهم قال انس
لم ادع انسانا الا دعوته قال انس ثم قال لي ارفع التور فرفعته فما ادري
حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت ومثل هذا القول في قدح لبن اهدي له
ومن هذا حديث مزود ابي هريرة وذلك ان الناس اصابتهم مجاعة شديدة

في بعض اسفاره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة هل من شيء
قال فقلت نعم شيء من تمر قال فأتي به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا
بالبركة ثم قال ادع عشرة فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا ثم لم يزل كذلك حتى اطعم
الجيش كله وقال لي خذ ما جئت به فاخذت فاكلت منه الطعم حياته وحياة
ابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وقد قيل ان ذلك التمر انما كان بضع
عشرة تمرة والاخبار في هذا الباب كثيرة يطول الكتاب بنقلها على انه لا يجهل
شيء منها بل هي عندنا معروفة منقولة مشهورة موصوفة وهذا النوع من المعجزات
هو من قبيل ما نقلت النصارى عن المسيح في الانجيل وذلك انهم زعموا انه اطعم من
خمس خبز وحوتين خمسة الاف رجل سوى النساء وهذا ايضا من قبيل ما ثبت
ان موسى عليه السلام اطعم بني اسرائيل بالمفاوز المن والسلوى فان اعترضت
اليهود او النصارى هذا النوع من معجزات نبينا عليه السلام عارضناهم بذلك في
معجزات انبياهم والذي سيسالون عن ذلك بعينه سنفصل عن معجزات
نبينا وعند الوقوف على هذه الفصول يعلم ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
اعطاه الله عز وجل من المعجزات مثل ما كان اعطا الانبيا قبله وزاده على ذلك
وسنزيد هذا وضوحا حتى يتبين كون المعاند الجاحد جاهلا او قبيحا

الفصل الخامس في كلام الشجر وكثير من الجمادات وشهادتها له بالنبوة

وهذا الفصل تكثر حكاياته وتتسع رواياته لكثرة عدد ما روي من ذلك وصحة
ما انتهى هنالك وهذا الفصل نوعان النوع الاول قد وردت الاخبار ونقل
عن الائمة العدول الاخيار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في بعض غزواته فدنا
منه اعرابي فقال له يا اعرابي اين تريد فقال اهلي فقال هل لك في خير منهم قال وما هو
قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال
ومن يشهد لك على صحة ما تقول قال هذه الشجرة لسمرة الوادي فادعها فانها
تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى وقفت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وقد روي هذا الحديث عن بريدة وزاد
قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت

تجر

تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فامرها
فرجعت فدلت عروقها حيث كانت واستوت فامن الاعرابي وقال ايذن لي
اسجد لك فقال له عليه السلام لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد
لبعلها قال فايذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه ظهرت على يديه مثل هذه المعجزة مرات وطرقها صحاح بل منها ما هو متواتر
على ما حكاه اهل النقل فقد روي انه طافت شجرة ثم رجعت الى منبتها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم وكذلك سال ربه ان
يجعل له اية فقال انطلق الى موضع كذا فان بها شجرة فادع منها غصنا فانه
يأتيك ففعل فجاء يخط الارض حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شا الله ان يحبسه
ثم قال له ارجع كما جئت فرجع وكذلك روي عنه من طريق صحاح انه خرج يوما ليقضي
حاجته فلم يجد ما يستتر واذا شجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ بغصن من اغصانها وقال انقادي علي باذن الله
فانقادت معه كالبعير المذلل ثم فعل بالاخرى مثل ذلك وقال التئما علي فالتاما
فلما قضى حاجته قال جابر فالتفت فاذا رسول الله مقبل والشجرتان قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساقها وكذلك روى اسامة بن زيد مثل هذا في النخيل
وقال فيه قال لي انطلق الى هذه النخلات وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامركن ان تاتين لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت
ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن ويجتمعن والحجارة
يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفه فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي
نفسي بيده لقد رايت النخلات والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقد
حكى الائمة منهم ابو بكر بن فورك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في
غزوة الطايف ليلا وهو يسير فاعترضته سدرة فانفرجت
له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك معروفة
معظمة النوع الثاني نقل خلف عن سلف نقلا مستفيضا مشهورا انه

لا شك فيه ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا ياكلون مع النبي صلى الله عليه وسلم
الطعام وهم يسمعون تسبيحه وقال انس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفا من حصى فسبحت في يده حتى سمعنا تسبيحها ثم صبهن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في يد ابي بكر فسبحن كذلك ثم صبها في ايدينا فلم تسبح ورواه ابو ذر
وقال انها سبحت في كف عثمان وقد تواردت الروايات عن الثقات عن علي انه قال كنا
بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر
ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله وقد روى العباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم غطاه وبنيه بملحفة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملحفة فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وقد صحت الاخبار بل تواترت
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اتخذ منبرا وصعد عليه وترك الجذع الذي
كان يخطب عليه حن الجذع حنين الابل الفاقد اولادها حتى تصدع وانشق
فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكن وفي بعض طرقه قال النبي صلى
الله عليه وسلم ان هذا بكا لما فقد من الذكر وفي بعض طرق هذا الحديث
انه لم يزل يسمع له حنين في اوقات تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدفن تحت المنبر على ما في حديث ابي فاحده او فكان عنده الى ان اكلته الارض
وعاد رفاتا وقد روى هذا الحديث بريدة وزاد فيه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم للجذع ان شئت ان اردك الى الحائط الذي كنت فيه فتنبت لك عروقك
ويكمل خلقك ويجدد خوصك وثمرك وان شئت اغرسك في الجنة ياكل منك
ومن ثمرك اوليا الله ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع له ما يقول
فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اوليا الله واكون في مكان لا ابلى فيه
فسمعه من يليه فقال له قد فعلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختار دار البقا على دار الفنا فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكا وقال
يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه فانتم احق بذلك
وان تشتاقوا الى لقائه وكذلك تواتر ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان على جبل احد مع جماعة من اصحابه فتحرك بهم الجبل فقال له النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد والاخبار ايضا في
هذا النوع كثيرة وفيما ذكرناه كفاية بل في الواحد من هذه الاخبار ابلغ غاية

الفصل السادس في كلام ضروب من الحيوانات وتسخيرهم له عليه الصلاة والسلام

وهذا الباب ايضا نوعان النوع الاول من ذلك ما روي واشتهر عن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جا اعرابي قد صاد ضبا فقال ما هذا
فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا واللات والعزى لا امنت بك
حتى يؤمن بك هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان عربي مبين يسمعه القوم
جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي
في السما عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار
عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك
وخاب من كذبك واسلم الاعرابي ومن ذلك القصة المشهورة في كلام الذئب
من حديث ابي سعيد الخدري قال بينما راع يرعى غنما له عرض الذئب
لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت
بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس قال الذئب
الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث
الناس بانبا ما سبق فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى
الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم صدق وقد روى هذا
الحديث عن غير واحد من الصحابة منهم ابو هريرة وزاد في هذا الحديث فقال له
الذئب انت اعجب وقفت على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا اعظم
منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون
لقتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله فقال له الراعي
لو كان لي من يرعى الغنم لمشيت اليه فقال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم
الراعي اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم
يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها

كذلك وذبح للذيب منها شاة وكان هذا الراعي اسمه اهبان بن اوس
وقد ذكر مثل هذه القصة عن سلمة بن الاكوع وانها كانت سبب اسلامه ومن
ذلك ما يحكى ان ابا سفين بن حرب بينا هو في ملا من قريش بمكة اذا ظبي
يطرده ذيب فدخل الظبي الحرم ورجع الذيب فعجبوا من ذلك فقال الذيب
اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال
ابو سفين بن حرب واللات والعزى لين ذكرتم هذا بمكة ليتركنها خلوفا ومن ذلك
ما روي عن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحرا فادته ظبية
يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك
الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم
فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها وكان ذلك الاعرابي نايما فانتبه وقال
يا رسول الله الك حاجة فقال تطلق هذه الظبية فاطلقها فذهبت تعدو في
الصحرا وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن ذلك ما روي من
كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى
الله عليه وسلم يعفور وكان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه
ويستدعيهم وانه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم تردى في بير جزعا وحزنا فمات
ومن ذلك حديث الناقة التي شهدت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه النوع الثاني ما روي عن عايشة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم انها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا النبي صلى الله عليه
وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
جا وذهب ومن ذلك ما روي جابر بن عبد الله قال جا رجل فامن بالنبي صلى
الله عليه وسلم وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم يعني لاهل
خيبر فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بالغنم قال احصب وجوهها
يعني اضربها بالرمل فان الله سيودي امانتك ويردها الى اهلها ففعل
فسارت كل شاة منها حتى اتت اهلها ومن ذلك حديث انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم دخل حايط رجل من الانصار ومعه ابو بكر وعمر ورجل من

الانصار

الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها
وذكر الحديث ومن حديث ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايطا فجا
بعير فسجد بين يديه ومن حديث جابر قال وكان ذلك الحايط لا يدخله احد
الا شد عليه ذلك الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع
مشفره على الارض وبرك بين يديه فخطمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما بين السما والارض شي لا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومن
حديث عبد الله بن ابي اوفى ان النبي صلى الله عليه وسلم سال اهل ذلك الجمل
عن شانه فقالوا له انهم ارادوا نحره ومن ذلك ما روي ابن وهب ان حمام مكة
اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة ومن حديث
انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة
الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر
حمامتين فوقفتا في فم الغار وان العنكبوت نسجت على بابه فلما
اتى الطالبون لرأوا ذلك فقالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان والعنكبوت فانصرفوا
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم والاخبار في هذا كثيرة وفيما ذكرناه كفاية

الفصل السابع في احيا الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة

من ذلك الخبر المشهور المعلوم المذكور عن غير واحد من الصحابة والايمة ان يهودية
بخيبر اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مشوية فسمتها فاكل منها
رسول الله صلى الله عليه وسلم واكل القوم معه فقال ارفعوا فان هذه الشاة
اخبرتني انها مسمومة ثم قال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا
صادقا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت منك فقال ما كان
ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها فقال لا فلم يزل اثر الاكلة في لهوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى قال في وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة خيبر
تعاودني فالان اوان قطعت ابهري قال ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وروى
هذا الحديث من طريق البرا بن عازب عن ابي سعيد الخدري وزاد فيه فبسط

رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله تعالى
فلم يضر احدا منا الا ما ذكر من موت بشر بن البراء وفي هذا الحديث انواع من
دلالات نبوته صلى الله عليه وسلم منها نطق الميت وذلك ان الشاة كلمته بعد
ان شويت وانهم اكلوا السم ولم يضرهم وفي موت البراء دليل على ان الذي اكلوه
سم قاتل وبذلك اعترفت اليهودية وقالت اردت هلاكك فاراد الله ان يميت
احدهم ليعلم ان الذي اكلوه سم وان نجى جميعهم معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن اياته في هذه القصة تاخر موته بالسم دون علة ازمنة نحو العشرين سنة
وهذه كلها امور خارقة للعادات فهي من اوضح الدلالات ومن ذلك ما روى عن
فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال
له من انا فقال انت رسول الله ومن ذلك حديث معيقيب قال رايت
من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جي بصبي يوم ولد فقال له من انا فقال انت
رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام
لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة
الوداع ومن حديث الحسن قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح
بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى ذلك الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي
باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما
فان احببت ان اردك عليهما فقالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله تعالى خيرا لي منهما
ومن ذلك حديث انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء قال فسجيناه
وعزيناه فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك
والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملني على هذه المصيبة فما برحنا
ان كشفت الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا ومن حديث عبد الله بن عبيد الله
قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه
في القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا
هو ميت ومن حديث النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في زقاق
من ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول

انصتوا

انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم
النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

الفصل الثامن في ابراء النبي صلى الله عليه وسلم المرضى وذوي العاهات

من ذلك ما اشتهر واستفاض من قصة عين قتادة يوم احد وذلك انه اصيب
في عينه حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه
ومن ذلك حديث عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي
عن بصري فقال له انطلق فتوضا ثم قل اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبي محمد
نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال
فرجع الرجل وقد كشف الله عن بصره ومن ذلك حديث حبيب بن فديك ان اباه
ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه فابصر قال فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين روي ان ملاعب
الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده
حثوة تراب فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها رسوله متعجبا يرى انه قد هزئ به
فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله ومن ذلك حديث كلثوم بن الحصين
وذلك انه اصيب يوم احد في نحره فبصق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرا
وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد ومن ذلك حديث علي يوم خيبر وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات اصحابه تلك الليلة كلهم يرجو
ان يعطاها فلما اصبح دعا عليا فاذا به رمد فتفل في عينيه فبرئ لحينه وفتح
الله عليه الحصن وفي تلك الغزاة نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع
فبرات وكذلك فعل بساق علي بن الحكم يوم الخندق وكانت قد انكسرت
فبرا مكانه ولم ينزل عن فرسه واصاب عليا وجع فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل
لعنه الله يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله

عليه وسلم والصفرها فاصفت وكذلك اصيب في ذلك اليوم حبيب بن يساف
فنفث عليه من ريقه فصح واتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يعقل
ولا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه صلى الله عليه وسلم ثم اعطاها ذلك
الماء فامرها ان تسقيه اياه ففعلت فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول
الناس وحديث ابن عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة
فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فبرا وانجاب القدر وهي تغلي على ذراع محمد
ابن حاطب وهو طفل صغير فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ودعا
له وتفل فيه فبرا لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض
على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يمسحها
بكفه حتى رفع كفه وما لها اثر والاخبار في هذا النوع كثيرة واذا تاملت هذا
الفصل والذي قبله علمت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قد اوتي
من المعجزات مثل ما اوتي عيسى عليه السلام من احياء الموتى وابراء الاكمه والمجانين
وذوي الاسقام والافات كما يحكي النصارى في انجيلها وزاد عليه بامور كما ذكر
وسياتي ان شاء الله فيلزم النصارى اذ كذبوا بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم مع ما اقمنا عليهم من الايات وانتشار من واضح المعجزات ان يكذبوا بنبوة
عيسى عليه السلام فان معجزاته كمعجزاته وان كذبوا فيما نقلناه فعارضناهم فيما نقلوه
ولم يقدروا ان يثبتوا نبوة عيسى عليه السلام علينا ولا على غيرنا وكذلك يفعل بكل كاذب كفار

الفصل التاسع في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

اعلم بان هذا انه لو لم يثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات
الا ما ثبت في هذا الباب لكان فيه اعظم دليل على صحة نبوته وصدق رسالته
فانا نعلم بما روي في هذا الباب من على القطع والاضطرار ان دعاءه
مسموع وان مقامه عنده مقام كريم مرفوع وذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان كلما دعا الله تعالى في شيء اجابه فيه وظهرت بركة دعوته على المدعو له وعلى
اهله وبنيه حتى كان حذيفة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دعا لاحد ادركته الدعوة وولده وولد ولده ونحن نذكر طرفا على شرط الاختصار كما

تقدم ومن ذلك حديث انس الصحيح المشهور قال قالت امي يا رسول الله
خادمك انس ادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه قال
انس حين حدث بهذا الحديث فوالله ان مالي كثير وان ولدي وولد ولدي
ليتعادون على نحو المائة اليوم وفي رواية اخرى عنه انه قال وما اعلم احدا
اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة
قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله تعالى
عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت الايدي واخذت كل زوجة
من زوجاته ثمانين الفا وكن اربعا وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه
على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا وهذا كله بعد صدقاته الفاشية
في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا ووردت عليه مرة عير لها
سبعمائة بعير تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها
ومن ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة
ومن ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله
دعوته فما دعا على احد ولا لاحد الا استجيب له ومن ذلك دعاؤه صلى الله
عليه وسلم حيث قال اللهم اعز الاسلام باحد الرجلين بعمر بن الخطاب او بابي جهل
ابن هشام فاجاب الله دعوته في عمر بن الخطاب ولذلك قال ابن مسعود
ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر بن الخطاب واصاب الناس عطش شديد في سفر
فدعا الله فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم وقد تقدم مثل ذلك ومن ذلك
حديث الاستسقاء المشهور وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينما هو يوم الجمعة يخطب اذ دخل عليه رجل فقال يا رسول الله قد هلكت
الاموال وانقطعت السبل وهلكت المواشي فادع الله ان يغيثنا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اغثنا اللهم اغثنا اللهم اغثنا قال فانشات
سحابة مثل الترس ثم انتشرت قال راويه فلا والله ما راينا الشمس سبتا
يعني جمعة ثم دخل اعرابي في الجمعة المقبلة فقال يا رسول الله هلكت المواشي

وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم على
الاكام والظراب ومنابت الشجر قال فانجابت السحابة عن المدينة انجياب
الثوب فخرجنا نمشي ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم قال للنابغة الجعدي
لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن حتى مات وفي رواية فكان احسن
الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقال
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فكان بحر الفقه وترجمان القران
ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيا الا ربح
فيه فقال لقد كنت اقوم بالكناسة سوق لهم فما ارجع حتى اربح
اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه
وندت له ناقة فدعا ربه ان يردها عليه فجاءها اعصار ريح حتى ردها عليه
ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الم الحر والبرد فكان يلبس
في الشتا ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتا ولا يصيبه حر ولا برد
وساله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه
فقال يا رب اخاف ان يقولوا انها مثلة فتحول الى طرف سوطه وكان يضي
في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر بالقحط فاقحطوا سبعا
حتى اكلوا الجلود والعظام حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا
ودعا على كسرى حين مزق كتابه بان يمزق ملكه فلم يبق له باقية وقال
لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال له لا استطعت
فلم يرفعها الى فيه بعد وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله الاسد وحديثه المشهور مع ملأ قريش وذلك انه صلى الله عليه
وسلم بينا هو ساجد بازا الكعبة اذ القت قريش على ظهره فرثا ودما سلا
جزور نحرت فقال اللهم عليك بهم ثم سماهم واحدا واحدا فكل من سمى قتل
يوم بدر ودعا على الحكم ابن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كن فلم يزل يختلج
الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة فلفظته الارض فوري فلفظته الارض ثم

وري فلفظته الارض مرارا فالقوه بين صدين يريد جانبي الوادي ورضموا
عليه بالحجارة وباعه رجل فرسا فجحده فقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له
فيها فاصبحت شاصية برجلها يقول ماتت والاخبار في هذا الباب اكثر من ان تحاط

الفصل العاشر في ذكر جمل من بركاته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم

من ذلك ما اشتهر وصح انه وقع فزع بالمدينة فركب فرسا لابي طلحة بطيا فلما
رجع قال لابي طلحة وجدنا فرسك بحرا يريد كثير الجري كالبحر فكان ذلك
الفرس لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك
زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك
عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وكانت شعرات
من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد
بها قتالا الا رزق النصر وكانت جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسل
للمرضى بعد موته فيستشفى بها واخذ جهجاه الغفاري قضيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليكسره فاخذته في يده الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل
وضوءه في بير قبا فما نزف ماؤها بعد وبزق في بير كانت في دار انس فلم يكن
بالمدينة بير اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقال اسمه بيسان وماؤه ملح
فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واوتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار
اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا
فرويا وسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا
فامرها النبي صلى الله عليه وسلم بعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوة فياتيها بنوها
يسالونها الادم وليس عندهم شي فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها
حتى عصرتها وكان يتفل في افواه المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك
بركته فيما غرس او غرس لسلمان ثلثمائة ودية وكان كاتب مواليه
على ثلثمائة نخلة وعلى اربعين اوقية فغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده الا واحدة فاطعمت من عامها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله
عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من

ذهب بعد ان ادارها على اسنه فوزن منها للموالية اربعين اوقية وفي حديث
حسن بن عقيل قال سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب
اولها وشربت اخرها فما زلت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها
اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء الآخرة في ليلة مظلمة مطيرة
عرجونا وقال انطلق فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا
فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء
له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه
لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده
سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده
يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف
يسمى العون وكذلك دفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه
عسيب نخل فعاد في يده سيفا ومن ذلك بركته في درور الشياه الحوائل
باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد وهي قصة مشهورة وكذلك نعم حليمة مرضعته
وقد تقدم ذكره وكذلك قصة شاة عبد الله بن مسعود وكان لم ينز عليها فحل قط
وكذلك شاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا
فيه فلما حلوه اذا به لبن طيب وزبد في فمه ومسح راس عمير بن سعيد وبرك
فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وقد روي مثل هذه القصص كثيرا ومن ذلك
ان عتبة بن فرقد كان يوجد له طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مسح بيده بطنه وظهره وسلت عن وجه صلى الله عليه وسلم
عائذ بن عمرو الدم يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح صلى الله عليه
وسلم على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة وراسه
ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم اسود فكان يدعى الاغر ومسح وجه
اثره فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق
حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع صلى الله عليه وسلم يده
على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه

والشاة

والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب
الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال
ما كان بها ومسح على راس صبي عاهة يعني قرعا فبرا واستوى شعره وكذلك مسح على غير
واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرءوا ولاجل هذا قال طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
باحد به جنون فصك في صدره الا ذهب ذلك الجنون واتاه رجل ادر فامره ان ينضحها
بماء من عين مج فيه ففعل فبرا ومن ذلك خبر المشهور عن تراب يوم حنين وذلك
انه لما اشتد القتال بينه وبين الكفار ذلك اليوم اخذ غرفة من تراب ورمى بها
وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فما بقي احد منهم الا اصاب عينيه من ذلك
التراب فهزمهم الله ورجعوا على اعقابهم يمسحون هذا التراب عن اعينهم ومن
ذلك الخبر المشهور ايضا عن ابي هريرة انه كان كثير النسيان فامره ببسط ثوبه
فغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد والاخبار في هذا اكثر تفوق الحصر

الفصل الحادي عشر فيما اخبر به مما اطلعه الله عليه من الغيب

هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا تنزف غمره وهو من جملة معجزاته المعلومة
على القطع الواصلة الينا على طريق التواتر لكثرة الحكايات وانتشار الروايات
مع اتفاقها على انه مطلع على كثير من الغيب فهذا تواتر معنوي يحصل به العلم
وهكذا اكثر الفصول المتقدمة والاخبار المتلقاة عنه صلى الله عليه وسلم
في هذا الباب قسمان قسم وقع ووجد كما اخبر به وقسم اخر لم يقع لكونه لم يبلغ
وقته وسيقع ولا بد وكذلك هو منتظر الوقوع ونحن انما نذكر في هذا الفصل
ما وقع ووجد حسب ما اخبر به اذ به تقع الحجة وعنده يظهر الاعجاز من
ذلك حديث حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك
شيئا في مقامه ذلك يكون الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه
من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه واذكره كما يذكر الرجل
وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال لا ادري انسي اصحابي ام تناسوه
والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ
من معه ثلاثمائة فصاعدا الا سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا

رسول الله صلي الله عليه وسلم وما طاير يحرك جناحيه في السما الا ذكر لنا منه علما
وقد خرج اهل الصحيح في كتبهم واشتهر عن الايمة ما اعلم به اصحابه مما وعدهم به من
الظهور علي اعدايه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور
الامن حتي تظعن المراة من الحيرة الي مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وكذلك
اعلم بفتح الله خيبر علي يدي علي بن ابي طالب في غد يومه وبما فتح الله علي امته من
الدنيا ويوتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من
الفتن والاختلاف والاهوا وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم علي ثلاث وسبعين
فرقة الناجية منها واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في
اخرى ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة وانهم
اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط
شرارهم علي خيارهم واخباره عن قتال الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس
حتي لا كسرى بعده وذهاب قيصر حتي لا قيصر بعده واخباره عن الروم لا تزال
ذات قرون حتي تقوم الساعة واخباره بملك بني امية وولاية معوية ووصاه
واتخاذ بني امية ملك الله دولا واخباره عن خروج ولد العباس بالرايات السود
وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي واخباره بما ينال اهل بيته من القتل والشدة
واخباره عن قتل علي وقوله اشقاها الذي يخضب هذه في هذه يريد لحيته من راسه
واخباره بقتل عثمان وهو يقرا في المصحف وانه سيقطر دمه علي قوله فسيكفيكهم
الله وهو السميع العليم وقوله له عسى الله ان يلبسك قميصا فان ارادوك علي
خلعه فلا تخلعه يريد بذلك ما ولاه من الخلافة وما ارادوه من خلعه ومن ذلك خبر حاطب
ابن ابي بلتعة وذلك انه كتب كتابا لاهل مكة يخبرهم فيه بغزو رسول الله صلي
الله عليه وسلم اياهم واخفي الكتاب ولم يطلع عليه احد ودفعه الي امراة فجعلته في
عقاصها فقال النبي صلي الله عليه وسلم انطلقوا الي موضع كذا فان به ظعينة عندها
كتاب من حاطب الي المشركين من قريش فانطلقوا ففتشوها فلم يجدوا عندها شيا فقالوا
لها لتخرجن الكتاب او لنجردنك فاخرجته من عقاصها واخباره لبعض زوجاته انها
ستنبحها كلاب الحوأب وانها يقتل حولها قتلى كثير فكان ذلك كله كما ذكر

صلي

صلي الله عليه وسلم وقوله لعمار تقتلك الفية الباغية فقتله اصحاب معوية
وقوله تكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج والمختار واخباره بان مسيلمة
يعقره الله فكان ذلك ومن ذلك ان ناقته ضلت فلم يدر اين هي فقالت
قريش يزعم محمد انه يعرف خبر السما وهو لا يعرف خبر ناقته فنزل الوحي علي
رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال اما انا فلا اعلم الا ما علمني الله به وان
الله قد اخبرني انها بموضع كذا فانطلقوا فوجدت حيث ذكر قد حبستها شجرة
وقوله لفاطمة ابنته انك اول اهل بيتي لحوقا بي فكانت اول من مات من اهل بيته
واخبر باهل الردة والخوارج ووصف بعلاماتهم فوجد ذلك كما اخبر والاخبار في
ذلك اكثر من ان تحصى بضبط الواقف عليها علي العلم بنبوته صلي الله عليه وسلم

الفصل الثاني عشر في عصمة الله له ممن اراد كيده صلي الله عليه وسلم

وذلك من ابلغ اياته صحت الروايات وثبتت الطرق ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
كان يحرس ممن يريد كيده لكثرة اعدايه وتطلبهم غرته حتي نزلت والله يعصمك
من الناس فاخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم راسه من القبة وقال لحارسيه
يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي فلم يقدر احد ان يصيبه منهم بمكروه مع
حرصهم علي ذلك ومن ذلك ما صح ان النبي صلي الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض
غزواته فقال تحت شجرة فاتاه اعرابي فاخترط سيفه فقال من يمنعك مني
فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط سيفه من يده وضرب راسه الشجرة حتي
سال دماغه وقد اتفق مثل هذه القصة لغورث بن الحرث فاسلم ورجع الي
قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وقد روي ان هذه القصة كانت يوم بدر
وكذلك وقع مثل هذه القصة لدعثور بن الحرث وكان ذا نجدة وجراة
فاسلم فلما رجع الي قومه قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني
نظرت الي رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف
من يدي فعرفت انه ملك وفيه انزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الاية
وكانت امراة ابي لهب وهي حمالة الحطب تضع الشوك في طريق رسول الله صلي الله عليه

وسلم فكانما بطحاها نساها هل يرد سهلا ولما انزل الله فيها وفي زوجها
تبت يدا ابي لهب وتب الى اخر السورة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما
لم تر الا ابا بكر فاخذ الله ببصرها عن نبيه عليه السلام فقالت يا ابا بكر ان صاحبك
فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ومن ذلك
ما حدث به الحكم بن ابي العاص قال تواعدنا على ان نقتل محمدا حتى جئناه
فلما رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا
علينا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه
حالت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه ومن ذلك القصة المشهورة
التي تؤذن بالكفاية التامة وذلك ان قريشا اجتمعت على قتله وبيتوه ليدخلوا
عليه بيته فعلم بهم فقال لعلي تحول على فراشي ففعل ثم خرج عليهم وذر التراب
على رؤوسهم فلم يروه حتى دخلوا البيت فوجدوا عليا على فراشه فقالوا له
اين صاحبك فقال لهم قد خرج عليكم وقد جعل التراب على رؤوسكم فمد كل واحد
منهم يده الى راسه فوجد التراب على راسه وقد قيل ان في هذه القصة نزلت قوله
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله
خير الماكرين ومن ذلك ما اتفق لابي جهل وذلك انه اخذ ابل رجل من العرب
وتعدى عليه فيها فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمنزل ابي جهل وصاح به فخرج منتقعا لونه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم رد على هذا ابله فقال نعم ثم دخل مرة اخرى فابطا فصاح
به فخرج فزعا متغيرا ذليلا ففعل ذلك ثلاثا ثم خرج فزعا منتقعا لونه فاعطى
الاعرابي والان القول للنبي صلى الله عليه وسلم فلامته قريش على ذلك فقال لهم
انه عرض لي دونه فحل من الابل ما رايت مثل هامته ولا انيابه لفحل قط وانه هم بي
ليأكلني فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك جبريل ولو دنا منه
لاخذه وكذلك اخذ ابو جهل صخرة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ساجد وقريش ينظرون فلزقت يده ويبست يداه الى عنقه فرجع

القهقرا

القهقرا وراءه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكذلك تواعد مرة اخرى
مع قريش لئن راى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم
في الصلاة اعلموه فاقبل نحوه فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه
رقبته فسئل عن ذلك فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت
اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام
تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا فانزل على النبي صلى الله عليه وسلم
كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى اخر السورة ومن ذلك حديث شيبة
وذلك انه ادرك النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال اليوم ادرك ثاري من
محمد وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فاتاه من خلفه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ
من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني
ووضع يده على صدري وهو ابغض الخلق فما رفعها الا وهو احب الخلق الي ومن
ذلك حديث فضالة بن عمير قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف
بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك
قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله
ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن ذلك خبر عامر بن الطفيل
واربد بن قيس وذلك انهما وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلاه فقال
عامر لاربد انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يفعل من ذلك شيئا فلما
كلمه عامر في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك
ومن ذلك الخبر المشهور خبر سراقة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج من مكة مهاجرا الى المدينة لم يعلموا بخروجه فبعثت قريش في طلبه من كل وجه
جعلت لمن ياتي به جعالة مائة ناقة قال سراقة فبينا انا جالس في نادي قومي
اذ اقبل رجل فقال والله لقد رايت ركبة ثلاثة مروا علي انفا اني لاراه محمدا واصحابه
قال فاومات له بعيني ان اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم
قال لعله قال فمكثت قليلا ثم قمت فدخلت بيتي ثم امرت بفرسي فقيد لي
الى بطن الوادي وامرت بسلاحي فاخرج لي من دبر حجرتي وكنت ارجو ان ارده

على قريش واخذ لابنه ناقة قال فركب في اثره فلما بدا لي القوم ورايتهم عثر بي
فرسي وذهبت يداه في الارض وسقطت عنه قال ثم انتزع يديه من الارض
وتبعهما دخان كالاعصار قال فعرفت حين رايت ذلك انه قد امتنع مني وانه
ظاهر قال فناديت القوم انا سراقة انظروني حتى اكلمكم فقال له ابو بكر وما تبتغي
منا قال قلت تكتب لي كتابا يكون اية بيني وبينك فكتب له ابو بكر بامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فامسكه عنده حتى كان يوم الطائف • والاخبار في هذا كثيرة •
والحكايات صحاح شهيرة • لا يمكن جحدها • ولا نكر حصول العلم عندها • بل كلها تدل
على صحة نبوته • وتصديق شريعته • وانه كما قال الله عز وجل • وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل • ومعجزاته عليه السلام اكثر من ان يحيط بها هذا الكتاب • او تدخل تحت عد وحساب •
وبعد الوقوف على ما تضمنته الفصول المتقدمة • والابواب السابقة • يحصل العلم
الضروري بصدقه ورسالته • وبوجوب اتباع شريعته • ومنكر ذلك معاند متواقح
جاحد • وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون • وقد تجز غرضنا من هذا
الباب • فان قيل قايل من النصارى والمخالفين لنا ما ذكرتموه من معجزات نبيكم
انما سبيله عندكم باخبار الاحاد وهي وان كانت صحاحا لا يحصل بها العلم كما
كنتم قدمتم حيث تكلمتم مع النصارى حين استدلوا على اثبات نبوة مسيحهم
فانكم قلتم لا يقبل في مثل هذا الموضع خبر من يجوز العادة عليه الكذب والغلط
وهو الخبر المتواتر انكم قبلتم ههنا اخبار من يجوز العادة عليهم الكذب والغلط وهي
اخبار الاحاد فقد خالفتم ما اصلتم وقبلتم عين ما انكرتم قلنا في الجواب عن ذلك
اعلم ايها المعترض انا لم نقبل في هذا الباب الا الاخبار المتواترة التي
يحصل العلم بها لكن ينبغي ان تعلم ان التواتر ضربان متواتر لفظه ومعناه
وذلك مثل قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في
الاخرة من الخاسرين فان هذا اللفظ نعلم قطعا ويقينا ان نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم قاله كما تلوناه من غير زيادة ولا نقصان اذ نقله عنه الجم الغفير
عن الجم الغفير فلا يتطرق اليه وجه من وجوه الشك فلا يقدر احد ان يشكك
في لفظه ولا في معناه وكثير من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم المتقدمة الذكر

من

123

من هذا القبيل فهذا هو الضرب الاول واما الضرب الثاني وهو ما تواتر
معناه دون لفظه فيحصل العلم ايضا بذلك المعنى وذلك مثل ان تتوارد
روايات كثيرة من اخبار الاحاد الصحاح على معنى واحد بالفاظ متغايرة
وحكايات مختلفة مثال ذلك انا نجد من انفسنا علما قطعيا بشجاعة
علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاذا نظرنا في الخبر الذي حصل لنا العلم
بشجاعته لم نجد خبرا واحدا متواترا وانما وجدناه جملة اخبار احاد
تواردت على معنى واحد وهو الشجاعة فيسمع عنه بانه فعل يوم خيبر
كذا وفعل يوم حنين كذا ويوم صفين كذا ويوم الجمل كذا فلا تزال الاخبار
الاحاد تكثر حتى يضطر السامع الى العلم بمخبرها ولا يقدر على تشكيك نفسه
في شيء منها وهذا مسلك في تحصيل العلم اذا انصف العاقل المنصف
من نفسه وجده مفيدا للعلم ومحصلا للضرورة ومن انكر حصول العلم
منه كان منكرا لما هو ضروري فاذا ثبت هذا قلنا بعده ان ما نقلناه من
معجزات نبينا عليه السلام منها ما تواتر لفظه ومعناه كانشقاق القمر
وغيره ومنها ما تواتر معناه وهو اكثر ما احتوت عليه الفصول المتقدمة
وذلك ان كل فصل منها اشتمل على معنى واحد كثرت الاخبار عن ذلك
المعنى حتى اضطر الواقف عليها الى العلم بمعناها وذلك مثل نبع
الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام القليل والماء القليل الى غير ذلك من
الفصول فكل فصل منها قد تواتر معناه وان لم تتواتر احاد الفاظه ثم هذه
الفصول بجملتها يحصل منها العلم القطعي والنص الضروري فان محمدا
صلى الله عليه وسلم كانت العادات تنخرق على يديه معجزة له اذ قد تواردت
اخبار جميع هذه الفصول على هذا المعنى فحصل من هذا انا لم نستدل
على اثبات نبوة محمد باخبار الاحاد وانما استدللنا على ذلك بالاخبار
المتواترة المحصلة للعلم والحمد لله والنصارى فيما اوردوه لم يستدلوا هكذا
ولا عندهم علم من هذا وكفى انهم في ضلالهم يعمهون • وفي شكهم
يترددون • عصمنا الله من الخطا والزلل • في القول والعمل • بكرمه وجوده

الفصل الثالث عشر فيما ظهر على اصحابه والتابعين لهم من الكرامات الخارقة للعادات

اعلم ان غرضنا في اثبات هذا الفصل شيان احدهما ان نبين ان ما ظهر على اصحابه وعلى اهل دينه من الكرامات هو اية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الايات وذلك ان الله تعالى اذا اكرم واحدا منهم بان خرق له عادة فان ذلك يدل على انه على الحق وان دينه حق اذ لو كان مبطلا في دينه متبعا المبطل في دعواه كاذبا في قوله على الله لما اكرمه الله تعالى من اتبع دينه فعلى هذا نقول ان كل كرامة لولي انما هي اية للنبي صلى الله عليه وسلم الذي اتبعه ذلك الولي

الثاني ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كانوا قد اكرمهم الله بكرامات خارقة للعادات فلا نعتقد فيهم انهم انبيا كما فعلت النصارى بالحواريين بل نعتقد فيهم انهم اوليا الله واصحاب رسول الله تلقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرعه وبلغوا عنه قوله وفعله فبذلوا في اظهار دين الله انفسهم واموالهم حتى اظهر الله على كل الاديان دينهم وايمانهم فهم كما قال الله تعالى فيهم محمد رسول الله والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ونحن الآن نذكر بعض ما اكرمهم الله من ذلك ما علمنا من احوالهم على القطع وذلك انهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرضوا لقتال كل من خالفهم من اهل الارض يهوديهم ونصرانيهم ومجوسيهم ووثنيهم عربيهم وعجميهم على قلة عددهم وزيادة عدوهم فقارعوا الابطال وسبوا الذراري والاموال واسروا البغاة وقتلوا الرجال على هذا القرض عصرهم ومع ذلك فلم يروا قط عنهم انهم ولوا مدبرين ولا رجعوا منهزمين بل كانوا يرجعون غالبين وبعدوهم ظافرين وعليهم ظاهرين هذا مع كثرة من كان يجتمع عليهم من عدوهم ومن وقف على فتحات الشام علم ان دين الحق هو دين الاسلام فلقد اجتمع عليهم من عدوهم بالشام ثلثماية الف او نحوها بل قد قال الواقدي ثلثماية الف من النصارى المستعربة وغيرهم وهم

اتبعه ذلك الولي فهذا احد الغرضين [illegible]

زهاء ثلثين الفا خيلهم ورجالهم فقارعوهم مقارعة الكرام وصبروا صبر من صدق بما وعد به نبيه محمد عليه السلام فاظهرهم الله عليهم ومنحهم رقابهم واورثهم اموالهم وديارهم وهكذا فعل الله معهم في غير موطن ولا شك في ان هذا كرامة من الله لهم وامر خارق للعادة في حقهم فان العادة ان من اكثر مقارعة الشجعان فلا بد له ان يصاب ولو في وقت من الزمان وما اتفق لهم وان كان كرامة لهم فهو اية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان بشرهم بذلك واخبرهم بكل ما ظهر لهم هنالك فقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال تغزوا فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم ثم تغزو فئام فيقال لهم هل فيكم من راى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم ثم تغزو فئام فيقال لهم هل فيكم من راى من راى من راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال نعم فيفتح لهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم اخبار بنصر اصحابه ونصر تابعيهم وتابعي تابعيهم ثلاثة قرون وهذه الاعصار هلا انقرضت فلم يزل نصر اسلامهم وعونه معهم نصرة تعالى لنبيه واكراما لاصحابه رضي الله عنهم وجزاهم عنا افضل الجزاء ما جاز احدا عن احد ومن ما ظهر على احاد منهم ما قدمنا ذكره حيث ذكرنا ان طايفة منهم اكلت السم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يضرها وقد ذكرنا حديث المراة المهاجرة التي مات ابنها فقالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك فلا تحملني هذه المصيبة فحيي واكل معهم وكذلك ذكرنا مقالة ثابت بن قيس بن شماس بعد موته ومقالة زيد بن خارجة بعد موته فيما تقدم فلا معنى لاعادته فلينظر فيما تقدم ومن ذلك خبر ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في بعض اسفاره فلقي جماعة وقفوا على الطريق خوفا من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال انما سلط الله على ابن ادم ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لم يسلط عليه شي ومن ذلك حديث العلاء بن الحضرمي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فحال بينهم وبين الموضع الذي يريده قطعة من البحر

فدعا الله باسمه الاعظم ومشوا على الما ومن ذلك ان عباد بن بشر واسيد
ابن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضا لهما راس عصى احدهما
كالسراج وقد قدمنا مثل هذا ومن ذلك ان سلمان وابا الدردا كانت قصعة
فسبحت حتى سمعا تسبيحها وقد تظاهرت الاخبار فان جماعة منهم راوا الملائكة
وكانت تسلم عليهم مثل عمران بن حصين واسيد بن حضير والاخبار في هذا
كثيرة واما التابعون فقد ظهرت لهم من الكرامات والخيرات ما لا يمكن استيفا ذكره
في هذا الكتاب فقد كان كثير منهم يمشي على الما ويطير في الهوا وينظر الى الحصى
فيصير جواهر وينظر الاخوالي الارض بين يديه فتصير ذهبا وتطوى له
الارض ويتوضا فيسيل الما من بين يديه قضبان ذهب ويدعو الله تعالى
فيبرى المرضى والمجانين والزمنا الى ما لا يحصى كثرة وقد دون في هذا اكثر
يقضى منه العجب في كتب كرامات الاوليا ولو لم يكن في الدنيا من هذا
الا قبر معروف الكرخي الكاين ببغداد لكان فيه كفاية واعظم اية وذلك
ان قبره يستسقى به ويدعى الله عنده فيشفى المريض وتقضى الحاجة حتى ان
اهل بغداد يقولون قبر معروف الكرخي ترياق مجرب وبعد هذا القول
للنصارى وليس هذه الامور العجيبة والافعال الغريبة من قبيل الحيل
والنيرجات التي يعظمون بها اديانكم وتموهون بها على عوامكم وتضيفونها
الى هذيانكم فلقد حكى لنا انكم تخرقون على ضعفا العقول منكم بخرافات
وترهات مثل ما وصف عن بعض من هو من هذه المعظمة عندكم وذلك انكم تزعمون
ان يد المسيح تظهر في يوم واحد من السنة من ورا ستر وهذا مشهور
عندكم ولقد حكى لنا من نوثق بحديثه ان رجلا من اليهود كان قد عظم عند
احد روسايكم بالاندلس لوصلة كانت بينهما فرام الرئيس ان يخرج اليهودي
عن دينه ويدخله في دين النصرانية وقال له الا ترى هذه الاعجوبة ظهور يد المسيح
لنا في يوم معلوم من السنة فقال له اليهودي يا مولاي انا قد رضيت من هذا
الامر بشاهد ذلك وصدقت عليه فالحف عنه فان كان ما تزعم هو والقسيسون
حقا دخلت في دينك فخالط الرئيس الشك فلما دنا ذلك اليوم مشى ذلك

الرئيس الى ذلك المشهد وقرب مما بين يديه هناك فبرز اليه الاساقفة
وقربوه لتقبيل اليد فلما ظهرت له من ورا الستر وصنع يده فيه صاحوا به واطلقوا
القول يقولون اتق الله الان يخسف بك الان تقع عليك الصواعق السما
الان ترسل عليك الصواعق فقال لهم دعوا عنكم هذا كله فان هذه اليد لا احل
يدي عنها حتى اعلم احقا ما تصنعون عنها ام باطلا فلما راوا الجد فروا
عنه ولم يبق معه الا اثنان اسرا اليه وقالا له ما ينبغي في ذلك اصبحت
عن دين ابايك اتريد ان تحل ربطا ربط منذ الف سنة او نحوها قال الاولى
احب الوقوف على هذه اليد فقالا هي يد اسقف واقف خلف هذا
الستر فقال احب ان اراه فقالا انت وذاك فكشفوا العرق فيه مجدود
الخدين واقف ورا الستر فلما عاينه الرئيس ارسل يده وخرج الى عسكره
فقال له اليهودي يا مولاي اتامرني به ادخل في دينك واخرج عن ديني فقال
له رايك خرجت منه ولا خرجت وكذلك وصف لنا عن صليب في
في بعض من هو هم المعظمة عندكم يمشي اليه الناس ليتعجبوا منه وهو واقف
بين السما والارض وان بعض روسايكم سال عن ذلك كان باله يهوديا
ففطن اليهودي الى ان ذلك الصليب حديد تمسكه احجار المغناطيس فبحث
عنه فوجد كذلك وكذلك وصف عن الثريا التي في كنيسة الغراب وحيلتها حيلة
الصليب وكذلك انتم تذكرون ان هذه الكنيسة ينزل فيها نور يوقد ذبال
الثريا المذكورة في ذلك اليوم المشهور فذكر ذلك لاحد ملوك بني امية
بالاندلس فتعجب من ذلك وسال عن ذلك فاخبره رجل من اهل افريقية
بحيلتها وذكر انهم يدهنون الحايط بقصبة حديد صنوبر جوزها برزوا لها انبوبا
كسم الخياط موضوعة موزونة مع طرف الثريا ثم انهم ذلك اليوم يسيلون نار
النفط مع القصبة متى كانت تخرج في غاية القوة الى ذبال الثريا الذي هو في زنة
واحدة معه ووصف ذلك الافريقي مع ذلك حيلا وهذا فاجتاز ذلك
الامير على الكنيسة في احد غزواته وقد دنا يوم هاضري الافريقي وكان معه
فسال الكشف ذلك فيعد الافريقي فاستخرج منه قناة من الصفر على نحو ما كان

ذكر وعمد الى سما الثريا ما استخرج منه بحجارة المغناطيس فسقطت قدام
الامير عند ذلك بعاقبة القسيس ولذلك انتم تزعمون ان مريم نزلت
من السما على دون ارمس المطران بجامع طليطلة ولبست راسه بحلة
وجبة من سندس وذلك في ليلة النصف من شعبان فيعظمون تلك
الليلة تعظيما شنيعا وذلك كله انما يصح عليكم بجهلكم بالامور كلها حقيرها وباطلها
حتى انكم تصدقون بالباطل والترهات وتكذبون بالحق كله وباليقينيات
وذكم لغير معنى وقبولكم لغير معنى فلذلك لم تعدوا من العقلا ولم تضربوا
بسهم من النبلا ولقد اوقع بعض حذاقنا المجيرين على الكلام على النصارى
في كذبهم في نزول مريم على دون ادفنس الزامات بهتت النصارى ولا محيص
لهم عنها فقال لهم اخبرونا عن نزول مريم الذي تزعمون هل كان باذن
سيدها او بغير اذنه فان قلتم كان باذنه فكيف يجوز عليه ان يمتهن ام
ولد بزعمكم في حق عبده وهلا كان يرسل عبدا من عبيده ويصون ام ولده
هذا يدل على عدم الغيرة ولو فعل ذلك الواحد منا لعرض نفسه وزوجته للتهم
ولان يضاف اليه النقائص وينسب الى حسنه التهمة وان قلتم كان ذلك بغير
اذن منه فكيف ينبغي ان تخونه مع ان الله قد اصطفاها على نساء العالمين
واتخذها ام ولد بزعمكم فتنزل بغير اذنه الى رجل من جنسها بكسوة وثياب
مزينة في كنيسة خالية هذا محل خيانة وتهمة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا
وسبحانه عما ينسب اليه الجاهلون بكرة واصيلا واستغفر الله الذي لا اله الا هو
الحي القيوم واساله التوبة من حكاية هذه القبائح ومن رواية هذه الفضائح
فالحمد لله الذي اعاذ الاسلام من هذه الرذائل وخصه بكل الفضائل التي
يستحسنها كل عاقل ويتدين بها كل فاضل ويتميز عندها الحق من الباطل

كمل الجزء الثالث بحمد الله وحسن عونه

وصلى الله على سيدنا محمد

واله وصحبه

وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الباب الرابع في بيان ان النصارى متحكمون في اديانهم وانهم لا مستند لهم في احكامهم الا محض اغراضهم واهوائهم

هذا الباب يشتمل على صدر وفي الصدر فصلان

الفصل الاول

اعلم ايها العاقل وفقك الله ان النصارى اضعف الناس عقولا
واقلهم فطنة وتحصيلا فهم لذلك يعتقدون في الله المحالات وينكرون الضروريات
ويستندون في احكامهم الى الخرافات فتارة يستندون في قضاياهم الى
منامة راوها او خرافة سمعوها وما وعوها واخرى تحكم فيهم متقسس جاهل
بمحض الجهل والهوى والاباطيل من غير ان يستدل على جواز شي مما يريد
ان يفعل من الافاعيل لا بتوراة ولا انجيل بل قد يعرض عن نصوص
الكتابين ويتاولهما تاويل منسلخ عن الملتين وربما نزل بهم عظام
النوازل فيجمعون لها في المحافل فيتحكمون باهوائهم ويقولون فيها
بارائهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما احل الله افترا على الله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين ونحن نبين ذلك ونستدل عليه ان شاء الله تعالى على
طريقة الانصاف من غير اعتساف فاما كونهم يعتقدون في الله تعالى
المحالات وينكرون الضروريات فقد بيناه فيما تقدم فمن اراد ان يعرف
ذلك فليعد نظرا هنالك واما كونهم يستندون في احكامهم الى الترهات
والمنامات فيدل عليه ما حكيناه فيما تقدم من خبر بولش فانه احتال عليهم
حتى صرفهم عن دين المسيح ونقلهم من المذاهب والاراء كل قبيح بصرفهم
عن قبلتهم واحل لهم ما حرم عليهم وفرق جماعتهم وشتت كلمتهم فتم له كل
مكر على كل غبي غمر وقد قدمت حديثه في باب النبوات على الوفا وكذلك
خبر قسطنطين بن هلاي فانه لما راى ملكه يختل ونظامه لا يستقيم ولا يحصل
باختلاف رعيته عليه وقلة انقيادهم اليه جمع وزراه وشاورهم فاجتمع
رايهم بان يتعبد القوم بطلب دم وان يشرع لهم شريعة وينسبها للمسيح
فكتب لهم ما بايديهم من الانجيل او اكثره وتعبدهم بالصلوبيه وشرع لهم ترك

الختان وغير ذلك من الاحكام التي وافقته وجاء على اختياره واكد ذلك
بمنامة راها ذكر فيها امر الصليب ختم له مراده فيهم وخبره معروف عندهم
وعند غيرهم وقد قدمت بعضه في باب النبوات ايضا واما كونهم
يحكمون باراءهم واهوائهم فيدل على ذلك كتب محافلهم وما عليه الآن
معظم علمهم ومن طالع تلك الكتب عجب من جهلهم وجراتهم على الله كل
العجب فان قالوا انما نحكم بالمصالح وهي عندنا اصل راجح فنسالهم ان
كانت المصالح عندكم اصلا تعولون عليه وتسندون احكامكم اليه فمن الذي
اصلها لكم فان كنتم اصلتموها لانفسكم فقد تحكمتم في الاصل والفرع
ثم نلزمكم من هذا القول الاستغناء عن الشرايع وان ما شرع الله من الاحكام
في التوراة عبث لا معنى له ولا فايدة اذ النظر في المصالح غني عنها وان كان
الانبيا شرعوا لكم اصل المصالح فلا بد من الاستدلال على ذلك من كلامهم
واذا لم يستدلوا على ذلك فدعواكم باطلة وحجتكم داحضة ثم نقول لهم
ان الانبيا شرعوا لكم اصل المصالح فهل شرعوا العمل بالمصالح كيف
ما كانت المصلحة مطلقا او عينوا لكم نوعا من المصالح فان كان قد عينوا فينبغي
لكم ان لا تتعدوا ما عين لكم الانبيا فما بالكم تسترسلون فيها استرسال
من يحكم بهواه ولا يخاف الله ولا يخشاه وان كانوا اطلقوا لكم القول بالمصالح
وقالوا مهما ظهرت لكم مصلحة كاينة ما كانت فاعملوا بمقتضاها فكان
يلزم على هذا اسقاط كثير من احكام التوراة بالمصالح والراي كما فعل
بولس حيث قال لهم هل رايتم سارحة تسرح من عند ربها وتخرج الا من
حيث تومر به قالوا لا قال فلاي رايت الصبح والليل والشمس والقمر والنجوم
انما تجي من ههنا يعني الشرق وما اوجب ذلك الا وهو احق الوجوه ان يصلى
اليه فقالوا صدقت فردهم عن استقبال بيت المقدس الى استقبال
الشرق بهذا الهذيان ثم قال لهم بعد ما ان رايت رويا قالوا هات فقال لهم
الستم تزعمون ان الرجل اذا اهدى الى الرجل الهدية واكرمه بالكرامة فردها شق
ذلك عليه وان الله سخر لكم ما في الارض وجعل ما في السما كرامة فالله احق

الا

الا ترد عليه كرامته فما بال بعض الاشيا حلال وبعضها حرام ما بين البقة
الى الفيل حلال قالوا صدقت وهذا محض الجراة على الله والافترا على الشرايع
ولم يعترض قط احد من المتفقهة حين الى مثله ويلزم عليه ان يكون كل من اراد
ان يشرع شرعا شرعه فيكون العقلا كلهم شارعين ويستغنى عن رسل رب
العالمين وهذا غاية الكفر والضلال وهو لازم على مذهب اوليك الجهال
فقد ظهر من هذا الفصل انهم لا يستندون الى شي وانهم ليسوا على شي

الفصل الثاني اريد ان ابين في هذا الفصل انهم يخالفون كتبهم
ولا يعملون بمقتضاها بل يتركون العمل بها ابدا ويتعولون تاويلها
وذلك ان الله تعالى حرم في التوراة اكل الميتة والدم والخنزير والنطيحة
والموقوذة والمنخنقة والمتردية والشحوم التي تختلط باللحم والاسد والذيب
والدب والكلب والفرس والحمار والبغل وكل دابة ليست مشقوقة الحافر
ومن الطير البازي والعقاب وكل طير يسعى بالمخالب ومن حيوان الما كل
حوت ليس له شعاق كذا وقع في كتبهم ومنع حرث الثور مع الحمار وحمل الحمل
على الكبير والحمير على الرماك وطبخ الجدي في لبن امه واخذ الطير في اعشاشها
مع افراخها واكل الجرادة الملتصقة راسها واكل الخبز المختمر في الفصح ولا تقرب
قربان الا خبز فطير ومنع شحوم البقر وشحم الشاة ومنع قربان الحمام واليمام
فهذه المذكورات كلها محرمة بنصوص التوراة التي لا تقبل التاويل اذ قد
عملت انبيا بني اسرائيل على مقتضاها ولم يغيروا شيا منها وكذلك عيسى
عليه السلام لم يغيرها عن مقتضاها ولا نسخها بل اقرها وامر بالعمل بمقتضاها
وان ادعوا نسخ شي منها طالبناهم بدليل النسخ ولا يجدون سبيلا الى ذلك
ومع ذلك فتركوا العمل بما امر الله به وارتكبوا ما نهى الله عنه ولقد وقفت
على بعض كتبهم في الفقه فذكر هذه المحرمات مولفه ثم تاولها بزعمه وانا الان اذكر
ما ذكر في ذلك الكتاب ليقضي العاقل من تواقحهم وجهلهم العجب العجاب
وليعلم انهم يفترون ويكذبون على رب الارباب قال ذلك الجاهل بعد ذكر
المحرمات فهذه امثلة ضربت في التوراة التي هي ام الانجيل واول الكتب

كلها تفسير المسيح سيدنا في الانجيل حيث قال لم ات لنقض الكتاب بل لتمامه
فتمام الكتاب التاويل فاما منعه الميتة في التوراة فانما يعني بذلك الا
تميتوا الاحيا ولا تعموا الحق في الشهادة ولا ترفع الطعام ومنعه السايل
والجايع واما الميتة والمنخنقة فان اكلها غبطة لذي عقل فمن شا اكل ومن
شا ترك واما الدم فيعني به الا تقتل احدا ربا وتهريق دمه وعني
بالخنزير الزنا والكفر بالله اذ المعروف من الخنزير الانبطاح في المطاير فنهانا
عن فعله واما اكله فما فيه منفعه ولا مضرة فمن شا اكله ومن شا تركه
وعني بالنطيحة الا تناطح ملك جبار وفقير مسكين وعني بالموقودة الا تزدري
بمن هو تحت حلم غيرك وعني بالمنخنقة الا تخنق احدا اذا كان لك قبله
فتضغطه وعني بالقردة الا تحكي احدا فيفعل كفعلها وعني بالدب
والدب الا تاكل مع غيرك بالمبهم والعاده وعني بالارانب الا تفعلوا فعل
الارانب فتكونوا مثل قوم لوط فان الارانب الذكور ياتي بعضها بعضا
لكثرة شهوتها وعني بالبازي والسدايق والعقاب وكل طير ينبغي بمخلبه
ان لا تقتل احدا ولا تهريق دم احد ولا تغلب احدا على متاعه ولا تجحد
جارا فتفعل كفعلها وعني بالدابة التي ليست مشقوقة الحافر الكفرة
الذين يعبدون الاوثان ويسمحون لها ايام حياتهم ولا يقسمون
ايامهم مشاطرة وعني بالحوت الذي ليس له سفاسق الانسان المذبذب
الذي يتلون في دينه وعبادته وعني بحرث الثور مع الحمار الا نشارك الكافر
وعني بحمل الجمل على الحمير والحمير على الجمل الا تتزوج الكافر مومنة ولا المومن
كافرة وعني بالجدي في لبن امه الا تاخذ مال اليتيم ظلما وعني بالملتصقة
الرئة الانسان الحسود المحسود الذي يوسوس الشر في صدره طول
حياته وعني بالخنزير المختتم الا نستحسن الشيطان ونبهج فيما الكبريا وعني
بالقطير ان تكون اعضا ضامره بلا انتفاخ وعني باليمام والحمام
المومنين الذين جعلوا انفسهم لله قربانا فهذا هو المراد بتحريم هذه
الاشيا واما تلك المذكورات باعيانها فمن شا اكلها ومن شا تركها هذا

مذهب

مذهب النصارى اجمعين ولا يا باه منهم احد الا الاقلين فينبغي لنا ان نوبخ
هولا الجاهلين ونعرض عليهم من الالزامات المفحمة ما كانوا عنه معرضين
ونقول لهم ما الذي حملكم على ان حرفتم كتاب الله وغيرتم شرع الله فاحللتم
ما حرم عليكم من غير دليل وصرتم الى تاويل لم تضطركم اليه ضرورة عقل
ولا معارضة قول رسول فيا للعجب ما اشبه اذهانكم واصح اذهانكم اذ
قد فهمتم من كتاب رب العالمين ما لم يفهمه احد من النبيين بل قد زاد فهمكم
على فهم موسى بن عمران وعيسى عليهما السلام اذ كانا قد عملا على تحريم
ما فهمتم انتم تحليله من الاحكام وعلى ذلك عملت بنو اسرايل مده مديدة من
الاعوام حتى الى زمن بولس المفسد لدين المسيح الذي جاكم بكفر خالص
وكفر صريح فتلقيتم منه بايمانه ولم تعرفوا شانه فحرفتم كتاب الله تحريف
والحرفتم عن دين المسيح حين انحرف الدين الذي لم يروا منه اثرا ولا سمعتم
له خبرا ثم نقول يا معشر المحرفين لكتاب الله اخبرونا هل كان موسى ابن
عمران وعيسى بن مريم ومن بينهما من انبيا بني اسرايل علموا من تلك
الاحكام ما علمتم انتم ام لا فان كانوا قد علموا فما بالهم نصوا على خلاف ذلك
وحكموا بتحريم تلك الاشيا فلم يرو لفظا عن واحد منهم انه اكل الخنزير ولا ميته
ولا دما ولا اشيا مما ذكر تحريمه وانتم تقولون بذا وتساعدون عليه فكيف يمتنعون
من اكل ما يحل لهم ثم تصرحون بتحريمه فعلى هذا انهم كذبوا على الله ولبسوا في احكام
الله اذ كانوا قد علموا تحليل تلك الاشيا ثم صرحوا بتحريمها والنهي عنها وان لم
وان لم يعلموا اشيا علمتموه انتم فمن اين علمتموه انتم اشافهتكم بذلك الملايكة
او ارسل اليكم بذلك رسل اخر او خلق لكم بذلك علم ضروري وكل ذلك لا تقدرون
على ادعايه فلم يبق الا انكم جاهلون بشرع الله تحرفون كتاب الله متقولون
على الله كاذبون عليه ومتهاونون برسله ومستخفون بين يديه ويسيلكم عما
افتريتم عليه فيحيط بكم النيران ويجركم على وجوهكم اليها ملايكة غلاظ شداد
لا يطيقهم انسان ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسوده اليس
في جهنم مثوى للمتكبرين فتنادون اذ ذاك باستغفار ولسن استطرمنا فما

منا الا منحرف عاطش فيقال لكم هو اسفل سافلين فمصيروا اليه اجمعين
فاذا اجتمعتم معه لعن بعضكم بعضا وجحد بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم
من ناصرين ثم نقول لهم ان جاز ان تتاول الفاظ الشارع وكلماته من غير
ضرورة داعية الى ذلك ورفع النصوص بالتحكم فبطلت الكتب كلها
والالسنة ولم يقدر احد ان يفهم منها شيا اذ كل لفظ يتكلم به متكلم يمكن صرفه
عن بابه وعن موضوعه الاصلي ونصابه واذا امكن ذلك لم تقدروا ان
تثبتوا نبوة عيسى على اليهود بحال منكم فان انص ما عندكم من كلام الانبيا
على ثبوته قول يعقوب لا ينقطع نصيب الملك من نسل يهودا حتى ياتي
المسيح فمسوغ لليهودي ان يقول انما اعني بالملك دينهم الذي ورثوه عن
كتابهم وانبيايهم ولم اعن الملك الذي هو الامارة والولاية وقد يسمى الدين
الملك وقد جا في التوراة حيث قال الله لابرهيم الملوك من صلبك
يخرجون وانما اراد بذلك الانبيا واهل الدين ولم يرد بذلك الامرا فقط
فعلى هذا التاويل يحاكم اليهود ويقولون لكم هذا ديننا ولم ينقطع فانا نقيم
التوراة واحكامها فلم يات بعد المسيح وهذا التاويل في هذا الموضع اسوغ مما
تاولتم انتم به احكام التوراة فان انكرتم هذا التاويل انكروا تاويلكم ونشهدوا
عليكم انكم غيرتم كتاب الله وحرفتموه هذا ما جا عليكم تاويلكم اذ قد سلكتم
في مسيحكم فيمن مثلكم يضرب المثل بذلك وكما يقول نعم ولو شينا لابدينا
لكم من التاويلات وارينا كم من المناقضات اكثر من هذا لفعلنا ولكن منعنا
من ذلك ما قدمنا ولا يصح ان يقول قايل منهم ان تحريم هذه المحرمات كلها
التي ثبتت في التوراة نسخ بقول عيسى في الانجيل ليس ينجس المرء
ما يدخل فاه وانما ينجسه ما يخرج من فيه لانا نقول قول عيسى هذا اذا لم
يعلم مفهومه يعني التنجيس لا يعني التحريم اذ هما حكمان متغايران مختلفان
وان الحكم بتحريم هذه المذكورات انما يرجع الى منع اكلها ثم يجوز ان يتناول
بالاخذ والاعطا وانواع من التصرفات كما نقول في الحمار الاهلي والبغل
فانه يحرم علينا اكله ويحل لنا تصريفه في انواع من المنافع غير الاكل والحكم

بالتنجيس

بالتنجيس انما يرجع لمنع التناول مطلقا اعني يمنع فيه الاكل والتصرف
هذا اذا كان ذلك التنجيس محكوما بنجاسته مطلقا فان حكم بنجاسته في
حال دون حال كان ذلك وصح ان يقال عليه ايضا نجس مثال ذلك ان حكم
الشرايع فان العذرة محرم علينا ان نصلي بها فلا تجوز ولا نحملها في تلك الحال
ويجوز لنا ان نتناولها ونحملها في غير حال الصلاة فقد بان الفرق ما بين الحكم
بالتنجيس والحكم بالتحريم ثم لو سلمنا انهما اسمان للتحريم لما كان لتاويلكم
السخيف معنى لطيف فلاي معنى تاولتم وقلتم ما لا يصلح حمل اللفظ
عليه ولم لم تقولوا انه منسوخ فهذا احرى وجعل لابويه الامر كان مشكلا
فانه جمع بين التاويل والنسخ وهما متناقضان فان معنى التاويل
ان اللفظ المتاول معمول به على وجه ومعنى النسخ ان المنسوخ مرفوع
الحكم على كل وجه غير معمول به اصلا فقد ظهر من الفصلين السابقين ان هولا
القوم متحكمون باهوايهم في دين الله تاركون للعمل بكتاب الله وسنة
رسول الله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل
لهم مما يكسبون وقد نجز غرضنا من الصدر فلنشرع في الفن الاول الموعود به

الفن الاول غرضنا من هذا الفن ان نجمع مسايل من قواعد ديانتهم
ونبين فسادها وانهم لم يبنوا على شي فيها بل تركوا فيها نصوص التوراة والانجيل
وعملوا بخلافها من غير حجة ولا دليل وقد كان لنا فيما قدمنا كفاية اوصلنا
من فضيحتهم وخزيهم الى اقصى غاية لكنا اردنا ان نبين خطاهم وضلالهم
في اكثر قواعد دينهم حتى يتضح للناظر انهم في جميع احوالهم واعمالهم مبطلون
وانهم من كل وجه ضالون مضلون فنقول اعلم انه لو تصفح جميع
ما ينتحلوه من اديانهم لوجد مبنيا على مثل ما تقدم من هذيانهم لكنا نقتصر
من ذلك على مسايل تناقضهم فيها ونبين ضلالهم وتلاعبهم بدينهم فاذا فرغنا
من هذا الغرض ذكرنا في الفن الثاني جملة من احكام شريعتنا ونقتصر
من ذلك على ما عابوه علينا منها وانما فعلنا ذلك لان هذا السايل الذي حركنا
الى تاليف هذا الكتاب هددنا بان قال في كتابه اني بعثت الى كل بلد كتابا

بنص شريعتكم وبكل ما يعرف منها من الاقاويل التي لا تقدرون على
انكارها فلو بصر الله هذا الجاهل المغالط بعيوبه لكان سترها وكتمانها اعظم
مطلوبه لكن جهل فقال، وحيث وجب ان يسجد له، فنقول يا هذا الم
تقعقع بان ان الاحد بالحنفية دين ابراهيم بدا ان، كلا والله فليس مع الشمس
سراج، ولا يستعمل المخ من السباخ، وها نحن نبتدي من المسايل بما نرى ان شا الله
مسلة في المعمودية اطبقت النصارى على اختلاف فرقهم على القول بالمعمودية
وصفتها عندهم ان الذي يريد ان يدخل في دينهم او التايب منهم يتقدم
الاقسيس اليه فيمنعونه من اللحم والخمر اياما ثم يعلمونه اعتقادهم وايمانهم
فاذا تعلم ذلك اجتمع له القسيسون فتكلم بعقيدة ايمانهم امامهم ثم
يغطسونه مرة واحدة او مرتين او ثلاثا فاذا هو خرج من ذلك الما
دعى له الاسقف بالبركة ووضع يده على راسه هكذا كانت صفة معموديتهم
قديما في الاندلس واما اليوم فلعلهم قد غيروا بعض احكامها وربما اختلفوا
في بعض تلك الاحوال وهي عندهم عبادة موكدة وقاعدة ممهدة ومن
لم يقبلها عندهم فهو كافر وليس له من ذنوبه غافر وقد كتب الاسقف لوان
الى اساقفة صقلية رسالة ذكر لهم فيها امر المعمودية وفضيلتها فقال المعمودية
هي اماتة الذنوب وقتلها وتاويل الغطسات الثلاث مكث المسيح في قبره
ثلاثة ايام والخروج من الما هو الخروج عن القبر ومنهم من تاول في هذه
الغطسات الثلاث انه التثليث الذي يعتقدون وهذا التعميد لم نجد له
في التوراة ذكرا ولم يشرعه الله قط لموسى لكن كتب النصارى في الانجيل
ان يحيى عمد عيسى بوادي الاردن فخرج منه روح القدس كالحمامة على الما
وزعمت النصارى ايضا ان عيسى قال للحواريين اذا امرتم بالاجناس
فعمدوهم على اسم الاب والابن وروح القدس وزعموا ان بطرو عمد ثلاثة
الاف رجل في يوم سعشان، وهذه المسلة عندهم ظاهرة المستند
قوية المعتمد، فانهم قد اسندوا فعلها الى الانبيا والحواريين كما تقدم ولكن مع
ذلك نطالبهم منها بمطالبات، تودن بانهم يرجعون الى الترهات،

فنقول

فنقول سلمنا لكم جدلا ما ذكرتم من استنادكم المعمودية الى ما ذكرتم لكن لم
فعلتم كما فعلها يحيى والحواريون نفعلها نحن ولعل الله تعالى خص يحيى والحواريين
بفعل المعمودية ولم يشرعها لغيرهم فان ادعوا ان الله شرعها لهم كما شرعها
للحواريين طالبناهم بالنص من كتبهم الذي من دون الحواريين التعميد ولا يجدون
شيا من ذلك ابدا ثم نقول لعل الحواريين ويحيى انما عمدوا الناس لان ماهم
كان مقدسا ودعاهم مستقبلا لكون يحيى نبيا والحواريين كذلك عندكم
واما انتم فلستم انبيا وليس ماوكم مقدسا فلستم مثلهم فكان ينبغي لكم
ان لا تعمدوا احدا لكنكم وضعتم لانفسكم شرعا بالتوهم، وزدتم فيه امورا
بالتحكم، ثم نقول سلمنا جدلا ان المعمودية شرع لكم فمن اين زدتم فيها العدد
ووضع اليد على الراس والنفخ في الوجه كما فعله بعض من مضى منكم
ولم تكتفوا من استعمالها ولم ينزل بشي من ذلك سلطان، ولا حكم بذلك
انجيل ولا فرقان، لولا محض التلاعب بالاديان، والتحكم في دين الله والخذلان،
ثم نقول هذا الما الذي تعمدون فيه اهو مقدس او غير مقدس فان كان مقدسا
فمن قدسه فان قلتم ان الله قدسه فمن اين علمتم ذلك ثم ان قلتم ذلك عورضتم
بنقيضه وقيل لكم بل نجسه الله وان قلتم نحن قدسناه قلنا فمن انتم حتى
تقدسوا شيا وهل يصلح ان يقدس من ليس بمقدس او يطهر من ليس
بمطهر بل انتم مذنبون فتتزايد ذنوبكم في كل وقت وحين فكيف تقدسون
غيركم وانتم لا تقدسون انفسكم فلبت الحجة بعضهم نقضه فحصل من هذا
ان ماكم الذي تعمدون فيه غير مقدس واذا كان كذلك فلاي شي تشترطون
في المعمودية ان يكون بالما وهلا عمدتم في البول فانه ليس بنجاسة عندكم
ولا فرق بينه وبين الما وكل واحد منهما ليس بمقدس ثم نقول زعم النصارى بجمعهم
وكتبوا في كتبهم ان يحيى عمد عيسى بوادي الاردن فنقول لهم هل كان عيسى
عليه السلام قبل ان يعمده يحيى مقدسا ام لم يكن فان قلتم انه كان مقدسا فلا حاجة
لفعل يحيى ولاي شي لم ينزل عليه روح القدس قبل التعميد وانتم تقولون انه لما
عمده يحيى نزل عليه روح القدس مثل حمامة بيضا وان كان غير مقدس فكيف يكون

من ليس بمقدس الها وابن اله وانتم تزعمون بجهلكم على اختلاف اقوالكم
انه اتحد بناسوته اللاهوت وهو في بطن امه وكيف يتحد اللاهوت بمن
ليس بمقدس وهل هذا كله منكم الا هذيان وضرب من الجدال تمجه القلوب
والاذان مسئلة في غفران الاساقفة والقسيسين ذنوب المذنبين
واختراعهم الكفارة للعاصين اعلم ان هولا القوم وضعوا لانفسهم قوانين
تواقفوا عليها وارتبطوا بها من غير ان يشهد بصحة تلك القوانين شاهد من توراة
ولا من انجيل فمن خالفها عندهم سموه خارجيا تارة وكافرا اخرى والخروج
عن تلك القوانين هو الذنب عندهم ثم تلك الذنوب منقسمة الى
ما لا يغفرونه والى ما يغفرونه فاذا غفروا ذنب واحد منهم ادخلوه الكنيسة
وقبلوا قربانه واذا لم يغفروه له ابعدوه عن مجالسهم وطردوه وهولوا
عليه ولم يقبلوا قربانه ولابد للذنب المغفور من كفارة وتلك الكفارات
بحسب ما يظهر لاقستهم ويرونه موافقا لغرضهم فتارة يوجبون عليه خدمة
الكنيسة وتارة لا يدخلها بل يقف عند بابها مدة لا وربما يبقى على ذلك
اعواما عديدة وتارة يوجبون عليه مالا فاما لملكهم واما لهم ولكنايسهم ولا
بد من بيان ذلك بالامثلة على ما وجدنا في كتبهم ولنذكر من كل مسئلة
مثالا لئلا يطول الكتاب وانما ننقل الفاظهم من كتبهم لئلا يتقول متقول
علينا بالباطل او يظن بنا الجهل بمذهبهم او ينسبونا الى الكذب في شي ما حكيناه
عنهم مثال القسم الاول العابثون بالصبيان لا يغفرون لهم بوجه
ولا يعطونهم قربانا ابدا ولا عند وفاته على هذا اجمع اساقفة طليطلة في
ولاية الملك وقالوا دعا هذه الفاحشة المنتنة ان يحكم باجمعنا ان كل
من اتى هذه الفاحشة او فعل به ورضي منه فان كان راكب هذه
الفاحشة اسقفا فليعزل ويبعد بعدا شديدا ابدا وان كان من غيرهم
فلينكل نكالا شديدا ويضرب الفاعل والمفعول مائة سوط وينفيان
النفي الدائم ولا يعطيهم احد من الاقسة توبة ومن اعطاها لهم وتقبل قربانهم
عزل وابعد ولم يعطاهو توبة ايضا واغرموه خمسة ارطال ذهبا هذا قانونهم

الاول القديم ولا ادري ما احدثوا الان اذ الاحداث عندهم في كل زمان
ومثال الثاني نكاح القرابات وذلك ان نكاحهن حرام بنص التوراة زعموا
فان نكح رجل قريبته الى سبعة بطون فان اصر على ذلك فلا يغفر له ولا يعطى
قربانا وان مات وان اقلع عنها حرم القربان خمسة عشر سنة وكلفوه اعدادا
من الصلوات ومن العبادات وربما زادوا عليه فكملوا له عشرين سنة وربما بلغه
بعضهم خمسا وعشرين وذلك بحسب سنه عندهم فاذا كان بعد ذلك قبلوا
توبته واعطوه القربان واما المراة فعند ابوان يعطوها القربان الا عند وفاتها
واما الذي ياتي البهيمة فان كان له زوجة لم يعط القربان الا بعد ثلاثين سنة
وان لم يكن له زوجة فبعد خمسة وعشرين سنة ومثال ما يغرمون الاموال
ان من تزوج من غير بركة القسيس فانه يغرم للملك مائة دينار ويضرب
الزوجان مائة سوط وقد حكموا على قاتل عبده بحرمان القربان عامين وعلى قاتل
العمد غير عبده بحرمان القربان وبخضوعه عند الكنيسة الى اخر وفاته واما قاتل
الخطا فقانونهم الاول يقضي بان يحرم القربان سبع سنين والقانون الثاني
يقضي بان يحرم خمس سنين وعلى الجملة فهذا بابهم وتحكماتهم اكثر من ان تحصى
ومن اطلع على كتب فقههم راى فيها غرايب وعجايب ومقصودنا التمثيل
وقد حصل والحمد لله فنقول من وقف على هذه المواضع وامثالها لم يشك
في ان القوم يضعون احكاما ويخترعونها ويلتزمونها ولسنا ننكر ان الشرايع
لو جاءت بمثل هذه الكفارات والتحكمات لقبلناها والتزمناها وانما ننكر
عليهم ان يجعلوا انفسهم شارعين وينزلوا انفسهم منزلة رب العالمين
فانه انما ينبغي الحكم والتحكم له اذ له ان يفعل ما يريد ويحكم ما يشاء في العبيد
واما الانبيا فلا يحكمون من عند انفسهم وانما يبلغون احكام الله ثم العجب
من ذلك كله جراتهم على الله واستهزاؤهم بكتاب الله فان هذه الذنوب التي
تقدمت ذكرها قد شرع الله احكامها في التوراة نصوصا وبين حدودها فجعل
في اكثر تلك المواضع القتل ولم يحكم فيها بشي مما اخترعوه وليس في انجيلهم
ايضا من هذه الاحكام شي وعند هذا يتبين انهم خالفوا كتاب الله وتركوا سنة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكموا في ذلك باهوايهم وتركوا سنن انبيايهم
فحقت عليهم لعنة الله ابد الابدين وغضبه الى يوم الدين فان قالوا ان تلك
الاحكام التي في التوراة منسوخة بكتابنا وعلى لسان مسيحنا قلنا لهم
ياتوا برهانكم ان كنتم صادقين بل نقول ان عيسى عليه السلام جا متمما لاحكام
التوراة ولم يجي مغيرا لها ولا ناقضا لها وبذلك نقلتم في انجيلكم ان عيسى قال
انما جيت متمما ولم ات لنقض شريعة من قبلي وهذا خلاف ما يدعونه من النسخ
بل نقتضي هذا الحكم ظاهره انه لا ينسخ شريعة من قبله وانما يوضحها ويحيي
ما اميت منها ثم لا يبعد ان ينسخ بعض احكام التوراة وغاية ما يوجد له
من النسخ قوله قد علمتم انه قيل للقدما من فارق امراته فليكتب لها كتاب طلاق
وانا اقول من فارق امراته منكم فقد جعل لها سبيلا الى الزنا ومن زوج مطلقة
فهو فاسق ثم قال اما بلغكم انه قيل للقدما العين بالعين والسن بالسن
وانا اقول لكم لا تكافوا احدا بسيه ولكن من لطم خدك الواحد فاعطه الاخر ومن
اراد نزع قميصك فزده رداك فمثل هذا يمكن ان يقال فيه انه نسخ واذا بحث
عن كتابكم كما يجب لم يوجد ابعض من هذا على النسخ فمن ادعى منكم ان شيا
مما ذكر في التوراة تحريمه منسوخ فعليه ان ياتي بناسخ يشبه هذا القول فان لم ياتوا
بشي دل على انكم متحكمون هالكون مطالبه وهي انا نقول لهم لاي معنى حرمتم
من نكح قريبة خمسا وعشرين سنة القربان وحرمتموه من نكح بهيمة ثلثين سنة
ولو عكستم ذلك لكان اشبه فان نكاح الادمية القريبة اشنع من حيث انها محترمة
من نكاح بهيمة لا احترام لها وكذلك نعكس عليهم كلما ذكروه حتى يتبين فساد
قولهم ونقول لهم ايضا لاي معنى لم تجعلوا مكان الثلثين ثمانية وعشرين
او اثنين وثلثين ولاي معنى خصصتم هذا العدد دون غيره وعند هذا يتبين
بطلان تحكمهم وفساد رايهم وكذلك نقول لاي معنى شرعتم في العاب
ماية سوط ولم تشرعوه في من نكح قريبة مع ان التوراة قد امرت بقتل كل واحد
منهما فكان ينبغي ان تسووا في الحكم بينهما فاما ان تضربوا كل واحد منهما ماية
سوطا او لا تضربوهما فظهر من هذا انكم تركتم حكم التوراة ثم لم تعدلوا فيما حكمتم به
ثم

ثم من اعظم تواقحكم انكم سهلتم الفواحش على انفسكم وصعبتموها على
غيركم فحكمتم على الاسقف الذي يعبث بصبي بان يبعد فقط وعلى غيره بان
يبعدوا او ينكلوا ويجلدوا اذا فعلوا تلك الفاحشة ولو عكستم ذلك لكان اشبه
فان التغليظ على الايمة مناسب لحالهم فان المعاصي تقبح من جهتهم اكثر مما تقبح في حق
غيرهم فان كلام النبوة ان اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله بعلمه ومن كلام
الحكمة حسنات الابرار سيات المقربين ثم هذا المعنى معلوم من عادة
الملوك فانهم يعاقبون وزراهم والوقافين على روسهم ويواخذونهم على امور لا يحسن
منهم ان يواخذوا بها سايس الدواب بل لكل مقام مقال ولكل عمل رجال وكيف
لا يصح المعاصي في حق الايمة والاساقفة وقد نزلوا انفسهم منزلة الانبيا
حيث شرعوا الشرايع وتحكموا بوضعها بل نزلوا منزلة الكلف العاقر الذي له
الخلق والامر فانهم قد قالوا للعوام ان غفراننا لكم غفران الله وحرماننا لكم حرمان
الله فاذا اعطينا نحن القربان فقد قبله الله واذا لم نعطه لم يقبله الله واذا
غفرنا نحن الذنب فقد غفره الله فان غركم الشيطان وقد فعل بان يقولوا ان لنا
لاجل القسيسية منزلة وحظوة فاعملوا العمل شريعتكم لاجل ما لكم عند الله
من الفضل ولا تحرموا على انفسكم شيا من الفواحش وقد سمعنا هذا النوع عن
بعض اقسة ادعون فعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم نقول لهم يا معشر الاساقفة
الجاهلين والقسيسين المضلين من انتم حتى تكونوا شارعين اامنتم عقاب
رب العالمين احصلتم على رضاه اجمعين بل ينبغي ان تحققوا انكم في العذاب خالدين
حيث كفرتم رسالة سيد المرسلين مع ما دلت عليه الشواهد والبراهين فلقد صدق
الله وهو اصدق القايلين حيث قال مخبرا عن الاحبار والقسيسين وقالت
اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق
يغفر لمن يشا ويعذب من يشا ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه
المصير مسيلة في الصلوة وقولهم فيها لا خلاف عند النصارى ان انكار صلب
المسيح كفر بل ومن شك فيها فهو كافر وانا الآن اذكر كلامهم في الصلوة وفي
معناها عندهم قالوا الكلمة هو الله وهو مخلوق من طريق الجسم وخالق من طريق

النفس وهو خلق جسمه وهو خلق امه وامه كانت من قبله بالناسوت
وهو كان من قبلها باللاهوت وهو الاله التام وهو الانسان التام ومن تمام رحمته
على الناس انه رضي بهرق دمه عنهم في خشبة الصليب فمكن اليهود اعداه من
نفسه ليتم سخطه عليهم فاخذوه وصلبوه وغار دمه في اصبعه لانه لو وقع منه شي
في الارض ليبست الاشيا ووقع فيها فنبت في موضعه النوار لانه لما لم يكن في
الحكمة الازلية ان ينتقم الله من عبده العاصي ادم الذي ظلمه واستهان بحقه فلم يرد
الله الانتقام منه لاعتلا منزلة السيد وسقوط منزلة العبد اراد ان ينتصف
من الانسان الذي هو اله مثله فانتصف من خطية ادم بصلب عيسى المسيح الذي
اله منا ومعه مصلب ابن الله الذي هو اسقف الساعة التاسعة من يوم الجمعة
هذا نص كلامهم من غير زيادة ولا نقصان قال لبون الجاثليق في رسالته لليون الملك
كبول اسرتنا لا يمكن ان يحل الاباء يطلع انسان من جنسنا وطبيعتنا من ضبطه
معصية الذنب على ضد ادم ومن بدمه الطاهر محو رباط الدين المهلك الذي كان
حتمه الله وقضى به منذ البدي فتم ذلك الفعل عند انقضا الزمان المحدود
وذلك ليتم الوعد الموعود ومفهوم هذا الكلام ان ذنب ادم كان في رقاب بنيه
الى ان قتل عيسى وانتقم منه لاجل ادم وحينيذ عفي عن ادم وبنيه لهذه الحكمة
كانت صلوبية المسيح عندهم يا معشر العقلا انظروا بعين الاعتبار جهل الاحبار
فلقد ارتكبوا من المحالات وقالوا من الاكاذيب والترهات مالم يقله احد من المخلوقات ثم لم يكتفوا
بهذه العظايم حتى اضافوا الى الله ولانبيايه اعظم النقايص والسمايم فسبحان في
ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد فهولا كما قال الله العظيم في كتابه
الكريم صم بكم عمي فهم لا يرجعون اعلم انا لو تتبعنا تناقض هذا الكلام واوردنا
الزامات عليه لكتبنا في هذه المسلة وحدها سفرا على ان العقلا يعلمون فساد هذا
المذهب بالضرورة بمجرد الوقوف عليه ولذلك لم يصر الى تجويز هذا المذهب السخيف
والقول القبيح احد من الامم لا من العرب ولا من العجم لا في الحديث ولا في القديم وانما صار
اليه هولا النصارى الجهال لكونهم ليسوا من العقلا بل حظهم من العقل حظ المجانين
والاطفال فكلامهم اشبه شي بكلام الموسوسين المختلطين المبرسمين ولقد

كان

كان بعضهم بالعلم من حالهم الكف عن مناظرتهم وجدالهم لكن سكوت السنة
ربما كان داعيه لتطاول السنة وقد تقدم الاعتذار عن هذا في اول الكتاب
ولكن مع هذا لابد للمجانين من الغرايم وتعليق الاجراس والتمايم فلنورد عليهم
من الالزامات ما يبطل تلك الترهات ويبين تلك الاكاذيب فنقول قد ذكرنا فيما تقدم
ان امر الصلوب انما شرعها لهم قسطنطين بن هلاني الملك وهو الذي شرعها وكتبها
لهم في الانجيل ليوغر صدور عامته ورعيته على اليهود وانه احتال عليهم بالرويا
التي اخترعها ليتم له مراده منهم ولم يكن عنده من امر عيسى الا حس حمل لم الخلف
لهم في شانه امورا بالصلبة هي محال في نفسها لكنها مهولة على العامة الرعاع
كقولهم في الالتحام وهو ان لاهوت المسيح لم يدركه الم الصلب والاهانة وانما
ادرك ذلك لحمته وكاطلاق لفظ الطبيعيين على لاهوته وناسوته الى ما عندهم
من الهذيانات التي هي محال بالضرورة وقد قدمنا في ذلك ما يغني عن اعادته ثم
اعلم ان النصارى يدعون ان اليهود قتلت المسيح عيسى يقينا وان اليهود
يدعون انهم قتلوا رجلا ادعى نسخ التوراة بعد ان ادعى النبوة ولم تقم عليها
شاهدا ونحن ندعي ان عيسى بن مريم عليه السلام لم تقتله اليهود ولا غيرهم بل رفعه الله
اليه من غير قتل ولا موت ونحن نبين ان الفريقين في شك منه وغير عالمين بشي
مما يدعونه في صلبه فنقول ان مستند النصارى في قولهم بالصلب انما هو الانجيل
وقد بينا فيما تقدم انه قابل للتحريف والتبديل وقد ارينا فيه التناقض والتحريف
عيانا واوضحنا على ذلك برهانا مع ما قدمنا من ان نقله ليس نقلا متواترا
يفيد العلم بل انما نقله من باب اخبار الاحاد التي لا يحصل بها العلم وهذا يكفي
في انهم ليسوا عالمين بشي مما تضمنه ولو سلمنا انه متواتر يحصل بنقله العلم
لقلنا ان الاخبار التي فيه تتضمن الصلب لا تنص نصا قاطعا لا شك على ان
المصلوب هو المسيح بعينه بل هي محتملة لان يكون المصلوب غيره ولم تتفطن
النصارى لغباوتهم لوجوه الاحتمال ونحن نسرد نصوصهم في اناجيلهم ونبين
ذلك ووجه الاحتمالات فيها ان شا الله مستعينين به ومتوكلين عليه قال
متاوش في انجيله ووقف على المسيح يهودا احد الاثني عشر ومعه جماعة برماح

وعيسى وكان يعلمهم قواد القسيسين واكابر بني اسرائيل وكان يهوذا قد قال
لاولئك الاعوان من ثلاثة من الجماعة فهو المراد فاحبسوه وفي ذلك الوقت دنا
يهوذا الى ناشوا وقال السلام عليك يا معلم فقال له يا ناشوا يا صديق لم اقبلت
هنا فعند ذلك تعلقت الجماعة به وحبسته زاد مارقس انهم لما قبضوا
عليه تخلى عنه التلاميذ وهربوا عنه فاتبعه شاب عريانا وهو ملتف في ردائه
فقبضوا عليه واسلم لهم الردا ونجى عريانا زاد لوقا ان بلاطس لما اخبر انه جليلي علم
انه من طاعة هيرودس بعثه اليه زاد في انجيل يحيى ان ناشوا تقدم للجماعة وقال
لهم من تريدون فقالوا له ناشوا الناصري فقال لهم ناشوا انا هو وكان يهوذا الدال
عليه معهم واقفا فلما قال لهم انا هو قهقروا الى خلف فسقطوا الى الارض ثم
سالهم وقال من تريدون فقالوا له ناشوا الناصري فقال لهم ناشوا قد قلت
لكم اني انا هو فان كنتم انما تريدوني انا فاطلقوا سبيل هولا وذكر لوقا ان يهوذا
الدال عليه لما ابصر ما فعل به ندم ورد الثلاثين درهما على قواد القسيسين وقال
اخطا بار   ربما صالحا فقالوا له ما علينا انت ترى فالقى الدراهم في البيت
وتوجه الى موضع فخنق نفسه فهذه نصوص اناجيلهم ومستند اعتقاداتهم
ليس شي منها يدل دلالة قاطعة على ان المصلوب هو المسيح بعينه بل اذا اعتبر العاقل
تلك الحكايات المذكورة ولفق متفرقها وحقق النظر فيها تفطن لموضع الاشكال
وتنبه لمثار الشك فيها والاحتمال ونحن نبين ذلك بعون الله تعالى مما سردناه من
اناجيلهم فيه احتمالان منها ان يهوذا كذب لليهود في قوله هو هذا فان اليهود كانت
لا تعرفه ولم تاخذ الا بشهادته انه هو الا ترى ان يهوذا اعلمهم اياه بالعلامة
ولذلك يدل على ذلك سوالهم عنه وكذلك سوال بلاطس عن بلده حين اخبر انه من
جليل يدل على انه كان لا يعرفه فهذا كله يدل على انهم كانوا لا يعرفونه وانما عولوا
في تعيينه لهم على يهوذا فاذا ثبت ذلك فيحتمل ان يكون يهوذا انما اشار الى غيره لانه
كان ندم على بيعه كما تقدم نصه في كتبكم ويدل على انه تاب من ذلك وندم عليه
وحسنت توبته قول عيسى فيما زعمتم حين سلم عليه يا صديق لم اقبلت فانه كان
يكون كاذبا ولا يمكن ان يقول للكافر يا صديق فانه كذب لان الكافر عدو فيلزم هنا

احد

احد ثلاثة امور اما ان يكون يهوذا تاب في ذلك الوقت وندم على ما فرط منه
فعفي عنه وتوبته لا تصح في تلك الحال اعني حال الدلالة عليه الا بان يعدل عنه
ولا يدل عليه ولذلك فعل والله اعلم او يكون عيسى كاذبا فيما قال له حيث
اخبر انه صديق وعيسى عليه السلام منزه عن الكذب او يكون كتابكم باطلا ومحرفا فاختاروا
من هذه الثلاث واحدة ويدل على حسن توبته وصدقها انه رمى بالدراهم واعترف
بالخطيه وقتل نفسه وهذا يدل على غاية الصدق في الندم ومقصود هذا الكلام
ان يهوذا ندم على ما فرط منه فيحتمل ان يكون دل على غيره من اصحابه وان ذلك
الغير رضي بان يقتل مكان المسيح فتعرض بنفسه لليهود فاخذوه ورفع عيسى مكانه
الى السما كما رفع اخنوخ النبي وهو ادريس عليه السلام وهذا كما تقولون انتم انه
لما صلب ودفن اجتمع مع اصحابه بجليل ثم رفع الى السما فقد اتفقنا على الرفع
فانتم تقولون بعد الصلب والصفع والاهانة ونحن نجله ونكرمه عن ذلك
ونقول انه رفع من غير صلب ولا اهانة بل صانه الله من ان يظفر به عدوه واكرمه حتى
احله مكانا عليا ولو كنتم عقلا لجحدتم امر الصلبوت ولم تعترفوا بها ولقبلتم قولنا
فيها ولو فعلتم ذلك لكان اليق بكم واستر لجهلكم فانكم تريدون ان تجمعوا بين
نقيضين حيث حكمتم عليه بامرين متنافيين الالاهية والصلبوت ومنها ان يحتمل
ان يكون المسيح في الجماعة الذين اطلق الاعوان سبيلهم وكان المتكلم معهم غيره ممن
يريد ان يسمح بنفسه من الله ويقي المسيح بها فقال ذلك المتكلم انا المسيح
فحبسوه وخلوا سبيل غيره فانقلب المسيح في جملتهم ومنها ويقوي هذا
الاحتمال ان يهوذا كان واقفا ناحية ولم ينبه عليه لكونه كان نادما كما قد
تبين وبعد ذلك رفع ومنها ان اولئك الاعوان اخذوا عليه رشوة
فاطلقوه وعلى هذا يدل حديث رداء الشاب حيث قال مارقس ان الشاب اسلم
اليهم الردا لما قبضوا عليه واذا جاز ان ياخذ يهوذا الاسخريوطي وهو حواريه
على قتله ثلاثين درهما جاز ان ياخذ الاعوان على اطلاقه رداه ومنها انه
لا يبعد ان يكون الله رفع المسيح الى السما وصور لهم شيطانا او غيره بصورة
تشبه صورته فاعتقدوه انه هو فصلبوه والى هذا يشير سكوته حيث سالوه

فسكت ولم يجاوبهم وفي الوقت الذي تكلم له نزلت تلك الصورة نفسها
منزلته وهذا كله مما لا يدفعه عقل فان الله على كل شي قدير ولا يدفعه ايضا
نقل فان كان ما نقلتموه ليس نصا قاطعا ولا نقل نقلا متواترا فتحصل من هذا
انكم غير عالمين بصلبه ولا موقنين بقتله واما اليهود فليسوا ايضا عالمين بشي
من ذلك اذ لا يصدقون كتابكم وليس عندهم نقل متواتر بذلك على التفصيل
وغايتهم ان يعتقدوا على الجملة ان رجلا كان فيما مضى غير بعض احكام التورية
فشهد عليه بذلك فقتل وكتابكم يدل على انهم انما قتلوا رجلا شهد لهم فيه يهوذا
الاسخريوطي انه المسيح الذي ادعى انه ابن الله فتحصل من هذا ان اليهود في
شك منه وانكم انتم على غير علم به وهذا قال كتاب الله الناطق على لسان
رسوله الصادق وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه
لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه
وكان الله عزيزا حكيما وحين بينا انهم في شك من المصلوب ينبغي ان نتتبع
بعض كلامهم المتقدم فنقول اما قولهم من رحمته على الناس انه رضي بهرق دمه عنهم
وخشبة الصليب فنقول لهم لا نعوذ به من لم من الحيا اقل نصيب يا عجبا كيف يجتري
ان ينطق بهذه القبائح عاقل ام كيف يرضى لنفسه بمثل هذه المخازي فاضل
وهلا كان رحم عباده بان يغفر لابيهم ولا يحتاج الى هذا كله وليس كان يكون غفران
الذنب اهون عليه ابتدا واليق بالحكمة والرحمة والرافة من ان يعاقب من لم يجن ثم
ذلك المعاقب الذي لم يجن الذنب ابنه بل هو عندكم نفسه باعتبار ما حل فيه
منه فلم يرض من عقوبة الذنب الذي جناه ادم حتى عاقب نفسه او ابنه فانتم في
هذا القول الوقاح والافك الصراح بمنزلة رجل اخطا عليه عبده فبقي بعد مع
عاصيا عليه وعلى غيره من عبيده ما شاء على معاقبتهم حتى ولد لنفسه ولدا فعمد اليه
فقتله بذنب العبد الذي كان اذنب ثم لم يقنع بذلك حتى ضرب نفسه ولامها
والامها على ما صنع عبده مع انه كان متمكنا من ان يغفر لعبده ولا يفعل
هذا بولده ولا بنفسه فاي شي يحصل له مما فعل بل يحصل له كل الم ونقص
وخلل فعل السفيه الاحمق الجاهل بل يزين ذلك في ركنته ويدعو الى دوامه

وحسرته

وحسرته ويلزمكم على هذا ان يكون الله تعالى لم يتب على ادم عليه السلام الا
بعد ان صلب المسيح وذلك تكذيب كتب الانبيا فانها تقتضي ان ادم بكا على
خطيئته ودعا الى الله تعالى حتى تاب عليه واجتباه ويلزمكم ايضا عليه
ان يكون نوح وابراهيم وموسى وما بينهم من النبيين عصاة بذنب ادم
حتى صلب عيسى وحينئذ غفر لهم وقد صرح بعض اقستكم لعنه الله ان ادم
وجميع ولده الى زمن عيسى كانوا كلهم ثاوين في الجحيم بخطيئة ابيهم حتى فداهم
عيسى بهرق دمه في الخشبة فلما صلب نزل الجحيم واخرج منها جميعهم الا
يهوذا الاسخريوطي فانظر هل يستجري مجنون موسوس على ان يقول ان نوحا
وابراهيم الخليل وموسى الكليم ومن بينهم من النبيين مثل يعقوب واسحق
وغيرهما من الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين كلهم في نار الجحيم والعذاب الاليم
وفي السخط العظيم حتى صلب الاله نفسه او ابنه فانظر هل سب قط
الانبيا باقبح من هذه الشتايم او هل يجري خط احد ان يتقول على الله وعلى
رسله مثل هذه العظايم فسبحان الحليم الذي يمهلكم والكريم الذي يرزقكم
ولكن انما يعجل من يخاف الفوت او يجزع من الموت ويوم القيامة ترى
الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين ثم
يلزمكم نسبة الله تعالى الى الجور والى انه ياخذ بالذنب غير فاعله ويعاقب
على الوزر غير قابله وهذا الالزام يهون عليكم اذ ليس للاله قدر عندكم اذ قد صرحتم
بان ادم ظلمه وانه لا يمكنه ان ينتقم ممن ظلمه واستهان بقدره فيا ليت شعري
لاي شي لم يمكنه ان ينتقم من عبده العجزه عن ذلك ام لانه لا يقدر على
عقاب احد من هنالك ام لحكمة انه يعاقب غير الجاني ام الحكمة قتل ولده في جناية
عبده قاتلكم الله ما اسخف عقولكم وما ازل فروعكم واصولكم ثم العجب من
ذلك انهم يقولون الكلمة هي الله والله هو المسيح ثم يقولون انه لم يمكنه ان
ينتقم من عبده العاصي الذي ظلمه وانما انتقم من الكلمة فانظر هذا التناقض
الشنيع كيف يعتقدونه تارة انه هو فيلزم عليه انه هو المنتقم والمنتقم منه
والمعاقب والمعاقب وتارة يعتقدون ان الاهانة والصلب لم تحل

بلاهوته بل حل بناسوته وناسوته ليس باله فيلزم على هذا الآخر انه لم ينتفع
من الامثلة وكيف ما كان فالتناقض لهم لازم والمحال وهكذا يفعل الله
بالجهال اهل الضلال ثم انظر سخف جراتهم على الكذب وقولهم بالمحال من
غير سبب حيث قال فاخذوه وصلبوه فقطر دمه في اصبعه وهذا لم يرد منه
شي في كتبهم بل هو من كذبهم واختراعهم ولو كان هذا حقا لكان اول من
نقلهم حمل الصليب على عنقه وانه رفع اليه آتاخل ليشربه وكتب على
خشبته بالرومية والعبرانية والعجمية هذا ملك اليهود فهذا ولابد كذب وتوالع
فان كابروا في ذلك على عادتهم قلنا لهم فاتوا بالانجيل فاتلوه ان كنتم صادقين
ثم انظر كيف تناقض ذلك الحكم على النور في قوله لانه لو وقع من دمه
شي على الارض ليبست من انه اثر ذلك قال الا شي وقع فيها نبت منه
النور فكيف يصح في عقل مجنون واحرى في عقل عاقل ان يتكلم بمثل هذا الهذيان
او يستحل ان يتحرك له بذلك لسان فانه كذب فاسد متناقض فظهر لك
لو ان شيطانا يتقول على السنتهم وهو يريد الاضحاك بهم ما بلغ منهم اكثر
ما بلغوا من انفسهم بهذا القول السفسافي الذي اتفق العقلا على فساده
واستحالته من غير خلاف فقد جعلتم انفسكم ضحكة العقلا حيث ارتكبتم
كل قبيحة شنعا وما بالنا نطول الكلام مع من تبين عارهم ومحالهم
للخاص والعام فقدر هولا القوم عند العقلا احقر من قلامة في قمامة
واخس من بقة في حقة ولولا ان هذا بانهم ومحالهم طبق الوجود لما كان ينبغي
ان يتكلم معهم من العقلا موجود فان الكلام معهم مخل بالعقول محوج لحكاية
القبايح والفضول وقد قدمت في صدر الكتاب ما يمهد العذر ويزيل العتاب
وانا استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة من حكاية
قبايحهم واساله جزيل الاجر في آبد اغضابهم مسيلة في تركهم الختان
لا خلاف بينهم ان عيسى كان مختونا عليه السلام وان الختان من احكام التوراه
وثابت فيها وان انكر ذلك متوانع جاهل ذكرنا له نص التوراه قال في التوراه
اذا احبلت المراه وولدت ذكرا يكون نجسة سبعة ايام كما تكون ايام حيضها

وفي اليوم الثامن يختن الصبي ويكون نجسة تجلس مكانها ثلاثة وثلثين
يوما وهذا نص لا اشكال فيه ثم ان النصارى بحكمهم واستهانتهم بالشرايع
تركوا العمل بذلك من غير اصل يعتمدون عليه ولا نسخ ثبت عندهم لم
ومن ادعى شيا من ذلك طالبناه بنص من الانجيل وليس لذلك من
سبيل غير التحكم بالقال والقيل وقد وجدت في كتبهم الفقهية انهم قالوا في
تاويل الختان قولا اتوا فيه على التوراة بالباطل والبهتان قالوا انما عنى بالختان
نقاوة القلوب وصفا النية وذهاب العلوية كالذي يقول الكتاب عن اليهود
ان رقابهم قاسية وقلوبهم غلف ولذلك علمنا ان الله استقر طهورة القلب
وليس طهورة اللحم فما على الانسان ان يختن لجهة اذ لا منفعة له في ذلك
فمن شا اختتن ومن شا ترك والاحسن ان تترك الاجساد تامة غير ناقصة
كما خلقها الله عز وجل هذا نص كلامهم في كتبهم فانظر ايها العاقل ان كنت
منصفا ما الذي ارتكبوا من العظايم ونسبوا الى الله ورسله من الشتايم
فاولها انهم كذبوا على الله حيث قالوا انما اراد الله بهذا الحكم ازالة علوقية
القلوب ولو كان ذلك حقا لبينه موسى للناس ولما حاكم بالختان ولما فعله
ولما فعل يحيى وعيسى وساير الانبيا الذين حكموا بالتوراه ولم يزالوا يختنون
ويامرون بالختان الى زمن المسيح ثم ان المسيح لم ينه عنه ولا امر بتركه فهذا
على الله ورسله كذب صراح وقول وقاح وثانيها انهم سفهوا احكام الله
ورسل الله حيث قالوا لا منفعة في ذلك مع ان الله قد حكم به وشرعه وبلغ ذلك
انبياوه ورسله وعلموه الناس فكيف يجوز على الله وعلى انبيايه ان يتعبدوا
الناس بحكم لا فايدة له في الدنيا ولا في الاخرة فهذا غاية الافترا على الله
وعلى رسله ثم يلزمهم على ذلك ان يكونوا عابثين في افعالهم وان وجود
الشرايع وعدمها بمثابة واحدة وكذلك ارسال الرسل وانزال الكتب
والكفر اعظم من هذا ثم انا نبدي فوايد الختان حتى يظهر كذبهم وجهلهم وتوانعهم
لكل انسان ونقول في الختان فوايد كثيرة منها اولا انها عبادة في بدن الانسان
اذا فعلها اثيب واذا تركها عوقب على القول بوجوبه ولا فايدة اعظم من

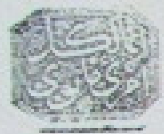
هذا وثانيها انه لا ينافي مع وجود العلفة مبالغة في النظافة ومع زوالها
ينافي ذلك وثالثها انه الذ في الجماع واسرع لمجي شهوة الوقاع ومع وجودها
يكون البعد للشهوة وقد يكون العزلة اذا طالت مانعة عن الانزال ورابعها
ان خروج الماء الدافق من غير علفة وانزعاجه اشد فان العلفة اذا طالت
ربما نقصت الشهوة من انزعاجه وعسرته واذا كان كذلك وخرج الماء فاترا
قد لا يقع في المحل الذي ينعقد فيه النطفة فلا ينعقد الولد ويكون هذا كالعزل
ومقصود الشارع في الغالب تكثير النسل فهذه اربع فوايد محققة لا يتصور
انكارها وقد لا يبعد ان يقصد الشرع بعضها او بعضها فاذا قد تبين ان النصارى
كذبوا على الله وجهلوا شرع الله وثالثها انهم تركوا حكم الله بالتحكم بل بالهوى
والتحكم وقالوا من غير حاجة للتاويل ورفعوا النص والتنزيل فهم اهل
التحريف والتبديل ثم العجب من كذبهم وظهور تناقضهم حيث حكوا
عن عيسى انه قال لم ات لانقض شريعة من قبلي وانما اتيت لاتممها
فان كان هذا القول حقا عندهم فلاي شي نقضوا شريعة من قبله حرفا حرفا
وان كان كذبا فكفاك بذلك فسادا وخلفا ورابعها انهم لما نقضوا احكام الله
فضلوا التحكم واهواءهم على شرع رسول الله حيث قال والاحسن ان نترك الاجسام
تامة غير ناقصة وهذه مبالغة في تسفيه موسى والنبيين وفي تسفيه المسيح
فانهم قد تركوا الاحسن وفعلوا الاسوا والافسد فاعتبروا حالهم فما اعجبها
وجهالاتهم فما اغربها يذمون وهم يتوهمون انهم يمدحون ويخالفون وهم
يظنون انهم يتبعون ثم مع ظهور عوراتهم لكل عاقل يتعرضون للشريعة
الصحيحة بكل جهل وباطل ويموهون بخرافات وترهات لا يلتفت اليها عاقل
يظنون ان دين الاسلام كدينهم المستند الى الترهات والاوهام التي لا يقبلها
سليم الفطرة من العوام وسنبين اصول دين الاسلام ومستنداتهم في احكامهم
بحول الله في الفصل الثاني من هذا الباب ان شاء الله تعالى مسألة في صيامهم
قال حفص بن البر منهم في كتبه وقد ساله سائل عن صيامهم فقال اول من صام
الاربعين موسى بن عمران وبعد ذلك صامها الياس النبي الذي رفعه الله في

عصر بني اسرائيل ثم من بعد ذلك صامها المسيح واما العلماء فاكملوها ثلاثة
واربعين يوما وانما هي عشر ايام السنة كما قال بولس الحواري في بعض
رسايله كما تودون العشرات من اموالكم فادوا العشرات من ابدانكم فهذا
هو الصيام المفروض اعلم يا هذا ان هذا القس الذي هو حفص هو من اكيسهم
وافصحهم على انه ليس في القوم رجل رشيد ولا ذو عقل سديد وانما كان كذلك
لانه قد ضربت عليه الجزية ولزمه الصغار والذلة اذ كان قد نشا في ذمة المسلمين
وتعلم من علومهم ما فاق به النصارى اجمعين ومع ذلك فاذا اخذ يتكلم في
علوم النصارى واحكامهم تلجلج لسانه وقصر بيانه لانه نزل على ارائهم
الفاسدة واحكامهم الباردة وهل يصلح العطار ما افسد الدهر
تبين لك هذا ان كلامه في هذا الفصل فاسد واحتجاجه بارد وذلك
انه ادعى ان صوم الثلاثة والاربعين واجب وحين اخذ يستدل على وجوبها
استدل على وجوب الاربعين ثم اخبر ان علماءهم زادوا من عند انفسهم ثلاثة
ايام فنقول له ولهم هذه الثلاثة الايام التي ادعيتم وجوبها هل علم موسى
وعيسى ومن بينهم من الانبياء انها من فروض الصيام او لم يعلموا فان كانوا
قد علموا فلاي معنى لم يبلغوا ولم يسموا ولزم نقص الانبياء من وجهين
من حيث انهم لم يصوموا ما هو فرض الله ومن حيث لم يبلغوا الشرع وذلك
محال عليهم وان كانوا لم يعلموا وجوب هذه الايام الثلاثة فمن اين علم
الجهال امثالكم وجوبها والاحكام انما تستند الى اقوال الانبياء وكتبهم فان
قالوا اوجبها بولس الحواري قلنا ذلك هو الذي افسد عليكم اديانكم واعمى
بصايركم واذهانكم ذلك هو الذي غير دين المسيح الصحيح الذي لم تسمعوا له بخبر
ولا وقفتم منه على اثر على ما تقدم هو الذي صرفكم عن القبلة وحلل لكم كل محرم
كان في الملة ولذلك كثرت احكامكم عندكم وتداولتموها بينكم ويدلك على
على ذلك انك اذا سمعت له قولا في حكم فتكاد لا تجد الا مغيرا للاحكام المتقدمة
مخالفا لها فتارة يزيد واخرى ينقص ليعرف هذا من وقف على كتبهم وعلى
ما ينقلون عنه ثم لو سلمنا انه لم يفعل شيا من ذلك لما كان ينبغي

لكم ان تاخذوا بقوله وتتركوا فعل موسي وعيسي والياس وقولهم وهل
فعل ذلك الا جهل لا ينبغي ان يصار اليه ولا يلتزمه احد حكا عليه فان المطلعين
عن امه المثبتين شرع الله انما هم موسي وعيسي ومن نزل منزلتهم
وباتفاق منكم ان بولس ليس منزلا منزلة موسي ولا منزلة عيسي وغايته
اذا سلم ما ذكر عنه في كتب التواريخ ان يكون حواريا لم يكثر صحبته لعيسي
بل صحبه اياما قلايل بدعواه وليت صحبته للصحبة مبح ولا لحا ولا لاحد
من الاحد عشر حواريا ثم لو سلمنا انه صحبه صحبتهم فلعله ارتد بعد رفع عيسي
كما فعله الاسكوريوط بزعمكم ثم لو سلمنا انه لم يرتد فمن اين يلزم اتباع حكمه
ولاسيما اذا غير الاحكام المتقدمة وحكم بخلافها وليس بنبي ولا رسول
فان قلتم انه نبي فقد قدمنا ما يكذب قولكم ويرد عليكم زعمكم فقد تبين من هذا
ان حفص بن البر علي جلالة قدره عندهم قبل ما كان ينبغي له ان يرده ورد ما كان
ينبغي ان يقبل فانه رد فعل موسي وعيسي والياس وقبل قول عامة
الناس فهو وهم من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولو تتبعنا احكام صيامهم لظهر لنا
فيها كثير من هذيانهم فلناخذ من كل باب سبله واحدة بحول الله وحسن
عونه مسئلة في اعيادهم المصانه قال حفص اما بعد فان الذي اردت
علمه من الاعياد السبعة التي امر القانون بصيانتها فهي معروفة فاول يوم
منها اذ بشر جبريل الملك مريم بالولادة للمسيح والثالث الي ثمانية ايام والرابع
اذ ظهر للمجوس واهدوا اليه ذهبا ولوبانا ومرا وهو يوم النجم والخامس يوم
الفصح اذ قام عن القبر والسادس اذ خطفته السحابة ورمي الي السما
بمحضر الحواريين والسابع اذ نزل روح القدس علي الحواريين وتكلموا بجميع
الالسن واما غيرها من الايام التي استشهد فيها الشهدا او يصومها الناس
ويتصدقون فيها علي المساكين والضعفا فواجب علي كل من يحتفل بصومها
اما في مدينة واما في قرية فنقول لهم هذه الايام المصانة عندكم هل
صيانتها عندكم واجب بالشرع او ليس واجبا بالشرع فان قالوا ليس

واجبا

او نحوه



واجبا بالشرع قلنا لهم فلاي معني تعظمونها وتلتزمون صيانتها حتي ان من
كان في قرية او في موطن لا ينبغي له ان يرحل عنه حتي يتمها فقد التزمتم ما ليس
بلازم واوجبتم ما ليس بواجب وان قالوا هي واجبة بالشرع قلنا لهم باي
شرع وجب بشرع موسي او شرع عيسي فان قالوا بشرع موسي كذبوا وقلنا
لهم فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ولا شك في انهم لا يجدون شيا
منها في التوراة ولا في الانجيل وغايتهم ان يقولوا ما قال عالمهم حفص هذه
ايام شريفة لانها اتفق فيها امور شريفة من احوال المسيح فنقول لهم هب
انه اتفق ما تقولون فمن اخبركم من الانبيا انه اذا اتفق امر من تلك الامور
فافعلوا كذا واصنعوا ذلك اليوم عيدا او في كتاب من كتبكم وجدتموه
ولا شك انهم لا يجدون شيا مما ادعوه فلم يبق لهم الا محض التحكم ثم نلزمهم
علي مساق هذا ان يبحثوا عن ايام عيسي وعن عددها ويتخذوا تلك الايام
اعيادا فان ايامه كلها ومحاضره كانت شريفة اذ كانت ايامه لا تخلو عن كرامة
يكرمه الله بها وعن بركة من بركاته وعن معجزة من معجزاته فلاي معني
خصصتم تلك الايام لولا محض الهوي والتحكم الباطل ثم نقول لهم هل كان
عيسي يعلم فضيلة هذه الايام او لا يعلم فان كان يعلمها فلاي معني لم
يفعل فيها ما تفعلون ولاي معني لم يبين شرعه فيها لو كان له فيها شرع
وان لم يعلم فضلتها فكيف لم يعلم هو ما علمتم انتم ثم كيف يجهل شيا
علمتموه انتم وهو عندكم قد ادعيتموه علم الله فحصل من هذا انها ليست فاضلة
ولا لله فيها حكم اذ لو كانت فاضلة لله فيها حكم لعلمها ولو علمها لبينها فلما
لم يعلم ولم يبين علم انه ليس لله فيها شي مما اخترعتموه لكنكم تحكمتم
باختراع ما جعلتم وشرعتم ما لم يشرع لكم نبيكم فان قالوا هذه ايام اتخذناها للفعل
الخير فنتصدق فيها علي مساكيننا ونطعم فيها جياعنا وهذه افعال خير وبها
جات الشرايع كلها قلنا لهم لا ننكر ان الشرايع جاءت باعانة المساكين لكن لم
خصصتم لها اياما بالتحكم ثم اوجبتم صيانة تلك الايام ولاي شي لم تقولوا
انه ينبغي اطعام المساكين ابدا او سد خلاتهم حتي ما ظهرت ولم تحتجوا الي

وضع الاحكام بالتوهم ولو كنتم موفقين لسلكتم مسلك اتباع المسيح تفعلون
ما فعل وتتركون ما ترك ولو فعلتم ذلك لكان موافقا للتعظيم ولو فرضنا
عبدين امرهما سيدهما بالاقتدا به وباتباع سنته فاخذ الواحد منهما يقفو اثر
سيده في افعاله لا يزيد فيها ولا ينقص منها بل هو مواظب عليها غير خارج عنها
ولا زايد فيها وهو مع ذلك معتقد لتعظيمه محب له واخذ الاخر يزيد تارة في حكم
وينقص تارة من حكم وهو مع ذلك معظم لسيده فلو فرضنا ان السيد قال للاول
ما صنعت فيما امرتك فقال له لم ازد على ما رايتك تفعل ولا نقصت لاني خفتك
وايضا فاني احبك واخشاك فاحببتك واحببت فعلك الذي رايتك تفعله
فلا شك ان العقلا يستحسنون هذا الفعل ويرون ان هذا العبد في اعلا درجات
العقل والطاعة لسيده والمحبة له والتعظيم وان مثل هذا ينبغي للسيد ان
يختصه ويثيبه واما الثاني فاذا قال له سيده ما فعلت فيما امرتك
فيقول فعلت ما رايتك تفعل وما امرتني الا اني زدت افعالا لم تامرني بها
ونقصت ايضا فاني تركت افعالا رايتك تفعلها فيقول له لاي شي
زدت ما لم امرك به ونقصت مما رايتني فعلته فلا يصح له ان يقول لاني عظمتك
واحببتك فان هذا لا يناسب تعظيمه ومحبته بل يناسب بغضه واهانته
فلا شك ان العقلا يحكمون ان مثل هذا العبد لم يطع سيده في جميع
ما امره به وانه كاذب في تعظيمه ومحبته وانه مستوجب لنكال سيده وهذا
المثال الاخير هو مثالكم مع المسيح فانكم تزعمون تعظيمه وتخالفونه في افعاله
وتزيدون عليه في احكامه فانتم مستحقون لتوبيخه وعقاب مرسله
وسيجمعكم مع من شرع لكم هذه الاحكام نار حامية تسمى الهاوية

مسيلة في قربانهم قال حفص اعلم ان النبي اردت معرفته من خبر القربان
وشرحه فان الانبيا وبني اسرايل كانوا يقربون القربان على ما تحكيه
التوراة العجول والجزور والخرفان فاما ملك صدق فانه اول من قرب القربان
من الخبز والخمر وكان قسيس الله العلي واليه ودى ابرهيم العشرات المفروضة
وقد حكى داود النبي في الزبور خبر ملك صدق اذ بشر بالمسيح سيدنا وانزله

بمنزلته

بمنزلته واحله محله وجعله قسا في الابد فقال الرب اقسم يمينا ليس
تندم انت ابدا قسيس في خط القسيس ملك صدق فاما الحواريون
واتباعهم فانهم فرضوا هذا القربان الذي يقدسه الاساقفة والقساوس
على المذبح من الخمر والخبز على ما تقدم من فعل ملك صدق وكما قال المسيح في
الانجيل من اكل لحمي وشرب دمي كان في وكنت فيه وانا الخبز النازل من
السما من الكلي بحاي انظر ما اعجب حال هولا في تركهم شريعة التوراة
في القربان وعدولهم عنها الى ما هو ضرب من الهذيان وذلك ان الله افترض القربان
في التوراة بالعجول والجزور والخرفان كما ذكر وعملت بذلك بنو اسرايل من غير
تغيير ولا تبديل الى ان جا هولا المغيرين لاحكام التوراة فغيروا وبدلوا
وعدلوا الى الخبز والخمر من غير ان نسخ لهم عيسى شيا من ذلك ولا بدله بغيره
لكنهم يكرهون العمل باحكام التوراة فيعدلون عنها الى العمل باهوايهم مع انهم
متعبدون باحكامها اذ الاحكام في الانجيل قليلة جدا ولم يتركوا الا رايهم
حتى يتحكموا باهوايهم ثم انهم يتحكمون بارايهم فان اتفق لهم شي يتمسكون
به كان ذلك موكدا لاغراضهم ويبين هذا انهم استثقلوا العجول والجزور والخرفان
لارتفاع اثمانها ولانه لا يوجد فيها ما يوجد في الخمر من الفرح والطرب الداعي
الى شربها ولذلك عدلوا الى الخمر مع خفة مونتها وقلة ثمنها فانهم اشد الناس بخلا
فاذا قيل لهم لاي شي عدلتم عن قربان التوراة قالوا لان ملك صدق
اول من قرب الخبز والخمر ولان المسيح قال من اكل لحمي وشرب دمي كان في
وانا فيه ولان الحواريين فرضوا هذا القربان هذا غاية ما يحتجون به ولا بد من تتبع
ذلك وبيان تحكمهم وباطلهم فنقول اما قولكم بفعل ملك صدق فباطل من
اوجه احدها انه لم يكن نبيا فان ادعيتم انه نبي فلا بد من الدليل على ذلك
فعليكم اثبات نبوته ولو سلمتم ذلك لبقي عليكم ان تثبتوا ان شرعه
شرع لكم ولو سلم ان شرعه شرع لكم لكان ينبغي لكم ان تعملوا بالتوراة فقد
نسخت ذلك الشرع اذ قد استقر ان موسى عمل بخلافه وكذلك الانبيا
بعده ولو كان ذلك الحكم باقيا صحيحا لما كان ينبغي لموسى ان يعدل عنه

ولما حاكم بغيره فتركتم التوراة التي انتم مخاطبون باحكامها وشرعها الى ما لم
تخاطبوا به ولا شرع لكم استهانة بشرع التوراة واحكامها بل استخفافا
بالذي انزلها وبالذي انزلت عليه فقد بطل استدلالكم بفعل ملك صدق
من اوجه واما استدلالكم بقول عيسى فهذيان لا يلتفت اليه لانه انما اراد
من اكل بعمل او بعلم من عمل احببت واحيى وما ذكره مثل محسوس قصد
به التنبيه على معنى معقول ودليل ذلك من قوله قولا انا الخبز النازل من السماء
انما اراد انه بمنزلة الخبز الذي يتغذى به لانه قد جاء يغذي الارواح ويحييها وهذه
استعارة حسنة مستعملة وكثيرا ما يقال في الكلام العلم والمعاني الشريفة خبز
الارواح كما ان الطعام المعروف خبز الاشباح وكلامه عليه السلام حامل احرونا
ولا حاجة لنا عن ما ذكرتم يجوزها العقل ولا يسعدها استعمال اللفظ لا يحوج شي منها
الى الهذيان الذي صرتم اليه الذي افضى بجهلكم الى ترك حكم الله والعمل بمقتضاه
ولولا التطويل لذكرنا منها وجوها وبهذا اللفظ وما شبهه ضللتم حيث قلتم
بالاتحاد ولم تفهموا منه المراد فكابرتم المعقول وحرفتم المنقول وجعلتم
من الشناعة والقباحة ما لا يرضى به عليم ولا جهول وقد ذكرنا ابطال
ذلك فيما تقدم واما استدلالهم بفعل الحواريين فذلك من فعل الكذب عليهم
اجمعين ولو سلمنا انه صحيح وصدق لما كان في فعلهم حجة مع ان كتاب الله
يخالف فعلهم بل الحجة كتاب الله ولا يرتفع شي من ذلك الا اذا بين عيسى عليه
السلام انه منسوخ ويبلغكم ذلك عنه بنص قاطع على شروط النسخ على
ما هو معروف عند اهله بل قد اوردوا في انجيلهم ان عيسى قال للمبروص الذي شفاه
امض واعرض نفسك على القسيسين وادى قربانك الذي امر به موسى في عهده
وهذا نص على ان القربان عند عيسى انما هو الذي حكم به موسى وهو العجول
والجزور والخرفان لا كما تزعمون انتم من الهذيان فقد حصل من هذا انكم خالفتم
عيسى وقلتم عنه البهتان واما استدلالهم بفعل القسيسين فاولئك المغيرون
للدين والمحرفون لكتاب رب العالمين

كذنبك في ام الحويرث قبلها وجارتها ام الرباب

فقد

فقد ظهر بهذا انهم تركوا قربان التوراة لغير شي وانهم على غير شي فعليهم لعنة
كل ميت وحي مسئلة في تقديسهم دورهم وبيوتهم بالملح قال حفص انما
الملح الذي نقدس به الدور والبيوت واردت غير ذلك فانا وجدنا في سير الياس
النبي الذي رفعه الله ان اليسع مكث بمدينة اريحا زمانا فقال له اهلها
ان عندنا عينا جارية تنفجر منها مياه كثيرة وهي لا ننتفع منها فامر ان يؤتى اليه
باناء جديد وادخل فيه الملح وقدس به ماء العين فمن هذا السبب صرنا نقدس الدور
والبيوت بالملح المقدس بعد ما يتلو عليه القسيس ايات من النبوة فنقول
لهم يا هولاء الملا عجبون بادعائهم المستمرون على هذيانهم كيف جعلتم مثل هذا دليلا
على ثبوت حكم عليكم وليس فيه دليل من وجوه كثيرة لكنا نقتصر من ذلك على نكتة
كافية وهي ان اليسع لم يفعل ذلك على جهة بيان انه حكم وانما فعل ذلك على
جهة اظهار الكرامة والمعجزة فان ذلك الماء عذب وطاب فظهرت كرامته
ومعجزته كما ظهرت على يد عيسى حيث مس المبروص فبرا وكذلك مس الاعميين فابصرا
الى غير ذلك وقد حكيتم في بعض اناجيلكم ان اعمى سال من عيسى ان يرد عليه بصره
فاخذ قطعة عجين فجعلها في عينه فابصر وهذا بمثابة ما فعل اليسع فكان ينبغي
ان تقدسوا دوركم بالتراب والطين كما فعل عيسى وهو اولى لكم اذ هو مفضل
عندكم على اليسع وغيره بزعمكم ومع ذلك فتركتم الاقتداء به واقتديتم بمن هو دونه
وذلك عكس ما كان ينبغي لكم وهذا نتيجة جهلكم وسوء فعلكم مسئلة في تصليبهم
على وجوههم في صلاتهم قال حفص انما نصلب على وجوهنا لانا وجدنا في كتب
علمائنا السالفين انه لما اراد ملك قسطنطينية بغزو بعض اعدائه تراءى له في
السماء صورة صليب من ذهب وملك من الملائكة يخاطبه ويقول له ان كنت
تريد غلبة اعدائك فاجعل هذه الصورة علامة تكون قدامك فانك غالب ظافر بها
على جميع اعدائك فامر فجعل كما قال له الملك وهو الذي بحث وكشف عن
صليب المسيح حتى وجده مدفونا وعمل من المسامير التي كانت فيه لجاما لفرسه
وزين جبينه بصليب من ذهب فلم يزل من حينئذ اهل ملة المسيح يستعملون
هذه العلامة لانها علامة النصر وسمة الظفر هذا الذي ذكره حفص هنا يصدق ما حكيناه

عن قسطنطين فيما تقدم فان كذبنا احد منهم فيما ذكرنا عنه فليكذب اسقفه
حفصا على ان ما ذكرناه مشهور عند اهل التاريخ الذين اعتنوا بنقل اخبار الازمان
الماضية والقرون السالفة وبعد هذا فقول من استدل على ان التصليب
مشروع لهم من اين عرفت صدق قسطنطين فيما حكاه وقاله ولعله كذب
واراد بذلك اصلاح رعيته وحاله وانغار صدور العامة على من خالفهم وذلك
داخل في باب السياسات التي يسلكها من لم يتقيد بالشرعيات وكثيرا ما نشاهد
من الملوك مثلها ثم لو سلمنا انه صدق في رؤياه فمن اين علم ان الذي كلمه ملك
فلعله شيطان قصد اضلالكم وكذلك كان حتى تعتقدوا الصلوبية التي هي
اعظم كل بلية وتحمل على العصبية ثم لو سلمنا انه ملك فلاي معنى جعلتم
ذلك التصليب في صلاتكم وزدتم على ما علمكم عيسى ولقد كان ينبغي لكم ان
تفعلوا في الصلاة مثل فعله ولا تزيدوا على ذلك ثم يلزمكم على ذلك ان يقال
لكم لا يخلو ذلك التصليب ان يكون حكما من احكام الصلاة او لا يكون فان كان
حكما ولم ينقلوه عن عيسى ولا انه علمكم فقد نسبتم عيسى الى انه كتم حكم الله ولم
يبلغه وهذا محال على عيسى وعلى كل رسول ارسله الله الى امته وان قلتم انه ليس
بحكم فلم تفعلون في الصلاة ما ليس بحكم شرعي وان قلتم شرعه لنا ائمتنا
واساقفتنا قلنا لكم ومن جعل لائمتكم ان يحكموا في شرع الله ويفترون على الله
وهم مذنبون عاصون لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا عطا ولا منعا
ثم نقول لهم هذه الصلاة التي يصلب فيها على الوجه افضل ام الصلاة التي
لا يصلب فيها فان قالوا الصلاة التي يصلب فيها فيلزمهم على هذا ان يكون
صلاتهم افضل من صلاة المسيح وكفى بهذا شناعة وحماقة وان كانت الصلاة
التي لا يصلب فيها هي الافضل فينبغي ان لا تفعلوا ما لا فضيلة فيه وهذا كله
سببه ان هولاء القوم لا يعولون على الانبياء في احكامهم ولا يرجعون الى قوانينهم
بل يعولون على اغراضهم وشهواتهم فلقد تمكن الشيطان منهم فاضلهم حتى
استدرجهم عن الشرايع وازلهم فهذه المسايل التي ذكرناها هي معظم قواعدهم
واصولهم واذا كان عملهم في هذه القواعد مثل ما رايت فما هيك بفروعهم ولنقتصر

علي

علي ما ذكرنا اذ فيه تنبيه على ما لم نذكر ثم ان احوجونا الى مزيد تتبعنا اخبار كتبهم ان
ننقضها حرفا حرفا ونبين فساد اللفظ والمعنى وبقيت علينا مسئلة واحدة
وهي بيان اعتقادهم في الدار الاخرة وعذابها ونعيمها وبها اختتام هذا الفن
ان شاء الله تعالى مسئلة في قولهم في النعيم والعذاب الاخرويين قال صاحب
كتاب المسايل لسنا ننتظر في المكافات الالهية شيئا من الارضيات الفانيات
كالذي ينتظره شيعة علي ولا مروج العرايس كالذي يشتهيه حرقوس
ومرقش ولا ما ينتسب الى الماكول والمشروب كالذي يسوغه باسه وجماعة
ولا سطرا ان يكون ملك المسيح في الارض الف سنة بعد القيامة لتملك الصالحون
معه متنعمين كتعليم قاركوس الذي جعل قيامتين الاول للصالحين والثانية
للكافرين فقال ان بين هاتين القيامتين تمسك الاحسس الجاهلة باسد في
زوايا الارض في اجسامهم ثم تحكم الشيطان بعد تملك الصالحين في الارض الف
سنة على محاربة الصالحين المتملكين فيدفعهم الله عنهم فامطار النيران محاربا
عنهم فيموتون هكذا مع سايرهم الذين ماتوا على الكفر ثم يحيون في لحم غير
متغير للعذابات الدايمة فقد تبين هذا المتكلم الجاهل حبط النصارى واختلاف
فرقها في هذه المسيلة بما اغنى عن البحث عن كثير من فرقهم على ان فرقهم لا تنحصر
واختلافهم لا ينضبط فان اختلافهم كاختلاف المجانين اذا اجتمعوا فكل واحد
منهم يتكلم بما لا يعقل وما لا حجة له عليه ولا معول لكن مذهب جماهيرهم
ومعظمهم ومن ينتسب الى التدين منهم ان الخلق لابدان يجتمعوا في القيامة
وان عيسى يحاسبهم فينعم ويعذب ولكن ليس عذابا بنيران وسلاسل
واغلال وغير ذلك مما نعتقده نحن وليس نعيما ايضا بماكول ومشروب
والتذاذ نكاح ونسوه والله اعلم بمذهبهم في هذه المسيلة مذهب الفلاسفة حيث
ينكرون العذاب المحسوس والنعيم ويصرفون ذلك الى الالتذاذ الروحاني
لكنهم لا يصرحون كما يصرح به الفلاسفة اذ لا يقدرون على تبيين اغراضهم لقصورهم
ونحن نتكلم هنا مع من ينكر ذلك من المتشرعين فانهم قد اجمعوا على اعادتنا
كما كنا اول مرة اذ قد اجمعت على ذلك الشرايع كلها من غير اختلاف بينها فيه

فنقول المنكر لك لا يخلو ان تنكره اما من جهة العقل او من جهة الشرع فان
قال من جهة العقل قلنا له كذبت واخطات فان العقل لا يدل على استحالة
ذلك بل يدل على جوازه اوليس في ذلك الا ان الذي خلقنا اول مرة ومكننا
من ان ننعم نعيما محسوسا ونتالم الما محسوسا قادر على ان يعيدنا بعد ان
يفنينا كما بدانا فان الاعادة انما هي خلق ثان ومن قدر على الخلق الاول قدر
على الخلق الثاني وهذا معلوم بنفسه فهو اذا فعل ممكن في نفسه ليس من قبيل
الممتنع والله تعالى قادر على كل ممكن فيجب وصفه بالقدرة على ذلك فان قال لو
ان كان في الجنة اكل وشراب ونكاح ولباس فيلزم عليه ان يكون في الجنة
غايط وبول وولادة وتمزق الثياب وتخرقها وكل ذلك محال ان يكون في الجنة
قلنا هذا جهل ولا يلزم شي مما ذكرتم بل نقول هناك اكل وشرب وليس
هناك غايط ولا بول وهذا غير منكر اذ لا يلزم في كل طعام ان يكون له فضلة
ولو سلمنا ان يكون له فضلة لما لزم ان تكون فضلة مستقذرة بل قد تكون
فضلات كثيرة طيبا يتطيب به وشرابا يشرب مثل المسك فانه دم حيوان ورجيعه(?)
ومثل العسل فانه فضل حيوان معروف وليس شي من ذلك مستقذرا بل
هو مستطاب مستلذ ولا يبعد ان يكون فضلات الجنة هكذا بل هو هكذا وقد جا على
لسان الصادق ان اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري من اجسادهم
مثل المسك واما الحمل فلا يلزم شي منه اذ قد نجد من النسا العواقر وهن اللواتي لا يلدن
فكذلك نسا اهل الجنة لا يلدن ولا يحضن واما اللباس فلا يتمزق ولا يفنى وفي لباس
بني اسرائيل في المغار دليل على بطلان ما تخيل هذا السايل فالذي يبقي الثياب
الى مدة قادر على ان يبقيها ابد الابدين وهذه امور لا ينكرها الا كل غبي جاهل
ليس له معقول حاصل فاذا دل العقل على جوازه فينبغي ان يستدل على
وقوع ذلك ووجوده بكلام الصادقين صلوات الله عليهم اجمعين فنقول المنكر لك
شرعا لا يصح لك ان تستدل على انكارك بشي من كلام الانبيا اذ لا تجده بل
ترى نصوص كلامهم على اثباته منها ان من المعلوم ان ادم عليه السلام كان ياكل
في الجنة ويشرب وينكح فان قالوا الجنة التي كان فيها ادم قبل هبوطه الى الارض

انما كانت في الارض وهي جنة عدن التي قال فيها في التوراة وغرس الله فردوسا
بعدن من قبل واسكنه ادم وانما كانت تلك بستانا من بساتين الدنيا قلنا
ليس في التوراة نص قاطع يدل على ان الجنة التي يرجع الناس اليها يوم الجزا
ليست هي التي اسكن الله فيها ادم بل هي محصل الناس وذلك دليل جواز الاكل
والشرب والنكاح في الجنة فانه كما جاز ان اكل ادم وشرب فيها كذلك يجوز ان ياكل
ويشرب وينكح في الجنة التي يرجعون اليها وهذا بين بنفسه عند المنصف ومنها
ان في الانجيل ان المسيح قال لتلاميذه ليلة اكل معهم الفصح وقد سقاهم
كاسا من الخمر وقال لهم اني لا اشربها معكم ابدا حتى تشربوها معي في الملكوت عن
يمين الله وهذا نص لا يحتمل التاويل الا مع ضعف وفيه ايضا في قصة العازر
الذي كان مطروحا على باب الغني والكلاب تلحس جراح قروحه وان ذلك
الغني نظر في الجنة متكئا على حجر ابراهيم الخليل فناداه الغني وهو في النار
يا ابي يا ابراهيم ابعث العازر لشي من ما ابل به لساني وهذا نص اخر ابين من
الاول وفيه ايضا ان الجماعة قالت للمسيح نعم يا ادم(?) متى جيت الى هنا
يا معلم فقال لهم امين امين اقول لكم لانكم اكلتم الخبز وليس لما رايتم من العجايب
فلا ترغبوا في طعام لا يبقى في الجنة الدايمة وفيه ايضا انه قال لتلاميذه في
وصيته وصاهم بها لتطعمن ولتشربن في مايدتي في ملك الله وفيه ايضا انه قال
لليهود ان كان موسى اطعمكم خبزا في المغار فانا اطعمكم خبزا سماويا يريد نعيم
الجنة وقال اشعيا يا معشر العطاش توجهوا الى الما الورد فمن لا فضة له
فليذهب وياكل ويشرب وياخذ من الخمر واللبن بغير فضة ولا ثمن وهذا كثير في
كتب الانبيا بلا شك ولا امترا فان قالوا لاي معنى لم يصرح موسى في التوراة
بذلك وما جا ر(?) القيامة قلنا الله ورسوله اعلم وعلى سبيل الاحتمال وجوها
احدها لعتو بني اسرائيل وتمردهم وكلال افهامهم ثانيها لبعد زمن ذلك
وثالثها لتعجيل لهم جزا اعمالهم فانهم كانوا يهددون ويخوفون بالعقوبات
العاجلة ويوعدون رابعها لانه قد كان سبق في علم الله انه يرسل رسولا
في اخر الزمان ليس بعده نبي ولا رسول يبين امور الاخرة بيانا شافيا وهو محمد

رسول الله وذلك لقرب القيامة من زمانه ولتحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم من
فضيلة العلم والاعلام ما لم يحصل لاحد غيره ولتختص امته بعلم ليس لاحد غيرها
وهذا الوجه هو اقرب الوجوه والله اعلم ويدل على ذلك قوله في التوراة حين بشر
بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر كثيرا من علاماته ومعه كتاب هادي وقد تقدم ذكر
ذلك والدليل عليه ايضا انك لا تجد عند امة من الامم من اخبار القيامة واخبار الجنة
والنار والصراط والميزان والحوض وغير ذلك من امور الاخرة ما عندهم فالحمد لله
الذي جعل لنا كل الفضايل وخصنا بمحمد صلى الله عليه وسلم خير نبي وفاضل
فقد ظهر من هذه النظران ما تحملوه من انكار النعيم والعذاب المحسوسين
باطل بشهادة العقول ومنصوص كلام الانبيا المنقول وقد فرغنا من الفن
الاول والحمد لله كثيرا

الفن الثاني

العرض من هذا القران بتبين منه
عقيدة الاسلام وجملا من اصول احكامهم ومواضع من فروع دينهم انكرها
النصارى عليهم وانما فعلنا ذلك لغرضين احدهما ان السايل الذي حركنا لهذا
الكتاب هددنا وزعم انه ان سب وشتم كتب كتابا بنص شريعتنا ووجهه
للبلاد حتى يقف الناس عليه فاردت ان اتولى ذكر نص شريعتنا لينتهي
ذكرها ونقلها جهول لا يحسن ما ينقل ولا ما يقول كي تقف العقلا عليها ويطلعوا
فيها على ان شرعنا ليس بالخفي بل قد طبق الارض شرقا وغربا وقرع من العقلا
سمعا وقلبا فلم يسمع بمن مجه وطرحه غير معاند كبته شرعنا وفضحه فانه
جار على المنهاج المعقول المستحسن عند ارباب العقول وسابين ذلك ان
شا الله تعالى على اني لم اعرض لهذا السايل ولا لاحد من علمايهم بالسب الكريه
تبيين جهلهم وركاكة هذيانهم وقولهم ربما اخطاوا في بعض الاقوال لما ارتكبوا
فيها من القبيح والمحال فاطلقت عليهم اللعنة حسب ما تقتضيه البغضا والاحنة
وتعويلا على ما في التوراة من لعنتهم وركاكة شرعهم فان في التوراة ملعون
ملعون من تعلق بالصليب يريد بذلك من اعتقد الصليب وادعاه وعظمه
وهذا نص بلعنتهم وموجب لبغضهم هذا مع ما نعلمه من ديننا واوضح
سبيلنا والغرض الثاني انه لا يبعد ان يقف على هذا الكتاب نصراني او يهودي

لم يسمع قط من ديننا تفصيلا ولا تصريحا بل انما سمع له سبا وتقبيحا
فاردت ان اسرده على الجملة ليتبين حسنه لمن كان ذكي العقل صحيح الفطرة فلعل
ذلك يكون سبب هدايه ورفع عماه وما التوفيق الا بالله وفي هذا الفن
فصلان

الفصل الاول

اعلم ان شريعة المسلمين مشتملة على اعتقاد بالقلوب
وعمل بالجوارح ولذلك انقسم هذا الفن الى فصلين ونذكر في احدهما قواعد
الاعتقاد وفي الثاني مسايل من الاعمال فنقول اما اعتقاد المسلمين فهو ان
كل موجود سوى الله تعالى فهو محدث مخلوق مخترع على معنى انه لم يكن موجودا
ثم صار موجودا وان لمحدثنا موجدا قديما لا يشبه شيا من الموجودات
المحدثة بل تعالى عن شبهها من كل وجه فليس بجسم ولا يحل في الاجسام
ولا جوهر ولا يحل في الجواهر ولا عرض ولا يحله الاعراض وانه اله واحد لا شريك
له في فعله ولا نظير له في ذاته وطوله لا ينبغي له الصاحبة ولا الولد ولم يكن له
من خلقه كفوا احد وانه عالم قادر مريد حي موصوف بصفات الكمال من السمع
والبصر والكلام وغير ذلك مما يكون كمالا في حقه وانه منزه عن صفات النقص
والقصور وانه يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه ما يشا لا يفتقر الى شي
واليه يفتقر كل شي وبيده ملك كل جماد وحي لا يجب عليه لمخلوق حق وتجب
حقوقه على الخلق لا تتوجه عليه متى ولا اين ولا لم ولا كيف فلا يقال متى وجد
ولا كيف هو ولا لم فعل لا يسال عما يفعل وهم يسالون وان ارسال الرسل
من افعاله الجايزة وانه قد ارسل الرسل وانزل الكتب وكلف الخلق وشرع لهم شرايع
على السنة رسله وان رسله صادقون في قولهم مويدون بالمعجزات من عند ربهم
وانهم عبيد الله ورسله وانهم بشر مثلنا الا ان الله فضلهم بان جعلهم واسطة بينه وبين
خلقه واطلعهم على ما شا من غيبه وانهم بلغوا عن الله ما امروا بتبليغه وانهم كلهم
صادقون مصدقون لا نفرق بين احد منهم وان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
العربي القرشي الهاشمي رسول الله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وان الله ايده بالمعجزات
الدالة على صدقه كما قد فعل بالرسل من قبله وان شرعه واجابته لازمان لكل من بلغته
دعوته حيث كان من اقطار الارض وجهاتها على اي دين كان من اديانها لا يقبل

ممن كفر به يوم القيامة ما هو عليه من دين بل يكون مخلدا في العذاب ابد الآبدين
كما ان المؤمن به وبكل ما جاء به مخلد في الجنة ابد الابدين وان شريعته ناسخة كل الشرايع
المتقدمة على الجملة وهادم ما قبلها من الاحكام السالفة وان كل ما جاء به عن الله
حق من عذاب القبر والحشر والنشر بعد الموت والصراط والميزان والحوض واللواء
وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لاهل الموقف عامة ولاهل الكباير من امته خاصة
والجنة ونعيمها والنار وعذابها وانهما محسوسان ليسا معنويين وان خلود اهل
الجنة سرمد وعذاب اهل النار سرمد لا انقطاع لواحد منهما الى غير ذلك مما هو مفصل
في الشريعة مما يعرفه اهله ولا يسعهم جهله فهذه قواعد اعتقادهم مجردة عن ادلتها
ومقتضبة من شواهدها اذ ما منها قاعدة الا ويعضدها برهان عقلي لا يشك فيه
عاقل ودليل سمعي لا ينكره فاضل ومن اراد يعرف ذلك طلبه من مواضعه
واما مستندات احكامهم فهي كتاب الله وسنة رسول الله لا يعدلون المحجة عنها
ولا يخرجون لمحلة منها الا ان وجوه الاستدلال لا يحيط بها متطفل عليها
لكثرتها ولتفاوت درجاتها فان كتاب الله وسنة رسوله لا يستدل بهما من لا يعرف
منظوم اللفظ ومفهومه ونحواه ومعقوله ويعرف من المنظوم النص والظاهر
والماول والمجمل والعموم والخصوص والاستثنا والمطلق والمقيد ويعرف من المفهوم
اقسامه واحكامه وكذلك من الفحوى والمعقول على ما هو معروف في علم الاصول
الذي هو علم خاص بامة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من كرامات اهل الاسلام
اذ ليس في ملة من الملل المتقدمة من التحقيق ما عندهم ولا اجتمع لاحد قبلهم
من العلوم مثل الذي اجتمع لهم ذلك بانهم اخر الامم وكتابهم اخر الكتب وافضلها
ورسولهم اخر الرسل وافضلهم ولسانهم احكم الالسنة واخصرها على ما يعرفه من
تصفح شريعتهم وعرف لغتهم ونظر اليها بعين الانصاف وترك طريق
التعصب والاعتساف فالحمد لله على ما اولاه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
ومما يبين للعاقل حسن شريعتهم وجمال طريقتهم انها مبنية على مراعات مصالح
الاخرة والدنيا واتمام مكارم الاخلاق الحسنة اما بيان مصالح الاخرة فهو ان هذا
الشرع بين وجوهها ولم يغفل شيا منها بل فسرها واوضحها غاية الوضوح ليلا

بجهل شي منها فوعد بنعيمها وتوعد بعذابها بخلاف الشرايع المتقدمة فانها
انما كانت تتوعد على المخالفة بعقاب دنياوي كما فعل ببني اسرايل غير مرة وتوعد
بثواب دنياوي ولم يبين لهم شي مما بين لنا على ما تقتضيه نسق التوراة
اذ ليس فيها ذكر جنة ولا نار الا شبهات قليلة وكذلك الانجيل ليس فيه شي من
ذلك الا ما ذكرناه ومع ذلك فانه تعبدنا بعبادات محضة ذوات افعال واركان
كالصلوة والحج وغير ذلك وكل ركن من اركانها المقصود به تعظيم الله والخضوع له
بالظاهر والباطن حتى تودي كل جارحة من الجوارح حظها من تعظيم الله تعالى مع
ما ينضاف الى ذلك من المعاني الشريفة والادعية الرفيعة الفصيحة التي يعرف
معانيها اهلها حسب ما قرروه في كتبهم وليس كما تقولون انتم في صلاتكم
يا ابانا الذي في السما فان هذا مستبشع في العرف محال في العقل اما استبشاعه
في العرف فانه يقبح بالعبد ان يخاطب سيده بلفظ الابوة هذا مع ان معنى
الابوة في حقه باطلا مثل هذا اللفظ في حق الله تعالى لا ينبغي الا يجوز ان يطلق واما
احالته في العقل فان ظاهر قولكم في السما يفهم منه ان السما محيطة به وان جاز
ذلك جاز ان يكون جسما وانتم تابون ذلك وهو محال في حقه تعالى وكذلك
قولكم في بقية هذا الدعا وعجل لنا خبزنا الدايم واغفر لنا كما نغفر بعضنا لبعض
فانه لفظ مستثقل مستقبح ومعناه مستغث مسترذل ولولا خوف
التطويل لابدينا ما يحتمل ذلك من قبيح التاويل فان قلتم هكذا علمنا عيسى في
الانجيل فقال لنا اذا صليتم فقولوا قلنا لا نسلم ان هذا مما علمه عيسى ولا مما
جاء به بل هو اختراع من لا يحسن ما يقول وليس له في المعارف وصول وقد
تقدم ان كتابكم قابل للتحريف والتصحيف فهذا الذي ذكرناه على المصالح الاخروية
واما المصالح الدنياوية فقد بينا ان مقصود شرعنا حفظ الاديان والنفوس
والاموال والانساب والاعراض والعقول ولاجل ذلك شرع القتل والديات
والعقوبات وحرم السرقة والخيانة وجميع وجوه اكل المال بالباطل وحرم الربا
وفعل اللوطي وغير ذلك من الفواحش وكذلك حرم الغيبة والنميمة والقذف
والبهتان والزور وجميع اصناف الكذب والغش والخدايع والمكر الى غير ذلك من

انواع المفاسد ولاجل ذلك ايضا حرم الخمر فانها تذهب العقل الذي هو مناط
التكليف وبه يعرف الباري تعالى ولكن آفة تناقضه وتضاده فهذه الامور
كلها محفوظة بالحدود والزواجر لكن كلها للعقوبات ان ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
اما بالكتاب واما بالسنة وليس شي منها موضوعا بالتشهي والتحكم كما
فعلتم انتم وقد بينا ذلك بل هي مستندة للشارع لا يعدل عنه طرفة عين بل
نقف عند ما امرنا ونسمى عما نهانا ونعرف ذلك على التفصيل بالله ومن وقف
عليه من العقلاء المنصفين واما مكارم الاخلاق التي تضمنها شرعنا فلا تخفى على
متامل وذلك ان شرعنا امرنا بها ظاهرا وباطنا ونهانا عن رذايلها
وسفسافها فمن المكارم الظاهرة النظافة والطهارة والتنزه عن الاقذار والاوساخ
فمن النظافة تطهير الثياب والابدان فانها ينبغي ان تنزه عن الاقذار مثل البول
والغايط والمني والمذي والدم والقيح وما شاكل ذلك ومن النظافة ايضا التطيب
وتحسين الهيئة ومن تحسين الهيئة قص الشارب واعفا اللحية فقص الشارب لتتاتى
النظافة في الاكل اذ لا تتاتى مع طوله اذ يدخل الشعر للفم وينغص الاكل ويقذره
ولا سيما يلحق الشارب من قذارة المخاط اذا كان الشارب كبيرا ومع ذلك
فلا يحلق عندنا كله ويمحق رسمه فان ذلك مثلة وتشويه وكذلك اللحي اذا حلقت
فينبغي ان توفر توفيرا لاجل مروة الانسان ولا تخرج عن عادات الناس وتغيير
الامور واسقاطها واما حلق اللحية فتشويه ومثلة لا ينبغي للعاقل ان يفعلها
بنفسه والعجب من جهل الناس وما استحسنوه من المروات فانهم يحلقون
لحاهم ويشوهون بانفسهم ويوفرون حلوقهم التي ينبغي ان تزال لما في ازالتها
من العوايد على ما ذكرنا ومن النظافة المامور بها تقليم الاظفار ونتف الابط
وحلق العانة وغسل البراجم والمعاطف بالما وهذا كله من شرعنا مبالغة في النظافة
ومحافظة على مكارم الاخلاق وعلى عادة ذوي العقول والمروات واما التنزه عن
الاقذار والانجاس كلها على ما تقتضيه عادة العقلاء وذوي المروات وامرنا باكل
الطيبات واستعمال المستحسنات ونهانا عن السرف والتبذير ولاجل هذا نهانا
عن استعمال اواني الذهب والفضة وعن لباس الحرير للذكور وذلك لما فيه من

التبذير والسرف وايضا فان فيه تزهوا يناسب ترفه اهل الجنة وشبهه ولا ينبغي
ان يفعل ذلك ولاجل ذلك قال نبينا عليه الصلاة والسلام من شرب في آنية الذهب
والفضة لم يشرب بها في الاخرة ومن لبس الحرير لم يلبسه في الاخرة وهذا
كله لان الدنيا دار عمل والاخرة دار جزا ولاجل ذلك قال الحكما الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها فهذه نبذة من النظافة الظاهرة واحكامها كثيرة تعرف
في مواضعها واما النظافة الباطنة فترجع الى التخلي عن مذموم الاخلاق والتحلي
بمحامدها ومستحسنها وهي كثيرة فلنذكر الاخلاق المذمومة التي يتنظف منها
وبعدها نذكر الاخلاق المحمودة التي ينبغي الاتصاف بها اما الاخلاق
المذمومة فكثيرة لكن امهاتها ما نذكره وهي الغضب والحسد والبخل ومهانة
النفس ودناتها والرعونة وحب الجاه وحب الدنيا الذي منه كل خطية والكبر
والعجب والزنا الى غير ذلك من الاخلاق المذمومة التي من اتصف بها كان
متنجس الباطن بمثابة من كان متنجس الظاهر فعليه تنظيفه الا ان نظافة
النجاسة الظاهرة بالما ونظافة النجاسة الباطنة بالاتصاف بالاخلاق
المحمودة التي هي التوبة من المعاصي وحسن الصحبة مع الخلق والنصيحة لهم
والعدل في الامور كلها والتواضع وكرم النفس وحب الخمول وبغض
الدنيا والزهد فيها والتواضع والاخلاص والخوف والصبر والشكر والصدق
والتوكل ومحبة الله تعالى ومحبة رسله الى غير ذلك من الاوصاف المحمودة التي من
اتصف بها فقد سلم من اوساخ البشرية وطهر الطهارة المعنوية فهذا انموذج
وقانون يعرف العاقل المنصف حسن شرعنا وجمال طريقتنا وانها جارية
على نهج العقول المستحسن عند من له محصول ومن اراد ان يبين محاسن
شريعتنا على التفصيل فلا يصل الى ذلك الا ببحث كثير وتطويل فان من دقق
في معنى النظر والباب منه الفكر يقضي من عجايبها كل عجب وعلم على القطع
والبتات انها حق من الله تعالى من غير شك ولا ريب وان الذي جاء بها لا يجوز
عليه الغلط ولا الكذب فها نحن معاشر المسلمين قد ارصدنا شريعتنا
للاعتراض وناديناها عليها في سوق الاعتراض الا معترض او معارض

فيد منعه باحد لقوله وحافظ ولم تكل حكايتها الا غبي غافل عن مقاصد
شرعنا جاهل وقد آن ان نذكر ما اعترض به النصارى على ديننا ونفصل
عنه ان شا الله تعالى وعند ذلك يتبين صميم جهلهم وسوء صنيعهم وتعلم

الفصل الثاني اعلم ان النصارى يعيبون دين الاسلام ويقبحونه
عند جهالهم وعامتهم بامور من فروع دينهم لا ينبغي لمنصف ان يعيبها ولا
يعيب شرعا هي فيه وقد كنا بينا فيما تقدم انه لا ينبغي ان يعيد الشرايع
اذا جاءت بما تجوزه العقول بل يتلقى ذلك المجوز عقلا الذي جاءت به
الشرايع بالقبول اذا علم صدق ذلك الشرع بل ينبغي للعاقل ان ينظر
في دليل صدق ذلك الشرع فان وجد دليلا صحيحا قبل منه كل ما يقول
فانه صادق والصادق لا يقول ما تكذبه العقول نعم قد يقول ما تقصر
العقول عن ادراكه وليس ذلك طعنا على قول الصادق وانما العجز في حق
العقل فليس كل ما تاتي به الشرايع يعد العقل جوازه قبل وقوعه بل قد
يكون عنده ما يجهله وهذا بين عند الفهم المنصف وقد كنا قررنا ذلك بابلغ من
هذا فيما تقدم فاذا تقرر ذلك فلنا للنصارى كان يجب عليكم ان تنظروا في
الادلة التي بها استدل ذلكم هذا النبي على صدقه فاذا صحت لزمكم قبول
قوله فان لم يصح لديكم رددتم كلية شرعه ولا تعترضوا بعض ما جاء به مما يجوزه
العقل على ما تقرر ونحن قد اثبتنا الادلة القاطعة على صدقه وانواعها
فيجب عليكم ان تقبلوا شرعه اذ قال انا رسول الله الى الناس كلهم والى
اليهود والنصارى وقد ظهر صدقه في قوله وان لم تقبلوا وجب عليكم اللعنة
وحاقت بكم الطامة وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ونحن نذكر ما اعترضوا به
ديننا ونحكي اعتراضهم كما ذكروه في كتبهم ونسبوه الى اساقفتهم قال
صاحب كتاب الحروف بعد ان ذكر وصية عيسى عليه السلام التي قال
فيها احذروا انبيا الكذب الذين ياتون بلباس الحملان يعني سمة الابرار
وزي العباد وباطنهم ذياب خاطفة ثم قال بعد ذلك معرضا بنبينا
ومستنقصا لدينا وقد اتانا نفاذ قوله هذا فمن ادعى النبوة فاظهر سمة الحملان

ثم

ثم عمل عمل الذياب فامر بخلاف هذه الوصايا من العداوة للناس
عامة والتحريض على قتل من خالفه والامر بالقصاص والانتقام ثم امر بالاكثار
من النسا ورخص في طلاقهن واحل تزويج المطلقات الفاحشات ثم ردهن
الى الازواج الاولين بعد طلاق ثان واحل ذلك لهن من الرجل الثاني
الى الاول ثم ما وصف الله به من الجور والقساوة والظلم اذ زعم انه يهدي
بعضا ويضل بعضا وقال العرطي الذي قدمنا ذكره لا عايب في شرعكم
لانا نجد الاحكام الشرعية حكمين الاول الحكم التوراوي الذي هو من تطلبك
فالعدل والاخر الانجيلي الذي هو من الكمال لطم خدك اليمنى فانصب
له اليسرى وانت ترى فضل هذا على الاول ثم لا نجد لهذين الحكمين ثالثا الا كان
داخلا فيهما هذا منتهى ما يعترض به من ينتمي الى النظر الا قسمهم وان
كان بعيدا عن التحقيق واما عامتهم ومن لا يبالاه بهم فقد تقولوا العظائم
وجاهروا بالشتائم والشتايم ونحن نجيب هذين القسمين على ما قالاه جوابا
يرفع الاشتباه ونرجو به التقرب من الاله فنقول للاول اما استدلالك
على رد نبوة نبينا بقول عيسى فتجهيل للعامة وتلبيس عليهم بانك
ادخلته في جملة انبيا الكذب وقد شهد الانبيا بصدقه ونبوته كما قدمناه
وقد شهد كتابك بصدقه ونبوته فانه قد جا فيه من قول عيسى ما لا يمكنك
انكاره حيث ذكر البرقليط واخبر انه ياتي ووصفه بما ينبغي له وقد قدمنا ذلك
مستوفى فهذا منك جهل بكتابك وتكذيب لانبيائك ورسلك وانما الذي
حذر منه عيسى وغيره من الانبيا انما هم انبيا الكذب كما قال ولم تزل الانبيا
يحذرون من الانبيا الكذابين ولقد اكثر من مثل هذا التحذير نبينا عليه
السلام حتى قال سيكون في اخر الزمان ثلاثون كذابون كلهم يزعم انه نبي
وانه خاتم النبيين فلا رسول بعدي ولا نبي وقد وجد بعضهم ولابد من ان
يوجد الباقي كما قال الصادق واما قولك ان سمة نبينا سمة الحملان وعمله عمل الذياب
فكذب صراح وافك وقاح ونحن قد بينا سمته وعمله ومناهجه وقد عرف حاله
القريب والبعيد بل سمته سمة الانبيا وعمله عملهم ولا فرق بينه وبينهم الا انه افضلهم

والحلم وانما قلنا ذلك لان في صحف اشعيا النبي انه قال ان امام الاسعاد
ان امام الكمال ثم قال لتعلموا يا بني اسرائيل الجاهلين ان الذي تسمونه ضالا
هو صاحب النبوة تعيرون بذلك على كثرة ذنوبكم وعظم فجوركم وانما قلنا انما
عني نبينا ولم يرد غيره قال يا بني اسرائيل وهذا خطاب لجميعهم ولم يكذب
جميع بني اسرائيل بنبوة نبي الا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك
مما تقدم واما عيسى وغيره فكان منهم من آمن به وصدقه على ما هو معروف
واما قولك امر بخلاف هذه الوصايا من العداوة للناس فكذب وتشنيع لا يرتضي
به سفلة الناس بل قد امر بالالفة والاجتماع والتحابب في الله والمواخاة في ذاته
والتعاون على البر والتقوى ونهى عن التباغض والتدابر والتخاذل على
ما بيناه من شرعه وكل ذلك من حاله وحالهم معروف بحيث لا يجهل ومشهور
بحيث لا ينكر ٭ نعم رحمته للمؤمنين ٭ وغلظته على الكافرين ٭ وكذلك وصفه الله
في كتبه ٭ وعلى لسان رسله ٭ قال الله العظيم في محكم وحيه الكريم ٭ لقد جاءكم رسول من
انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ٭ وكذلك
كانت احوال اصحابه قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم وليس كما تنقلونه انتم عن اصحاب عيسى انه لما تقبضت اليهود
عليه فروا عنه وانكروه وحلفوا على انهم لم يعرفونه فاسلموه وتركوه وقد بينا
فيما تقدم ما ذكرت الانبياء من اوصافه وعلى انه لم يغلظ على الكافرين حتى تمردوا
على الله وكذبوا رسالات الله وذلك انه اقام بين اظهرهم عشر سنين
او نيفا عليها يدعوهم الى الله على سبيل الوعظ والانذار والتعليم والتبليغ ٥
واظهار الآيات والعجايب ما تسالم العقول ومظهرا لهم الاشفاق وباذلا لهم
النصيحة صابرا بنفسه على ما يلقى من اذاهم ومن سبهم وهم مع ذلك
يبالغون في ضرره فكلما تمكن وكلما الح عليهم بالانذار زادوا في الاضرار حتى هموا
بقتله وطردوه عن بلده واهله وبعد ذلك امره الله بالانتصار ممن ظلمه
وباخراج من اخرجه ولذلك انزل الله عليه اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله
على نصرهم لقدير واما قوله والتحريض على قتال من خالفه فهذا لا ينبغي ان يعاب

به دين فان الكافر لا حرمة له وجناياته اكبر من كل جناية فعقوبته ينبغي ان تكون
اكبر كل عقوبة لا سيما بعد ان تقدم للكافرين بالاعذار ٭ وتبولغ لهم في الانذار ٭
ولاجل ان الكافر لا حرمة له عند الله يعاقب في الدار الآخرة عقوبة لا انقطاع
لها باتفاق الشرايع وان جاز ان يعاب شرعنا من حيث انه جاء بقتال الكافرين
جاز ان يعاب شرع موسى بن عمران وينبغي له ان يسفه فعل يوشع بن
نون حيث اذاق الجبارين اشد القتل واعظم الهوان ثم اعجب من ذلك
جهلهم بما في كتبهم او مجاهرتهم بانكارها وذلك انهم يجدون في كتبهم اوصاف النبي
صلى الله عليه وسلم ويجدون فيها انه يبعث بالقتل وبالسيف ثم ينكرون
ذلك ويتساهلون فيه وقد ذكرنا من ذلك ما فيه كفاية والى ذلك فقد جاء كتاب
اشعيا انه اخبر عن هزيمة العرب وقتل اسراهم فقال لما ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم يدوسون الامم كدوس البيادر وينزل البلاء بمشركي العرب وينهزمون
ثم قال ينهزمون بين يدي رسول الله سيوف مسلولة وقسي موتورة من
شدة الملحمة وكذلك قال حبقوق تضي لنوره في الارض وتسوع في نفسك
اغراقا وترتوي السهام بامرك يا محمد ارتوا وهذه نصوص على اسمه وصفته
كما تقدم وقد اشار انجيلكم الى هذا فانكم تزعمون ان عيسى قال لتلاميذه
ان كنت ارسلتكم وليس معكم مزود ولا خف فهل ضركم ذلك او نقصكم شيا
قالوا لا فقال اما الان فمن لم يكن له مزود فليشتر مزودا ومن لم يكن له سيف
فليبع ثيابه وليشتر سيفا فامرهم باشترا السيوف للقتال بعد ان كان
نهاهم عن القتال لعلمه ان محمدا يبعث بعده بالسيف وهذا اكثر بحيث لا يحتمل
التاويل ولا وجه من ذلك ذكروا في انجيلهم ان عيسى قال لهم
لا تحسبوا اني قدمت لاصلح بين اهل الارض لم آت لاصلاحهم لكن للمحاربة
بينهم انما قدمت لافرق بين المرء وابنه والمراة وابنتها حتى يصير اعدا المرء
اهل بيته وهذا نص بان عيسى انما جاء بالمحاربة والقاء العداوة بين
الناس وهذا عين ما انكروه علينا ثم قد زادوا على ذلك انهم حكوا عنه
انه قال لم آت لاصلح بين الناس ولم آت لاصلاحهم وظاهر هذا انما جاء

بـ داهل الارض وهذا الاصح ان يقوله عيسى عليه السلام ولا غيره من الانبيا
وهو من كذبهم وتحريفهم وقد قدمنا ذلك فيما سبق ومن العجب انهم
انهم يقولون ان ملة المسيح وشريعته لم تات بقتال ويمدحون بانها لم تظهر
بقتال وانما ظهرت بما ظهر على ايدي الحواريين من العجايب وهم مع ذلك
يعترفون بمحاربة قسطنطين ومقاتلته مخالفه وانه الذي تلقت عنه
الشريعة الصليبية فانه راى في النوم صورة الصليب وقيل له بهذا تنتصر
ففعل واعتقده وقاتل فنصر واعجب من ذلك تلبسهم بالقتال والاكثار منه
ابد الدهر الى اليوم وهم مع ذلك يدعون ان القتال غير مشروع لهم ٥
ويذمون الشريعة التي جات به فهم قد ناقضت افعالهم اقوالهم وشهدت
على كذبهم احوالهم ثم نقول للقسطنطينين ولجماعة النصارى المقاتلين قتالكم
من خالفكم لا تخلوا اما ان يكون مشروعا لكم او غير مشروع لكم فان كان ٥
مشروعا لكم فلاي معنى تخالفونا في ذلك وتذموا شرعنا لاجله وان لم يكن
لكم مشروعا فلاي معنى تركتم شرعكم وفعلتم خلافه وكيف حل لكم ذلك
فانتم بين امرين قبيحين عليكم اما ان تعترفوا بان قتال الاعدا جايز حسن
فلا تذموا شرعنا لاجله واما ان تعترفوا بانه غير جايز وقبيح فيلزمكم التناقض
والسفه والخروج عن شريعة المسيح فانتم على المثل الساير اعور بان عينيه سا
فان قالوا انما نقتصر بالقتال لانفسنا ونمتنع ممن يريد ظلمنا قلنا ومن
شرع لكم ان تنتصفوا ممن ظلمكم او تنتصروا لانفسكم بل قد حكيتم في
انجيلكم انه قال لكم احفظوا اعداكم واكرموا من اسا اليكم فان لم تحفظوا الا
اخوانكم فما اجركم على ذلك وهذا نص على انه ينبغي لكم ان تستسلموا لمن قاتلكم
ولا تنتصروا ممن ظلمكم فان لم تفعلوا ذلك فقد تركتم شرعكم واستهنتم ٥
بسنة نبيكم ثم يلزمكم على ذلك ان تعترفوا بان شرعكم ناقص اذ قد اغفل
لكم نبيكم بعض المصالح وتركها وهو القتال الذي استدركتموه بنظركم من
حيث كان ضروريا ومحتاجا اليه وتعترفوا بكمال الشرع الذي جا بالقتال
الذي هو شرعنا وعند هذا يتبين فساد قولهم ان الحكم حكمان لا ثالث لهما

وعيبهم

وعيبهم علينا القصاص وذلك انهم يزعمون ان حكم التوراة تقتضي القصاص
وحكم الانجيل تقتضي العفو ثم زعم ذلك الجاهل ان لا حكم ثالث ولم يشعر
بثالث متوسط بينهما وهو اكملها واتمها وهو الحكم القراني حيث قال الله العظيم
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولين صبرتم لهو خير للصابرين وقال
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقال ولمن انتصر بعد ظلمه
فاولئك ما عليهم من سبيل ثم العجب من جهل هولا الجهال كيف يذمون
شريعتنا ويكذبونها من حيث انها تضمنت القصاص وهم يومنون بشريعة
موسى وقد صرحت بالقصاص فيلزمهم على قولهم ان يكذبوا بشريعة موسى
ويذموها من ذلك الوجه ثم اعجب من ذلك كله مدحهم شريعتهم من حيث
كانت مبنية على العفو والصفح ثم مع ذلك ابوا ان يجوزوا عفو الله تعالى عن ادم
حين اكل من الشجرة حتى قالوا ان جميع بني ادم كانوا مرتهنين بمعصية
ابيهم حتى فداهم المسيح بنفسه بل لم يتصور عندهم عفو الله حتى انتقم من آلهه
مثله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فعلى هذا نقول لهم لا يخلو
العفو من ان يكون هو الاولى او الانتقام هو الافضل او الحالة الثالثة فان
كان العفو هو الاولى فلم لم يعف الله تعالى عن ادم من غير ان يعاقب بري على
ما زعمتم وان كان الانتقام هو الاولى فلم لم ينتقم من ادم وبنيه مطلقا فلم يبق
على هذا الا ان الاولى هو الحالة الثالثة في حال من يستحقه والعفو في
حال اخرى عمن يستحق العقاب تفضلا وتكرما حسب ما يريد الباري تعالى وعلى
هذا المنهاج السديد والامر الرشيد جات شريعتنا فهي كاملة متممة والحمد لله
ثم اذا كان العفو هو الاولى والافضل وبه جات شريعتكم فلاي شي تتركون
شرعكم الاول فقد اعترفتم بالسنتكم وتناقضتم بافعالكم وكم لكم منه وكم
واما اعتراضه على شرعنا في تحليل نكاح الكثير من النسا فذلك مما لا ينبغي
ان ينكره احد من العقلا فانه من مجوزات العقول وقد ورد بذلك الشرع
الصادق المنقول ثم قد ورد عن جماعة من الرسل وقد جات بذلك
الكتب المحكي في التوراة ان ابراهيم كانت له سارة وهاجر وكذلك

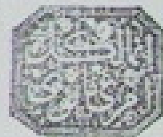
وورد فيها ان يعقوب جمع بين اختين ليا وراحيل وقد ثبت ايضا ان سليمان
كانت له مائة امراة او تسعة وتسعون فان كذبتم شرعنا لاجل انه اشتمل على
حل نكاحات كثيرة فلتكذبوا بنبوة ابرهيم ويعقوب وسليمان ولا فرق بيننا
وبين هولا الانبيا في ان كل واحد منهم رسول الله يبلغ حكم الله فانكم تنكرون
ما مثله تعترفون وتكذبون عين ما تصدقون فعل المعتوه الذي لا يعرف
ما يتفوه ثم لا ينكر عاقل حكمة الله تعالى في شرعيته كثرة النسا اذ مقصوده به
انما هو تكثير النسل وعمارة الدنيا بالذراري ليكثر الصالحون لما اراد الله بهم من
الكرامة وليكثر الطالحون لما اراد الله بهم من الشقاوة ولينفذ على خلقه احكامه
ويجري عليهم اقداره لا يسال عما يفعل وهم يسالون واما اعتراضه بالطلاق
ورد المطلقات فلينظره من اراده في باب النبوات واما اعتراضهم
على اعتقادنا بان الله يضل من يشا ويهدي من يشا فقد قدمنا فيه قولا كافيا
ولكنا مع ذلك نزيد ايضا فنقول قد قام الدليل القاطع والبرهان الصادع على ان الله
تعالى منفرد بخلق الموجودات ومريد لكل الحادثات لا يخرج عن قدرته ممكن ولا شي
عن ارادته حادث والهدى والضلال حوادث فاذا هي مستندة له موجودة بارادته
وتحقيق هذا البرهان يعرف في موضعه ثم نقول لا يشك عاقل ان الهدى والضلال وما في
معناهما امور محدثة وافعال موجودة بعد ان لم تكن محدثة فلا بد لها من فاعل محدث
بالضرورة ففاعل الهدى والضلال خالقهما اما ان يكون الله سبحانه وتعالى او غيره ومحال ان
يكون غير الله لاستحالة وجود خالقين ويلزم منه امتناع الخلق كما قدمنا حين ذكرنا
دلالة التمانع فلم يبق الا ان يكون الفاعل هو الله تعالى اذ لا خالق الا هو ولا مبدع
سواه ثم نقول للنصارى صلب المسيح وقتله اما ان يكون ضلالا واما ان يكون هدى
ومحال ان يكون هدى فانكم تكفرون من فعل ذلك وتضللونهم ولاجل ذلك الفعل
حاق الغضب واللعنة على اليهود بزعمكم فلم يبق الا ان يكون ضلالا لانهم واذا كان
كذلك فقد لزمكم ان الله فعل الضلال فانكم قد صرحتم بان الله انما فعل ذلك لاجل
خطية ادم ولم يرد ان ينتقم من ادم ولا من احد من ولده وانما اراد ان ينتقم من
الة مثله فقد صرحتم ونصصتم على ان الله تعالى اراد الضلال وفعله على اقبح ما سمع

واشنع ما به تتحدث ثم انا لا ندري مما تكون التعجب اكثر ان كان من ذهاب
عقولكم او من جهلكم بكتبكم فاما نقص عقولكم بان تقولون اقوالا تتناقضون
فيها ولا تشعرون وتلتزمون ضروبا من المحالات وتنكرون امورا جائزا كما قدمناه
انفا ولم نزل نبين ذلك من اول كلمة من هذا الكتاب الى هنا واما جهلكم بكتبكم
فقد جا في كتابكم نصا هذا المعنى الذي انكرتم وذلك ان عيسى قال حين دنا اجله
يا اباه انك قادر على جميع الاشيا فرج عني هذه الكاس ولكن لست
اسلك ان تفعل مشيتي الا مشيتك وهذا نص على ان الله على كل شي
قدير وانه يفعل ما يريد وانه اراد صلب المسيح بزعمكم وكان ضلالا لليهود بلا
شك فما بالكم تخبطون وعن كتبكم تعرضون بل انتم عن عقولكم مصروفون
وفي ورطة الجهل مرتبكون وفي لجة الضلال تعمهون فلقد صدق الذي
قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال والكلام على الهدى والضلال
والطبع والختم يستدعي تطويلا وشرحا وتفصيلا ومن طلبه وجده اذا ساعده
التحقيق ورافقه التوفيق وقد حصل غرضنا من مكالمة هولا وافحامهم
والحمد لله واما قوله ودعواه انا وصفنا البارى تعالى بالجور والقساوة والظلم
فعلى الشك السابر ومنشى بدا بها واسست واما نحن فننزه الله سبحانه عن كل
ما ذكر ولا نقول بقول يودي الى ذلك وكيف يصح في حقه تعالى الظلم والجور وهو
انما يتصرف في ملكه وملكه وخلقه ولا يجب عليه لاحد من خلقه حق بل هو متفضل
بكل ما يفعل وانما يتصور الظلم والجور في حق من يتصرف في ملك غيره او يعدل
عن فعل ما وجب عليه وهذا كله في حق الله تعالى محال وانما يلزم وصفه بالظلم
والجور والقساوة لمن قال ان ادم عصاه ثم جعل ذنبه على جميع ولده ثم لم يقنع
بشي من ذلك بل ولا دما بهم كلهم حتى انتقم من الة مثله واجرى دمه على خشبة
الصليب فهذا ظلم من حيث حمل الذنب من لم يفعله وجور من حيث قتل الها
لاجل لقمة من شجرة اكلها غيره وقساوة من حيث قتل ولده وحبيبه في عبده
العاصي عندكم ولم يعف نعوذ بالله من هذه القبايح ومن التزام هذه الفضايح
وتتبع جهالات الجهال مخالفة المعقول العقال على ان كلام هولا القوم لا يستحق ان

بسمع اذ ليس لهم في المعقول مطمع ولكن فساد كلامهم بجار النحويين الناظر
في هذيانهم فيظل متعجبا وينشد متمثلا

تفرقت الظبا على خراش   فلا يدري خراش ما يصيد

وانا اكثر الاستغفار من حكاية كلامهم واسأله النفع باظهار فساد مرامهم
ومع ذلك فقد اصبنا منهم غرضا وصادفنا منهم مقبلا ولئن زادوا زدنا ولئن
عادوا عدنا   ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة
وينبغي ان نختم الكتاب بدعاء ماثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعل
الواقف على كتابي هذا يومن عند خاتمته وعسى الله ان يشركنا في صالح دعوته
فاقول اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك
ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصايب
الدنيا ومتعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث
منا واجعل ثارنا على من ظلمنا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل
الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا امين امين
والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد سيد المرسلين
وسلام عليه وعليهم في العالمين وعلى صحبه اجمعين وعلى التابعين
لهم باحسان الى يوم الدين   كمل الجزء الرابع بحمد الله
وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وآله
الطيبين الطاهرين وازواجه وذريته وصحبه وسلم تسليما
وكان الفراغ من النسخة المنقول
منها في العاشر من صفر
سنة خمس وخمسين وسبعمائة للهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية
وكان الفراغ من تسويد هذه النسخة في يوم الخميس سلخ رجب الفرد سنة سبع وثمانين والف
على يد العبد الفقير الحقير محمد الحنفي الشهير بالقطري
المصري لطف الله به وبالمسلمين اجمعين





لمس